

الدكتور
صبري فالح
الحمدي

جون فيلبي

والبلاد العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن سعود

(1953-1915)

هذا الكتاب

يضـم في ثناياه معلومات وافرة عن دور جون فيلبي في التطورات السياسية التـي شـهدتها الجزيـرة العربية عقب انتهـاء الحرب العالميـة الأولى وحتى منتصـف عقد الخمسـينيات مـن القرن العشرين، وتابعت فصـوله نشـاط فيلبـي في المجال السياسـي مندوباً عن الحكومـة البريطانية في جهوده إقامة صـلات طيّبـة بين بـلاده وأمـراء المنطقة، لاسـيما مـع أمير نجد وشريف الحجاز واتّباع سياسة من شأنها تهدئة حالة التوتر التي غلبت على علاقات البلديـن، فضـلاً عن وسـاطته في محاولة حل الخلافات النجديـة- الكويتية خلال سـنوات الحرب العالمية الأولى وما بعدها، وسـلّط الكتاب في محتوياته الضوء على دور فيلبي التجاري وسيطاً بين الحكومة السعودية والشركات الأوربيـة والأمريكيـة، في مجـالات عـدة، ولاسـيما قطـاع النفـط ورحلاته الاستكشـافية في الجزيرة العربية المتضـمنة ملاحظاته القيّمة عن جغرافية المنطقة وتضاريسـها ونباتها التي أفادت السـلطات السـعودية والشركات العاملـة بالبلاد في أعمال التنقيب عن النفط وإقامة المشـاريع المختلفة بهدف إحداث التطور المنشود في البلاد.





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com




ISBN 978-614-01-0781-6
9 786140 107816

تصميم الغلاف: سامح خلف

جون فيلبي

والبلاد العربية السعودية

في عهد الملك

عبد العزيز بن سعود

(1953-1915)



جون فيلبي

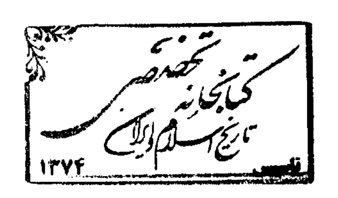
والبلاد العربية السعودية

في عهد الملك

عبد العزيز بن سعود

(1953-1915)

الدكتور صبري فالح الحمدي





الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

ردمك 978-614-01-0781-6



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

الإهداء

إلى شهيد العراق

الدكتور صالح حسن العكيلي



المحتويات

مدخل تاريخي
وتعريف بمصادر الدراسة

حينما بدأت قبل حوالي السنتين اولى الخطوات العملية بجمع النصوص التاريخية لتأليف كتابي الموسوم (المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن سعود) وهو موضوع لم يتم تناوله على وفق دراسة اكاديمية مستقلة، وصدرت طبعته الأولى عن دار الحكمة في لندن عام 2011، وجدت ان هناك شخصيات عربية وأجنبية كان لها دور في مجرى الوقائع التاريخية التي مرت بها منطقة الخليج والجزيرة العربية بداية الحرب العالمية الأولى وخلالها والسنوات التي اعقبتها، لما لهذه الحرب من انعكاسات خطيرة على التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة، في ظل استمرار الصراع العثماني- البريطاني للسيطرة عليها، ونتائج ذلك على الأوضاع السياسية الداخلية والعلاقات الخارجية لتلك الامارات، بعد خروج الدولة العثمانية خاسرة للحرب وتزايد النفوذ البريطاني.

وتأسيسا على ذلك ظلت بريطانيا حريصة على الإفادة من نتائج الحرب لادامة وجودها في الجزيرة العربية- موضوع الدراسة- معتمدة على دوائر وشخصيات دبلوماسية وعسكرية قامت بجهود كبيرة لمد جسور التعاون وبناء علاقات مع شيوخ المنطقة، والعمل على جعلهم حلفاء لبريطانيا، وقد واجهت الأخيرة مشكلة تعدد الزعامات القبلية في المنطقة، ورغبة كل طرف ان يمد نفوذه على حساب الطرف الآخر، ومن هنا كان على بريطانيا القيام بنشاط واسع لاقامة شبكة علاقات مع تلك الزعامات على وفق ما تمليه المصالح البريطانية، وبرز عدد من موفديها وممثليها اسهموا بدور ملحوظ في ادامة صلات بلادهم مع امراء الجزيرة العربية، ومنهم جون فيلبي الذي قدم بمهمة رسمية من الحكومة البريطانية

ضمن وفد ضم شخصيات أخرى لمقابلة عبد العزيز بن سعود ملك الحجاز ونجد ملحقاها، للحيلولة دون وقوع حرب بين الأخير والحسين بن علي شريف الحجاز، التي من شأنها ان تؤثر سلبا على العمليات العسكرية في جبهة العراق، الرامية إلى احتلاله، واخراج العثمانيين من البلاد.

ومع الاقرار بوجود صعوبات تتعلق بالمعلومات الخاصة بمثل هذه الشخصية البريطانية، وقلتها في بعض الاحيان، وان وجدت فهي متناثرة في ثنايا الكتب التاريخية، ولا سيما الأجنبية منها. إلا أن الباحث كان حريصا على دراسة دور فيلبي بالشؤون الداخلية للسعودية وعلاقاها الخارجية، على الرغم من وجود عراقيل في مجال البحث التاريخي عن فيلبي ونشاطه المتعدد الجوانب السياسي والتجاري، فضلا عن مجال الرحلات الجغرافية وتأليف الكتب الخاصة بتاريخ ومعالم الجزيرة العربية، لمحاولة الاحاطة بمدى مشاركته في أحداث المنطقة من خلال صلاته الوثيقة مع ملك الحجاز ونجد وملحقاها، والاتيان بدراسة علمية جديدة تتناول تاريخ السعودية الحديث والمعاصر، من بوابة تناول السياسي والتاجر والوسيط البريطاني فيلبي، وذلك يظل ديدن المؤرخين الذين يعملون ما بوسعهم للاسهام في تدوين تاريخ العرب، ولا سيما تاريخ الجزيرة العربية الذي يكتنف الغموض جوانب من التطورات السياسية التي مرت بها وعلاقاها الخارجية مع القوى المجاورة والبلدان الأجنبية.

تضمنت الدراسة في التمهيد التعريف بنشأة فيلبي وحياته الاسرية في بريطانيا، ومتابعة تعليمه بدءً من التحاقه بروضة اطفال في ويستنورن، ثم دخوله مدرسة ويستمنسر التي تعد من مدارس النخبة البريطانية، التي تفوق فيها على اقرانه، وتخرجه من جامعة كمبردج عام 1907 بدرجة امتياز، واعقب ذلك سفره إلى الهند تلبية لرغبته الشخصية في تبوأ مناصب وظيفية هناك، وتابع الباحث نشاط فيلبي في حكومة الهند التي قاربت الثمان سنوات، حتى جاء امر نقله على اثر قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914 بالسفر إلى العراق للمساهمة في الحملة البريطانية لاحتلاله، وقد عمل مسؤولا للقسم المالي بالإدارة البريطانية بالعراق التي يترأسها برسي كوكس.

اما الفصل الأول فقد استعرض في مباحثه الثلاث نشاط فيلبي السياسي بوصفه موفدا من الحكومة البريطانية منذ ان وطأت قدماه أرض الجزيرة العربية عام

1915، في محاولة ايجاد الحلول المناسبة للخلافات التي كانت قائمة بين ابن سعود أمير نجد، والحسين بن علي شريف الحجاز، بهدف توظيف امكانات المنطقة لانجاح الحملة العسكرية لاحتلال العراق واخراج العثمانيين من هناك، وحرص الحكومة البريطانية عبر ممثلها فيلبي وبمشاركة آخرين من المسؤولين في بعض الاحيان، على اتباع سياسة الموازنة بين الطرفين المتنازعين وكلاهما حلفاء لبريطانيا، ورغم وقوع معارك بين الحجازيين والنجديين حول مناطق حدودية بينهما، وتصاعد نزاعهما العسكري إلى مرحلة خطيرة، تمثلت في دخول القوات النجدية مدن الحجاز وضمها إلى الدولة السعودية بين سنوات (1924-1926)، لكن فيلبي استمر في وساطته بين الجانبين وهو الأمر الذي غطت أحداثه صفحات الفصل واختصت به.

ولم يكن فيلبي بوصفه مندوبا عن الحكومة البريطانية، ومحاولاتها تهدئة الأوضاع في الجزيرة العربية وبذل الجهود لمنع وقوع حروب بين امراءها، بعيدا عن اداء دور ملحوظ بالعلاقات النجدية- الكويتية التي شابها التوتر في غالب الاحيان، بسبب الخلافات الحدودية وتبعية القبائل الساكنة هناك لأي من الجانبين، وهو ما سلط الضوء عليه في الفصل الثاني وحتى عام 1921، فضلا عن مشاركة فيلبي بالتحركات السياسية البريطانية الرامية إلى دعم ابن سعود في جهوده العسكرية والسياسية في محاربة خصمه ابن الرشيد أمير حائل وحليف الدولة العثمانية، التي اثمرت باحتلال القوات النجدية حائل عاصمة آل الرشيد عام 1921، بعد ان دام حكمها اكثر من تسعين عاما، كما اوضحت محتويات الفصل نشاط فيلبي وجهوده الدؤوبة لإقناع السلطات البريطانية بالاخذ في آراءه باهمية توفير المساندة اللازمة لملك الحجاز ونجد وملحقاته ضد خصومه السياسيين في الجزيرة العربية، لادراكه بقدرته على اقامة دولة تتمكن من بسط سيطرتها على معظم مناطقها.

وكان لا بد لفيلبي ان يبدي ضروبا أخرى من العمل غير السياسي، ليبرهن على امكاناته في ممارسة أنشطة تجارية هذه المرة، وهو ما عالجه الفصل الثالث في مبحثه الأول، الذي تضمنته نصوصه التاريخية مدى مساهمة فيلبي في ادخال الاصلاحات إلى المملكة العربية السعودية في مجالات النقل والمواصلات بين سنوات (1926-1939) بحكم علاقته الطيبة مع ابن سعود، وإشارته إلى الملك ضرورة

العمل على تحديث البلاد العربية السعودية وادخال مظاهر التطور الحضاري اليها. اما المبحث الثاني فتابع موقف فيلبـــي من القضايا العربية خلال سنوات (1930-1952) وما شهدته المنطقة من قيام حركات تحرر عربية تطالب بالاســتقلال، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وتحركاته الدبلوماسية لحل الخلافات الحدوديـــة بـــين السعودية واليمن، فضلا عن دوره الملحوظ في المساهمة بالجهود السياســية لحـــل النـــزاع بين السعودية وكل من عمان وأبو ظبـــي وقطر بشأن واحة البريمي ذات الاهمية الجغرافية والاقتصادية للأطراف المتنازعة، وتأتي تحركاته من معرفتـــه اهميـــة تجنب المنطقة حروب جديدة، وان تبقى بريطانيا هي المهيمنة على ســـائر شـــؤون الخليج والجزيرة العربية.

وتطرق الفصل الرابع إلى فيلبـــي والعلاقات السعودية- الأمريكية (1928-1945)، بدءً من مشاركته في موضوع اعتراف الولايات المتحدة بمملكة الحجـــاز ونجد وملحقاتها، وسعيه لإقناعها بهذا الخصوص متمثلا برغبته تحقيق ذلـــك. امـــا الجانب الاقتصادي بالعلاقة بين الدولتين فنلمس دور فيلبـــي بالمفاوضات المتعلقـــة باستثمار الشركات الأمريكية للنفط السعودي، ممثلا عن الحكومة السعودية منـــذ مطلع عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، ولقاءه اكثر من مرة مع مندوبين عـــن شركة كاليفورنيا النفطية الأمريكية، وقد أدى تعثر المفاوضات في بعض الاحيـــان بسبب اختلاف وجهات نظر الدولتين، لكن فيلبـــي تمكن من دفـــع الشـــركات الأمريكية باتجاه تشجيعها القيام بعمليات التنقيب عن النفط في الاحساء، وابعـــاد الشركات البريطانية عن المنافسة، وتشجيع الأولى على دفع امـــوال وقـــروض إلى السعودية لمعالجة أوضاعها الاقتصادية، ونقل البلاد إلى مرحلة جديدة من التطور في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وكان من الضروري تناول جوانب أخرى من حياة هذه الشخصية البريطانية التي اختص الفصل الخامس بدراستها، وأبرزها رحلات فيلبـــي الاستكشـــافية في شبه جزيرة العرب، وجهوده الايجابية بهذا المضمار، فضلا عن محاولة التعرف على شخصيته، وذكر الآراء التي قيلت بشأن ملامح شخصيته، ثم عرض آراء فيلبـــــي في كيفية نشوء الدولة السعودية وتطورها وما هو تفسيره التاريخي لهذه التحولات، كما تم بيان الاسباب التي دفعت فيلبـــي إلى مغادرة المملكة العربية السعودية عـــام

1955 بناء على اوامر من حكومتها، وهو ما شكل فاصلا تاريخيا انهى المدة الزمنية لموضوع البحث، واختتم الفصل مبحثه الأخير بذكر مؤلفات فيلبي المدونة باللغة الإنكليزية، والأخرى التي تم ترجمتها إلى اللغة العربية، وكلها دلائل تشير إلى امكانات فيلبي التي جمعت بين خبرته الدبلوماسية التي اكتسبها كمفاوض دخل في مباحثات مع أطراف محلية ودولية، فضلا عن اداءه للنشاط التجاري ووساطته لدى الشركات الأمريكية والبريطانية لاستثمار نفط السعودية، وممارسته انواع أخرى من التجارة الخاصة بها، حين عمل موردا للسيارات الأمريكية التي راحت تدخل البلاد السعودية.

اعتمدت الدراسة بهدف الحصول على المعلومات التاريخية التي احتوتها الفصول المذكورة على مصادر متنوعة، كانت في مقدمتها الوثائقية، واهمها كتاب (الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية) للباحث نجدة فتحي صفوة، الذي افادنا بتزويدنا بالمراسلات التي جرت بين فيبلي والسلطات البريطانية، ومع زعماء الجزيرة العربية، ولا سيما أمير نجد وشيخ الكويت وشريف الحجاز، الذين عرفوا بعلاقاتهم الطيبة بالسلطات البريطانية، فضلا عن مصادر لا مجال لذكرها هنا، كما تم الإفادة من الكتاب الوثائقي المعنون (The Records of the British Residensy) لمؤلفته بنيلوب تيسون (Penelope Tuson) الذي دعم محتويات الدراسة بمعلومات قيمة عن النشاط البريطاني المتعدد الجوانب، واتصالاته مع شخصيات المنطقة، فكان عونا للباحث بالتعرف على دور فيلبي في توجهات السياسة البريطانية، ولا سيما بعيد اندلاع الحرب العالمية الأولى ولسنوات لاحقة، فضلا عن رجوع الباحث وبهدف ترصين المحتوى العلمي لدراسته، إلى عدد من الكتب تضمنت معلومات لا غنى عنها فيما يتصل بمدى مساهمة فيلبي بوصفه ممثلا للحكومة البريطانية لدى امراء وشيوخ الجزيرة العربية، في تحقيق أهداف السياسة البريطانية بالمنطقة، واهمها المعنون (Phiipy of Arabian) المؤلف من قبل اليزابيث مونرو (Elizabith Monroe) وأهميته تكمن في وجود وثائق بريطانية بين ثنايا الكتاب، الامر الذي مكننا من الاطلاع على حقائق جديدة ذات علاقة بموضوع بحثنا.

وكان من الضروري الالتزام بمنهجية البحث التاريخي والإفادة من الرسائل الجامعية المتخصصة بتاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، بوصفها تعد جهدا

علميا لا يمكن اغفال المعلومات الواردة بها، تأتي في مقدمتها رسالة مفيد كاصد ياسر الزيدي الموسومة (سياسة بريطانيا تجاه آل سعود 1915-1927) التي اعتمد صاحبها على وثائق بريطانية وعثمانية ذات اهمية بالعلاقة البريطانية- السعودية ونجاحها في تسليط الضوء على السياسة البريطانية ذات الصلة بنشاط فيلبي في المملكة العربية السعودية منذ قيام الحرب العالمية الأولى وحتى عقد معاهدة جدة عام 1927 بين ابن سعود والحكومة البريطانية التي جعلت منه حاكما مستقلا على بلاده، كما تم الإفادة من النصوص التاريخية التي احتوتها رسالة سمية أمين ياسين المعنونة (تكوين المملكة العربية السعودية 1918-1932) لافرادها فصل اختص بالسياسة البريطانية نحو الاسرة السعودية وبيانها مسيرة العلاقات البريطانية-النجدية، فكان من الطبيعي ان يبرز اسم فيلبي في تلك العلاقات. اما فيما يخص العلاقات السعودية الأمريكية فتم الرجوع إلى ما كتبه علي عظم محمد عباس الكردي في رسالته الموسومة (العلاقات السعودية- الأمريكية 1945-1953) فكانت معلوماتها خير عون للباحث بالاطلاع على سير المفاوضات بين الدولتين في مجالها السياسي والنفطي، والتعرف من خلالها على ما اداه فيلبي من نشاط ملموس في تقريب وجهات النظر، ولا سيما فيما يتعلق باعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالمملكة العربية السعودية، وتشجيع شركاتها النفطية إلى ولوج ميدان استثمار النفط السعودي.

وبغية التزود بالمعلومات الخاصة بنشاط فيلبي واثره بأوضاع السعودية الداخلية وعلاقاتها الخارجية، لا بد من الاطلاع على الكتب العربية، التي ألفها مؤلفون عرب وسعوديون، لأهميتها في توضيح العديد من القضايا التي تطلب البحث وضروراته الخوض في تفاصيلها، وهي متعددة المجالات، لا سيما السياسية والاقتصادية، يأتي في مقدمتها مؤلف خيري حماد المعنون (عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث) الذي يعد من اهم المصادر التي اعانت الباحث بتفاصيل كثيرة عن حياة هذه الشخصية البريطانية، وتابع نشاطاته المتنوعة، سواء كان ممثلا رسميا للحكومة البريطانية، أو وسيطا في مجال استثمار النفط السعودي نيابة عن المملكة مع الشركات الأمريكية والبريطانية، أو عبر رحلاته الاستكشافية لارتياد مناطق في الجزيرة العربية، وهي مناطق مقفرة وخالية من الإنسان والنبات، لانعدام

مقومات الحياة فيها، ووصفه لمعالمها الجغرافية من حيث التضاريس والنبات وغير ذلك.

وهناك كتابين للمرحوم طالب محمد وهيم، الأول (مملكة الحجاز 1916-1925) والثاني عنوانه (التنافس البريطاني - الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه) فالأول اغنى أحد فصول الكتاب بمعلومات وافرة عن النزاع النجدي- الحجازي ونتائجه على الجزيرة العربية، والثاني في دعم محتويات الكتاب، وبخاصة ماهية التنافس بين تلك الدولتين على نفط الاحساء وكيفية تعامل الجانب السعودي إزاءه، وهنا نلحظ دور فيلبي في تلك المفاوضات ممثلا عن الجانب السعودي هذه المرة.

وعلينا ان لا نغفل اهمية ما ألفه مستشاري الملك عبد العزيز بن سعود، وهم القريبون من مجرى الأحداث وتطوراتها، واخص بالذكر منهم، حافظ وهبة في كتابيه (جزيرة العرب في القرن العشرين)، و(خمسون عاما في جزيرة العرب)، فضلا عن فؤاد حمزة في كتابه المعنون (قلب جزيرة العرب) وهؤلاء عاصروا تلك التطورات السياسية التي وقعت وقد احتلت حيزا من تاريخ المملكة العربية السعودية تجاوزت النصف قرن من الزمان، وعلينا ان لا نغفل اهمية بعض الكتب الأجنبية التي تم ترجمتها إلى اللغة العربية، وزودتنا بكم هائل من المعلومات التي رفدت موضوع البحث بافكار جديدة ساعدت على استنباط نتائج على صعيد التحليل العلمي للوقائع التاريخية بعيدا عن الانحياز لاي من القوى المتنافسة.

على أن الآثار التي تركها فيلبي - صاحب الدراسة- واعني بذلك مؤلفاته المدونة باللغة الإنكليزية، والأخرى المترجمة إلى العربية، وهي في حقيقة الامر تمثل معينا لا يمكن الاستغناء عنه لكل من يبحث في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، وموقف بريطانيا وتصاعد الاهتمام الأمريكي بالسعودية فيما بعد، لان فيلبي كان معاصرا لأحداث المنطقة ومعايشا لتطوراتها بحكم صلاته مع الاسرة السعودية، فضلا عن كونه كان ينوب عن الحكومة البريطانية في احيان كثيرة، عبر اكثر من (35) عاما قضاها هناك، يمارس أنشطة متعددة، سنجدها في ثنايا الكتاب، ففي وقت كان فيه يتولى القيام بدور المفاوض نيابة عن بريطانيا مع الحكومة

السعودية، وغيرها من القوى السياسية بالمنطقة، يقوم وفي مناسبات عدة بممارسة التجارة من خلال توريده للبضائع والسلع من الدول الأوربية والولايات المتحدة إلى السعودية، ثم ينتقل ليمثل الأخيرة في مفاوضات بشأن القيام بعمليات استخراج النفط من أراضيها، لذلك عول الباحث على تلك الكتب، لأهميتها في استكمال متطلبات بحثنا، عبر الإفادة من المعلومات القيمة التي وردت فيها، وان كانت بحدود معينة، وهي تظل بحاجة إلى دراسات مستفيضة للاطلاع على مخزون المعلومات الواردة فيها.

اما الكتب الأجنبية التي عززت من فصول الكتاب فهي كثيرة لا يسع المجال لذكرها في هذه السطور، لانها تنوعت ما بين مصادر ألفها رحالة أوربيون وفدوا إلى الجزيرة العربية في فترات زمنية متباينة، ودونوا ملاحظاتهم عما شاهدوه في المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها، وآخرون كانوا قد شاركوا باعمال سياسية أو تجارية، حسب طبيعة المهمة المكلفين باداءها من شركاتهم أو حكوماتهم، ومنهم توتشيل Twitchell في كتابه (Saudi Arabia with an Account of its Natural Resources) وهو ممثل شركة كاليفورنيا النفطية الأمريكية الذي إلتقى ابن سعود وتباحثا في مجال استثمار نفط بلاده، وكان فيلبي ضمن الاشخاص المكلفين من قبل ابن سعود بمتابعة استثمار النفط، إلى جانب كتاب (The life of Sir Percy Cox) لمؤلفه فيليب كريفز Philip Graves الذي يضم بين دفتيه معلومات وفيرة عن كوكس مسؤول الإدارة المدنية في العراق، وممثل بريطانيا في الخليج العربي بعد ذلك، ويجد الباحث ما يريده من تفاصيل عن تحركات فيلبي والمهام التي كلف بها من كوكس، لانه كان من الفريق العامل بمعية المسؤول البريطاني، وهو الامر الذي ساعدنا في الكشف عن بعض الأمور التي كانت بحاجة إلى التوضيح والتطرق في تفاصيلها، وهناك مصادر أخرى ايضا لا يمكن تجاهل أهميتها.

وان الباحث في الوقت الذي يحمد الله سبحانه وتعالى على عونه في انجاز هذا الكتاب، يرجو مخلصا ان يكون ذلك فاتحة خير لدراسات جديدة تتناول جوانب أخرى من تاريخ الجزيرة العربية عامة، والمملكة العربية السعودية خاصة، التي لم يتم تناولها على وفق دراسة علمية اكاديمية، إلى وقتنا الحاضر في تاريخها الحديث والمعاصر، فانه يضع جهده العلمي المتواضع بين ايدي الباحثين والدارسين، الذين

يرومون الاطلاع ومعرفة سيرة ونشاطات الشخصيات العربية والأجنبية التي اثرت وفي حدود معينة في أحداث المنطقة وتطوراتها من خلال اداءهـــا ادوارا مختلفـــة، وكان فيلبـــي أحد اولئك الرجال الذين اسهموا بشكل أو بآخر، ضمن المهام التي قام بها، في مجال الشؤون السياسية الداخلية للمملكة العربية الســـعودية وعلاقاتهـــا الخارجية.

ومن الله نستمد العون والتوفيق.

المؤلف

بغداد

في 2012/10/25



التمهيد

نشأة فيلبي والوظائف
التي تقلدها في حكومة الهند
حتى إلتحاقه بحملة احتلال العراق
عام 1914



1- توطئة:

هذه الدراسة ستحاول الكشف عن شخصية بريطانية اسهمت في ادوار مختلفة في الوقائع التاريخية التي مرت بها الجزيرة العربية عامة، والمملكة العربية السعودية خاصة، في ظل اشتداد التنافس العثماني - البريطاني للسيطرة على المنطقة، فضلا عن تصاعد الصراع بين زعماء الجزيرة العربية، في محاولة كل طرف تحقيق أهدافه على حساب الطرف الآخر، فيما كانت بريطانيا تراقب الأحداث عن كثب وتبذل مساعيها عبر ممثليها في الخليج والجزيرة العربية، لادامة صلاتها هناك، عبر زيارات مندوبيها إلى المنطقة، ولقاءاتهم المستمرة مع شيوخها، وكان فيلبي أحد الذين مثلوا بريطانيا وسياستها تجاه الحجاز ونجد التي حظيت باهتمام الحكومة البريطانية.

وكان من الطبيعي في تناول دور شخصيات في الأحداث التاريخية، ان يجهد الباحث نفسه، في الالمام قدر المستطاع بنشأة تلك الشخصيات والولوج إلى معالم طفولتها وسيرتها الدراسية والعملية، بوصفها عاملا ذات شأن في بلورة معالم الشخصية المطروحة للدراسة، ومن هنا جرى تتبع النصوص من مصادرها التي اوضحت نشأة فيلبي وحياته الاسرية، مما كان مؤشرا على امتلاكه امكانات وقدرات تجلت في نبوغه المبكر وتفوقه الدراسي على اقرانه، وهي الخطوة الأولى التي شكلت ركيزة في الانطلاق لممارسة فيلبي واجباته التي كلف بها في حكومة الهند البريطانية.

ستعالج الدراسة ايضا تدرج فيلبي للوظائف الادارية التي تقلدها في الهند ممثلا لبريطانيا، فضلا عن تعلمه للعديد من اللغات، التي ساعدته على إدارة دفة المفاوضات مع زعماء المنطقة أو ممثلين عنهم في تلك اللقاءات، والتحول بعد ذلك إلى توثيق صلاته مع شيوخ الجزيرة العربية، حتى تم التحاقه بامر من حكومته بحملة احتلال العراق عام 1914، التي تولى بها إدارة الشؤون المالية، تحت امرة برسي كوكس الذي كان على رأس الإدارة البريطانية في العراق، مما اعطاه الفرصة للاطلاع على شؤون العراق الداخلية، من خلال التعامل مع السكان ومعرفة أوضاع البلاد المختلفة.

2- نشأة فيلبي والوظائف التي تقلدها في حكومة الهند حتى التحاقه بحملة احتلال العراق عام 1914:

هو هاري ست جون بريدجر فيلبـــي (Harry St. John Philpy) ولـــد في جزيرة سيلان (سيرلانكا) من اصول بريطانية في 3 نيسان 1885، حيث كان ابوه من مزارعي الشاي البريطانيين فيها، وهو الابن الثاني للاسرة، وكان والـــده قـــد ارتحل طلبا للرزق بعد وفاة ابيه، ولفيلبـــي اربعة من الاخوة هم: توم وجاك وتيم وبادي، وعندما كبرت العائلة رأى ربها ان يعود بها إلى بريطانيا عام 1891، وقـــد التحق بروضة اطفال في ويستتورن تديرها السيدة روث، ووصف فيلبـــي انه شقيا منذ طفولتهن إذ رويَّ عنه، انه كان في طريق ذهابه إلى الروضة وايابه منها يكثـــر من قرع اجراس الابواب التي يمر بها، ويفر هاربا قبل ان تفتح هذه الابـــواب، وفي عام 1894 إلتحق مع اخيه الاكبر توم بمدرسة داخلية في هينفيلد تديرها سيدة شابة مع زوجها، ويقول فيلبـــي عن مدرسته هذه: "انها كانت بيتا تحيط بـــه المـــروج الغناء، وتنساب فيها بعض الجداول، وتمتد في رحابها ملاعب رياضية واسعة تقع في نهايتها كنيسة قريبة يؤمها طلاب المدرسة، وكانت الدراسة فيها تقليدية"[(1)].

ويروي فيلبـــي ان امه اضاعته وهو في سني الرضاعة، فقد قضت أحد الاعياد عند اسرة صديقة في مكان قريب، ثم انشغلت في اعداد متاعها للعودة، ومضـــت بعد ذلك في طريقها إلى البيت، وبعد ان قطعت مسافة طويلة تبين لها انها قد نسيت شيئا هاما، وهو طفلها الرضيع، فبعثت بالخدم يبحثون عنه في الطريق فلعلـــه قـــد سقط منها، وسرعان ما رأوا غجرية تحمل طفلين رضيعين في عمر واحد وبينـــهما شبه عجيب، كان هو احدهما، وكان الثاني ابن الغجرية، وقد عثرت عليه هذه في الطريق، فنـــزعت عنه بعض ملابسه الجميلة المترفة والبســـتها لولـــدها، فأصـــبح الرضيعان متشابهان، حتى ان الغجرية لم تدر ايهما ولدها، وان الخدم اخذوا احسن الطفلين ملابس، ولا يدري أحد لحد الان، هل كان الذي اخذوه هو ابن الغجرية، ام ابن سيدهم الحقيقي[(2)].

1- خيري حماد، عبد الله فيلبـــي قطعة من تاريخ العرب الحديث، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1961، ص 18 و27-29.
2- المصدر نفسه، ص 27-28.

وفي عام 1898 انتقل إلى مدرسة ويستمنستر، التي تعد من مـدارس النخبة البريطانية، اظهر فيها فيلبـي نبوغا مبكرا وتفوق على اقرانه فنال المرتبـة الأولى، ونظرا لتميزه في تعليمه حصل على منح دراسية مختلفة[1]، ثم انتقل إلى كلية ترينتي في جامعة كمبردج وتخرج منها عام 1907 حاصلا على درجة الامتياز[2].

ونظرا لطموحات فيلبـي الشخصية ورغبته في تبوأ مناصب اداريـة تليـق وتطلعاته، فقد سجل اسمه عام 1907 بقوائم الراغبين في العمل بحكومـة الهنـد، واجتاز دورة تدريب في اللغات الشرقية والقانون الهندي والتـاريخ، ثم سـافر إلى فرنسا والمانيا حيث تعلم اللغتين الفرنسية والالمانية بسرعة فائقـة، وبـدأ بـتعلم الهندوستانية والفارسية وبعض مبادئ اللغة العربية، وفي بداية تشرين الثـاني 1908 استقل فيلبـي الباخرة من ميناء ليفربول البريطاني في طريقه إلى الهند، ليصبح أحد اعمدة الامبراطورية البريطانية، وقدر له ان يقضي عشر سنوات متوالية فيها، وقـد وصلت الباخرة ميناء بومباي في 2 كانون الأول 1908، وسرعان ما تلقى فيلبـي الامر بالتوجه في القطار إلى لاهور، لكن قطاره اصطدم بقطار آخر على مقربة من مصطفى آباد وسقط العشرات الذين قدر عددهم بـ (50) قتيلا وجريحـا، إلا أن فيلبـي كان من الناجين، إذ نقله قطار آخر من لاهور إلى جيروم التي أصـبحت مستقره للسنوات التالية من حياته، وقد شعر بالسعادة في هذه المنطقة الجبلية الرائعة التي تقع على حدود الهند الشمالية التي تطل جبالها المكسوة بالثلوج على مقاطعـة كشمير، وهناك اجتاز بتفوق امتحان أعدته الإدارة الهندية لموظفيها فـتعلم اللغـة النبجايية[3].

يمكننا القول في ضوء عرض المعلومات السابقة ان هذه المرحلة مـن عمـل فيلبـي قد اتسمت باكتسابه الخبرات والمهارات الادارية بعمله الوظيفي، وتمكنـه من اثبات مقدرته ونيل ثقة المسؤولين في حكومة الهند، ولعل نجاحه في اختبـارات

1- عوض البادي، الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية 1845-1922، ط2، الـدار العربية للموسوعات، بيروت، 2002، ص 47؛ خيري حماد، عبد الله فيلبـي، ص 29.

2- سحر عباس خضير، جون فيلبـي واثره السياسي في العراق، رسالة ماجسـتير غـير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996، ص 61.

3- نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، المجلد الرابـع، 1919، ط2، دار الساقي، بيروت، 2010، ص 90.

اتقان اللغات الشرقية والقانون الهندي، فضلا عن كفاءته الادارية في تولي مهام عدة في تلك البقاع طيلة تلك السنوات التي قضاها هناك، ما يعزز ما ذهبنا إليه، حتى صار موضع احترام وتقدير رؤسائه، نظرا لجهود فيلبي بالعمل في خدمة حكومة الهند وتحقيق أهداف السياسة البريطانية في عموم المنطقة.

وبعد ان قضى تسعة شهور في مرحلة التدريب والتمرين، صدر الامر بنقل فيلبي إلى راولبندي، وقد تعرف في احدى الحفلات الراقصة التي تقام في ناديها إلى (دورا) ابنة ادريان جونستون، المهندس في مديرية الاشغال العامة بالمدينة فأحبها، وتمت خطوبتهما في شهر نيسان 1910، وبهذه المدينة تزوج وأصبح له ولده البكر (كيم) الذي صار فيما بعد من رجال الصحافة المعدودين في بريطانيا، وعدته الوثائق البريطانية فيما بعد بوصفه اخطر جاسوس بريطاني عمل لصالح الاتحاد السوفيتي، ويلاحظ في هذه المدة اجتياز فيلبي امتحانا باللغة الاوردية وتعلمه اللغة البلوجية والفارسية، ومع حلول عام 1914 بدأ يخطو في تسلم الوظائف التي اوكلت إليه، بعدها تم نقله نائبا لحاكم ولاية لابلايور، ثم نقل رئيسا لقسم الصحافة بدائرة التحقيقات الجنائية في البنجاب، وبذلك اشتغل فيلبي قرابة الـ (8) سنوات في حكومة الهند، قبل إلتحاقه بالدائرة السياسية في حملة احتلال العراق[1].

وعلى اثر دخول القوات البريطانية الأراضي العراقية عقب قيام الحرب العالمية الأولى، ووصول برقية من مقر نائب الملك في الهند، يأمر فيها فيلبي بالسفر إلى العراق للانضمام إلى الحملة العسكرية التي اتجهت إليه من الهند لاحتلاله، وتهديد جناح الامبراطورية العثمانية[2]، فيما شرع برسي كوكس[3] (Percy Cox) في

1- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 30-33.
2- المؤلف نفسه، اعمدة الاستعمار في الوطن العربي، الحلقة الأولى عبد الله فيلبي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ص 27-54.
3- برسي كوكس (1864-1937): من الشخصيات البريطانية ينتمي إلى اسرة بوتون (Button) العريقة، عمل في حكومة الهند عام 1889، ثم صار قنصلا في مسقط عام 1899، وفي بوشهر عام 1909، وتدرج في سلم الوظائف حتى أصبح مقيما لبلاده في الخليج العربي، شارك في إدارة العراق بعد احتلاله عام 1914، وأصبح رئيس الحكام السياسيين ومندوبا ساميا لبريطانيا بالعراق بعد ثورة عام 1920.
- Philip Graves; The Life of Sir Percy Cox, London (N.D) p. 20-25.

إقامة الحكم المدني، فكان على رأس القسم السياسي للحملة لبريطانية، وقام بالتصدي ومعالجة المشكلات الادارية، وقد وضعت حكومة الهند تحت امرة كوكس خيرة الضباط المؤهلين للعمل في إدارة العراق، ومنهم فيلبي[1] للقسم المالي، فضلا عن نوكس[2] للقسم الاداري، ومس بيل[3] التي كانت محور الدائرة السياسية، مع العشائر ورجال آخرون كانوا يتولون مسؤوليات أخرى[4].

ولا بد لنا من التنويه إلى الجهود السياسية والعسكرية التي بذلتها الحكومة البريطانية بهدف الحاق الهزيمة بالقوات العثمانية في العراق والشام، وانهاء النفوذ العثماني في شمال الخليج العربي، وكانت الحملة العسكرية البريطانية لاحتلال العراق عام 1914 اهم الوسائل للوصول إلى تلك الغايات، بعد ان اتت الجهود البريطانية اكلها والتي استمرت زهاء ثلاثة قرون في جعل الخليج العربي منطقة نفوذ بريطانية، قبل قيام الحرب العالمية الأولى، وقد عبر عن هذه

1- في هذه الاثناء عين كوكس فيلبي رئيسا لدائرة الواردات، فضلا عن منصبه الاصلي كمساعد مالي للمندوب السياسي، وبعث إلى زوجته يدعوها المجيء إلى البصرة والاقامة فيها، ووصلت إلى مسامع فيلبي انباء مصرع اخيه الثاني (تيم) في الجبهة، ويتحدث فيلبي عن هذه الفترة من حياته فيقول: "كان فصل نضوج التمر في عنفوانه، وكنت اقضي اطول وقت ممكن في العراء، اجوب الحدائق والبساتين، واراقب عملية جني المحصول باحثا مع الناس في احوال الموسم واسعار التمور، والعلاقات بين اصحاب النخيل وتجار التمور، وكانت البواخر الأمريكية الضخمة تؤم الميناء لنقل صناديق التمر إلى العالم الجديد، وكثيرا ما جلت في زورقي، أو على صهوة جوادي في ضواحي البصرة، لاطلع على احوال المنطقة الزراعية وما شابه ذلك من المواضيع، وشرعت ارسم الخرائط للمناطق التي ازورها، مما يعينني كثيرا في العمل الذي اقوم به كمدير للواردات. خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 39.

2- ستيورات جورج نوكس (Stewart Nox): كان برتبة مقدم، أصبح عضوا في لجنة شكلتها الحكومة البريطانية في نيسان 1915 لإدارة العراق بالاستناد إلى القوانين الهندية والعثمانية. علي ناصر حسين، الإدارة البريطانية في العراق 1914-1921، بغداد، 2008، ص 96.

3- كير ترود بيل (1868-1926): من مواليد درهام، اكملت دراستها بالتاريخ في اكسفورد، تعلمت العربية والفرنسية والالمانية، وتولت وظيفة السكرتير الشرقي لبرسي كوكس بالعراق، وبعده ارنولد ويلسون عام 1918، وفي عام 1920 مع كوكس، نشرت رسائلها في مجلدين عام 1927 التي وضحت دورها بالسياسة البريطانية بالعراق والمنطقة، رسائل جيرترودبيل 1899-1914، ترجمة رزق الله بطرس، دار الوراق، لندن، 2008.

4- منتهى عذاب ذويب، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية 1864-1923، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1995، ص 104.

التوجهات اللورد كرزن[1] (Lord Curzon) نائب الملك في الهند منذ أواخر القرن التاسع عشر، حينما قال: "بأن العلاقة بين بريطانيا والخليج قد انتقلت من دفاتر التجار إلى حقائب الساسة"، كما حق لكيرزن نفسه أن يصرح عام 1911 في مجلس اللوردات بالتصريح الخطير الآتي: "إنه من الظلال أن يظن أن مصالحنا السياسية مقصورة على الخليج، إنها ليست مقصورة على الخليج، إنها ليست مقصورة على المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد، بل إنها لتمتد قدما حتى تصل بغداد ذاتها"[2].

ومن الجدير بالذكر ان القوات البريطانية تمكنت من دخول شط العرب في 5 تشرين الثاني 1914، وعند وصولها في ذلك التاريخ كانت الدولة العثمانية قد اعلنت الحرب على بريطانيا قبل ذلك بأيام قليلة، مما يشير ان تلك الحملة كانت امرا مقررا سواء اعلنت الدولة الحرب ام لم تعلنها[3]، وقد تباينت آراء الزعماء والقادة البريطانيين بشأن اعطاء الافضلية لامراء الجزيرة العربية، فمكتب الهند كان يرى اهمية دعم عبد العزيز بن سعود[4] بالمال والسلاح، بينما دعم المكتب

1- ولد جورج ناثينال سكارسدال كرزن (George Nathaniel Scarsdale Curzon) في مدينة كيدليستون في مقاطعة دربي شاير البريطانية، أكمل دراسته الابتدائية والثانوية بتفوق، وتخرج من جامعة اكسفورد بدراسة الأدب في تشرين الأول 1878، ثم دخل معترك السياسة في تأييده لحزب المحافظين وعمره خمسة عشر عاما، وحقق فوزا بانتخابات مجلس العموم البريطاني في 15 أيلول 1886، بعدها عين في عام 1891 وكيلا لوزارة الهند، ووظائف أخرى. فرح باسم إبراهيم، اللورد كرزن ودوره في توجيه السياسة البريطانية في الخليج العربي حتى عام 1905، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2006، ص 6-15.

2- نقلا عن: عباس ياسر الزيدي، القوى الاستعمارية والخليج العربي 1600-1914، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني عشر، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980، ص 450-451.

3- John Marlow; The (Persian) Gulf in the 20th Century (N.D), p. 14-15.

4- عبد العزيز بن سعود (1902-1953): هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود، تمكن عام 1902 من استعادة الرياض من سيطرة آل الرشيد امراء حائل، وتبع ذلك استيلاءه على نجد والمدن المجاورة لها واحتلال الاحساء عام 1913، احتفظ بعلاقات طيبة مع بريطانيا والدولة العثمانية، لكنه مال إلى بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى. فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 372-373.

العربـــي في القاهرة الحسين بن علي[1] شريف الحجاز وضرورة تقـــديم المـــال والسلاح له[2].

وعلى الجانب الآخر حرصت بريطانيا على توظيف امكانات امراء الخليج والجزيرة العربية وإلزامهم بسياسة موحدة، إذ كانت تخشى في اثنـــاء وقـــوع العمليات العسكرية في شمال الخليج العربـــي وشط العرب والبصرة، ان تستغل الدولة العثمانية العاطفة الدينية لجذب أولئك الرؤساء إلى جانبها بشـــكل قـــد يؤدي إلى عرقلة الجهد البريطاني العسكري[3]، فضلا عن اتباعها سياسة التهدئة بين ابن سعود أمير نجد، والحسين بن علي شريف الحجاز لتحقيـــق الأهـــداف نفسها، فيما اخذ يتضح دور أمير نجد في الجزيرة العربية، منذ ان استعاد الرياض عاصمة نجد عام 1902 من حكم آل الرشيد[4]، ثم خوضه سلسلة من المعارك، تمكن على أثرها من بسط نفوذه على مناطق واسعة من الجزيرة العربية، امتدت من الحدود العراقية والأردنية إلى تخوم الربع الخالي ومن البحر الاحمر إلى الخليج العربـــي[5].

ونحن نختم حديثنا عن علاقة فيلبـــي مع مسؤولي الإدارة البريطانية الـــذين عمل معهم قبل توجهه إلى الجزيرة العربية، ولا سيما مع كوكس ومـــس بيـــل،

1- الحسين بن علي (1916-1926): ولد في الاستانة عام 1853، وانتقل منها إلى مكـــة المكرمة مع اسرته وهو في الثانية عشر من عمره، وذلك عند اسناد منصب الشـــرافة إلى جده محمد بن عون عام 1855، عاش في الحجاز وعاصر النـــزاع التقليدي بـــن اســـر الاشراف على الحكم، حتى آلت إلى الحسين بن علي عام 1908، وتدهورت علاقاته مع الدولة العثمانية بعد اعلانه الثورة عليها في 10 حزيران 1916. طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز 1916-1925 دراسة في الأوضاع السياسية، مركز دراسات الخليج العربـــي، جامعة البصرة، 1982، ص 22-57.

2- ارمسترونغ، سيد الجزيرة عبد العزيز آل سعود، ترجمة رافد خيشان الاسدي، ط1، دار الوراق للنشر، لندن، 2009، ص 164.

3- جمال زكريا قاسم، المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى علـــى امـــارات الخلـــيج العربـــي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس عشر، القاهرة، 1969، ص 128-129.

4- لمزيد من التفاصيل عن حكم آل الرشيد في امارة حائل ينظر: جبار يحيى عبيد. التاريخ السياسي لامارة حائل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعـــة بغـــداد، 1987.

5- الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربـــي، بيروت، ع س-1101/1.

وطبيعة هذه العلاقة، كما وردت على لسان فيلبي نفسه إذ يقول: "ومضت الحياة في المكتب على هذا المنوال بصورة رائعة، فكوكس يعترف بان فيلبي قد ازاح عن كاهله الكثير من الاعباء والمتاعب، وجرترودبيل التي كانت لا تنقطع عن الدخول إلى مكتب فيلبي كل ساعة، تشكر له هذه العناية، لانه اتاح للرئيس الوقت الكافي للاجتماع إلى الشيوخ والوجهاء الذين كانوا يصرون على مقابلته شخصيا، وكان في الماضي كثيرا ما يعتذر عن لقاءهم بسبب كثرة مشاغله، وهكذا عملنا ثلاثتنا في انسجام وكنت اشعر بمنتهى السعادة عندما نجتمع في غرفة كوكس عصر كل يوم لتناول الشاي، فنبحث في مختلف المواضيع على أساس غير رسمي[1].

إلا أن الأحداث اللاحقة اشرت وجود خلاف بين فيلبي وكوكس، بسبب اختلاف وجهات نظرهما بشأن السياسة البريطانية المتبعة في العراق، ويشير خيري حماد إلى أن الخلاف كان قد اشتد بين فيلبي وبين ويلسون المقيم البريطاني في البصرة، والذي كان يواصل اعداد خططه دون اكتراث بالسياسة البريطانية الرسمية المعلنة، وبوعود بريطانيا للعرب، عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى، لتكون بلاد ما بين النهرين، نواة لمنطقة جديدة تضم إلى ربوع الامبراطورية البريطانية، وكان فيلبي يواصل في الوقت نفسه محاولة وقف ويلسون عند حده وافشال خططه، لانه كان يرى فيه تجاهلا فاضحا لمصالح بريطانيا الحقيقية، التي تتطلب منها الحفاظ على عهودها لاهل العراق، واقامة علاقة من الصداقة الوطيدة الدعائم معهم، وكان في موقفه هذا يحظى بتأييد ترودبيل ولورنس نفسه، الذين يعارضان في اية خطة ترمي إلى ضم العراق إلى حكومة الهند"[2]، ان هذا الاختلاف بين آراء الشخصين قد اتسع بمرور الوقت حتى كان عاملا أدى إلى مغادرة فيلبي العراق إلى الجزيرة العربية، ليبدأ من هناك دوره السياسي، فضلا عن مهام أخرى في التطورات السياسية الداخلية التي شهدتها المملكة العربية السعودية وعلاقاتها الخارجية.

1- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 47.

2- المصدر نفسه، ص 49.

3- استنتاجات البحث:

خلصت الدراسة إلى استنتاجات أبرزها:

اولا: اسهمت نشأة فيلبي وحياته الاسرية والبيئة التي ترعرع بها في بلورة شخصيته إلى حد ما، التي تميزت بنبوغه الفكري منذ طفولته، منذ التحاقه بروضة الاطفال، مرورا بتعلمه المواد المقررة في مدرسة ويستمنستر التي تعد من مدارس النخبة البريطانية، وتفوقه على زملاءه في نيله للمرتبة الأولى، حتى تخرجه من كلية ترينتي في جامعة كمبردج ذات المكانة العلمية والسمعة العالمية المعروفة، وهذه المحطات كونت الأرضية التي أرسلت البناء الفكري والطموح الذي كان يلازم فيلبي وهو لا يزال في مراحل حياته المبكرة.

ثانيا: تبين من البحث ان رغبات فيلبي في تولي وظائف ادارية قد تحققت عقب سفره إلى الهند عام 1908، وما تبع ذلك من نجاحه في اجتياز دورة تدريب في اللغات الشرقية والقانون الهندي والتاريخ، وبدأ تعلمه الهندوستانية والفارسية والبعض من مبادى اللغة العربية، وتكليفه بالمشاركة من حكومة الهند البريطانية في إدارة مدن لاهور وجيروم، حتى صدر الامر بنقل فيلبي إلى راولبندي عام 1910، وتوليه منصب نائب لحاكم ولاية لابلايور، ثم رئيسا لقسم الصحافة بدائرة التحقيقات الجنائية في البنجاب، وهي دلائل توضح مساهمته في الإدارة البريطانية بحكومة الهند للسنوات التي ذكرناها.

ثالثا: استخلصت الدراسة حقيقة مؤداها ان ما حققه فيلبي من اثبات لامكاناته لدى حكومة الهند البريطانية، كانت مشجعة للأخيرة، في إصدار نائب الملك هناك امرا بسفر فيلبي إلى العراق، على اثر اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 للمشاركة في الحملة البريطانية لاحتلال العراق، تحت امرة برسي كوكس رئيس الحكام السياسيين، فضلا عن شخصيات بريطانية تولت القيام بمهام أخرى، وقد اسند إلى فيلبي الاشراف على القسم المالي في إدارة شؤون العراق، الذي عد الخطوة المهمة في دخوله معترك السياسة في خضم اشتداد التنافس العثماني- البريطاني للسيطرة على عموم المنطقة، الذي تصاعد بعيد قيام الحرب.

4- المصادر

1- الوثائق غير المنشورة:

- الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربـــي، بيروت، ع س-1101/1.

2- الكتب الوثائقية:

- نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، المجلد الرابع، 1919، ط2، دار الساقي، بيروت، 2010.

3- الرسائل الجامعية:

- جبار يحيى عبيد. التاريخ السياسي لامارة حائل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987.
- سحر عباس خضير، جون فيلبـــي واثره السياسي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996.
- فرح باسم ابراهيم، اللورد كرزن ودوره في توجيه السياســـة البريطانيـــة في الخليج العربـــي حتى عام 1905، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2006.
- منتهى عذاب ذويب، برسي كوكس ودوره في السياســـة العراقيـــة 1864-1923، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1995.

4- الكتب العربية والمعربة:

- ارمسترونغ، سيد الجزيرة عبد العزيز آل سعود، ترجمة رافد خيشان الاسدي، ط1، دار الوراق للنشر، لندن، 2009.
- خيري حماد، اعمدة الاستعمار في الوطن العربـــي، الحلقـــة الأولى عبـــد الله فيلبـــي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.
- ـــــــــــــ، عبد الله فيلبـــي قطعة من تاريخ العرب الحديث، المكتـــب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1961.
- طالب محمد وهيم، مملكة الحجـــاز (1916-1925) دراســـة في الأوضـــاع السياسية، مركز دراسات الخليج العربـــي، جامعة البصرة، 1982.

- علي ناصر حسين، الإدارة البريطانية في العراق 1914-1921، بغداد، 2008.
- عوض البادي، الرحالة الأوربيون في شمال الجزيرة العربية 1845-1922، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2002.
- فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

5- الكتب الأجنبية:

- Earl of Ronaldshay: The Life of Lord Curzon, Vol.2, London, 1928.
- John Marlow; The (Persian) Gulf in the 20th Century (N.D).
- Randall Baker: King husain and the kingdom of Hejaz, the Oleander press, New York, U.S.A.
- Philip Graves; The Life of Sir Percy Cox, London (N.D).

6- البحوث المنشورة:

- جمال زكريا قاسم، المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى على امارات الخليج العربي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس عشر، القاهرة، 1969.
- عباس ياسر الزيدي، القوى الاستعمارية والخليج العربي 1600-1914، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني عشر، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1980.



الفصل الأول

فيلبي والسياسة البريطانية إزاء العلاقات النجدية - الحجازية (1915-1926)

1- المقدمة

2- نشاط فيلبي في الجزيرة العربية وأثره في سياسة الموازنة البريطانية بين ابن سعود والحسين بن علي (1915-1918)

3- دور فيلبي ممثلا لبريطانيا في النزاع النجدي - الحجازي بشأن خرمة عام 1918

4- وساطة فيلبي في النزاع النجدي- الحجازي (1924-1926)

5- الخاتمة

6- المصادر



1- المقدمة:

حظيت العلاقات النجدية- الحجازية بدراسات مستفيضة غطت سنوات أحداثها التأريخية من قبل الباحثين والدارسين، لأهميتها في التطورات السياسية اللاحقة التي وقعت في الجزيرة العربية، إلا أن هذه الجهود الخيرة ظلت تتناول وقائع دون الغوص في دور الشخصيات العربية والأجنبية المعروفة بإسهامها في مسيرة تلك العلاقات التي امتدت لسنوات طويلة، ومن هنا تحاول دراستنا الكشف عن الأنشطة التي قام فيلبي الشخصية البريطانية، ضمن جهوده منفردا، أو مع آخرين عرب واجانب في جوانبها السياسية، بوصفه ممثلا للحكومة البريطانية لتهدئة حالة التوتر التي شابت العلاقات بين نجد والحجاز، والعمل على احلال السلام بين الجانبين الحليفين لبريطانيا في الخليج والجزيرة العربية.

ولعل صفحات البحث ستعرف مدى مشاركة فيلبي في سياسة الموازنة التي راحت تتبعها الحكومة البريطانية بين طرفي النزاع، لان اتساع الخلافات بينهما سيؤدي إلى اضعاف الجهد البريطاني في الحاق الهزيمة بالدولة العثمانية من خلال جبهة العراق في سنوات الحرب العالمية الأولى، فضلا عن كونها من حلفاءها في المنطقة، واستمرت تحركات فيلبي قائمة على وفق تحقيق تلك الأهداف، لا سيما وان الأخير قد وصفته المصادر التأريخية بانه من أبرز مساعدي برسي كوكس، الذي كان يتمتع بثقة في نفسه، وستقوم الدراسة ببيان طبيعة العلاقة بين ابن سعود[1] وفيلبي لأثرها في أوضاع المنطقة الداخلية وعلاقاتها الخارجية، وصلات الأخير مع الحسين بن علي شريف الحجاز وولده علي.

وهناك تساءلات بشأن مدى التزام فيلبي بتنفيذ توجهات السياسة البريطانية حول موضوع البحث، وبخاصة بعد تحول الخلاف بين الجانبين إلى نزاع عسكري، بشأن منطقة خرمة عام 1918، فضلا عن تصاعده في السنوات بين

1- تنويه: اعتمد الباحث تسمية ابن سعود بدل من اسمه الكامل على سبيل الاختصار.

(1924-1926) التي شهدت وقوع معارك بين نجد والحجاز، استنزفت امكاناتهما، ولعل البحث سيعطي الجواب ويسلط الضوء على ماهية دور فيلبي في محاولاته وقف النزاع العسكري الذي نشب في الجزيرة العربية، وما هي تأثيراته على المصالح البريطانية بين عموم المنطقة، وموقف السلطات البريطانية من نشاط فيلبي خلال السنوات موضوع الدراسة، التي تظل بحاجة إلى جهود حثيثة لكشف جوانب من أحداث وقعت في الجزيرة العربية عبر تاريخها الحديث والمعاصر، يكتنفها الغموض إلى وقتنا الحاضر.

2- نشاط فيلبي في الجزيرة العربية واثره في سياسة الموازنة البريطانية بين ابن سعود والحسين بن علي (1915-1918):

كان على الدائرة السياسية الملحقة بالحملة العسكرية لاحتلال العراق التي تولى ادارتها (كوكس) ان تواجه العديد من المشاكل الادارية والسياسية التي يخلفها الجيش الزاحف وراءه، مما اقتضى توسيع الدائرة السياسية وتزويدها بعدد من الموظفين من ذوي الخبرة الادارية والالمام باللغات المتعددة، فقدر لفيلبي ان يكون في طليعة هؤلاء الذين حشدوا في سرعة هائلة للقيام بالواجبات الضخمة الملقاة على عاتقهم، وكانت الدائرة تضم عددا من الموظفين الذين استعيرت خدماتهم من حكومة الهند منذ مستهل الحملة المذكورة[1]، وقد وصل فيلبي إلى البصرة على متن الباخرة (دورما) في 13 تشرين الثاني 1915، التي كان قد استقلها من كراتشي، في وقت كانت فيه القوات البريطانية قد احتلت جزءً من جنوب العراق في 20 منه[2].

ومن الجدير بالذكر انه عندما وصل الجيش البريطاني بقيادة الجنرال طاوزند[3] (Townshend) إلى الكوت على نهر دجلة، سرعان ما تعرض لهجوم مقابل قام به

1- هـ. سنت. جون فيلبي، ايام فيلبي في العراق، ترجمة جعفر الخياط، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011، ص 5.

2- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 35.

3- كان طاوزند يعتقد ضعف مقاومة العثمانيين وان قواته لن تجد صعوبة في احتلال الكوت صوب بغداد، بعد الانهيار السريع لمقاومتهم في البصرة وانسحابها نحو العمارة والناصرية، مما كان عاملا مشجعا لتقدم القوات البريطانية. فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، 1949، ص 36.

العثمانيون، أدى إلى وقف الزحف، إذ تمكن قائدهم خليل باشا من فرض الحصار على الجيش البريطاني، مما اضطره إلى الاستسلام، بعد بضعة اشهر من القتال العنيف، وعندما عاد كوكس إلى البصرة، بعد نجاته من حصار الكوت بأعجوبة، شرع في إعادة تنظيم دائرته، فعين فيلبي مساعدا ماليا له وعندما وصل الأخير إلى البصرة، وبدأ عمله فيها كان ارنولد ويلسون[1] (Arnold Wilson) وكيل الحاكم الملكي بالعراق حينذاك في إجازة مرضية الذي عرف باتباعه سياسة القمع ضد رجال الحركة الوطنية، فاخذ يستمع إلى أقوال الموظفين الذين كانوا يتوجسون خيفة من عودة ويلسون من اجازته، لما يعهدونه فيه من قسوة وشدة، وراح فيلبي يعمل على تنظيم دائرته، وكان زملاؤه يسخرون من هذه التنظيمات زاعمين ان ويلسون لن يقبل بها عند عودته[2].

لم يمكث فيلبي[3] في العراق طويلا على اثر الخلاف الذي نشب بينه وبين ارنولد ويلسون بوصفهما من رجال حملة احتلال العراق، لاختلاف آرائهما بشأن طبيعة السياسة البريطانية، وما تردد عن معارضة ويلسون لخطط فيلبي ان يكون العراق مركزا للامبراطورية البريطانية، دون اكتراث لوعود الأخيرة بانهاء الاحتلال ونيل العراق استقلاله وبعد فشل مشروعه باقامة الجمهورية بالعراق وتعيين طالب النقيب رئيسا للجمهورية[4]. وعلى ما يبدو فإن ذلك الخلاف يرجع إلى مزاحمة ويلسون لفيلبي على إدارة العراق، لتوليه وظيفة نائب المندوب السامي في بغداد، حتى صار من المقربين إلى برسي كوكس[5] (Percy Cox) كبير الضباط السياسيين في الحملة البريطانية، فما كان من فيلبي إلا ترك المنصب إلى ويلسون، شريطة ان

1- ارنولد ويلسون (1884-1940): عمل ضابطا في الخليج العربي، ثم جاء ضمن الحملة البريطانية لاحتلال العراق عام 1914، أصبح ضابطا سياسيا مع كوكس وحاكما عاما بالوكالة عام 1918، وقد ادت سياسة القمع والتنكيل التي اتبعها ضد القوى الوطنية العراقية إلى قيام ثورة العشرين، فنقل بعدها إلى لندن. منتهى عذاب ذويب، المصدر السابق، ص 68.

2- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 36.

3- سيعتمد الباحث تسمية فيلبي بدلا من عبد الله فيلبي في هذه الدراسة.

4- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 48.

5- لمزيد من التفاصيل ينظر:

- Philip Graves: Op. cit., p. .27.

يكون فيلبـــي ضمن البعثة البريطانية التي سترسل إلى ابن سعود[1]، ويرود لنا فيلبـــي تفاصيل ما قاله إلى ويلسون بشأن ذلك بالآتي: "يمكن تدبير الأمور بســـهولة بشـــرط واحد، وانت تعرف موضوع البعثة التي اقترح إرسالها إلى ابن سعود، اقنع كوكس بأن يوفدني على رأسها، وفي وسعك ان تحتل مكاني فورا" فقال ويلسون: حسنا ســـأذهب إلى كوكس فورا، ثم عاد بعد خمس دقائق ليقول ان كوكس قد وافق"[2].

شكلت هذه التطورات البداية الأولى لنشاط فيلبـــــي في الجزيـــرة العربيـــة واتصاله بالاسرة السعودية، ولعل من الإفادة نقل تفاصيل رحلة فيلبـــــي برفقـــة كوكس ودخول الأراضي النجدية ولقاءه ابن سعود كما وردت على لسانه بقوله: "ومضت القافلة الصغيرة إلى البصرة، حيث زودها السلطات هناك بما تحتاج إليه من معدات وحاجات، واستقل الركب الباخرة الهندية لورنس إلى جزيـــرة البحـــرين، حيث انتقلنا منها على ظهر زورق شراعي عربـــي إلى ميناء العقير، بعدها اتجهنـــا إلى القطيف، وتم الاجتماع مع ابن سعود في دارين، وهي جزيرة تقـــع في مقابـــل القطيف، الواقع على الساحل الشرقي من الخليج العربـــي، وقد وطئت اقـــدامي أرض الجزيرة العربية لاول مرة في السابع عشـــر مـــن تشـــرين الأول 1915، وتم الاحتفاء بنا والكولونيل كانليف اوين (K. Owen) مع جندي تابع يقـــوم علـــى خدمتنا، من أمير العقير، واقام لنا وليمة رائعة"[3].

وحري بنا ان نسلط الضوء في التعريف بنشاط فيلبـــي في متابعـــة المحـــاولات البريطانية الرامية إلى توثيق صلاتها بابن سعود في الجزيرة العربية، فضلا عن توطيـــد نفوذها شمال الخليج العربـــي[4]، لا ســـيما بعـــد مقتـــل الكـــابتن شكســـبير[5]

1- Elizabeth, Monro; Philpy of Arabia, First Published, Butleo and Tanner, 1973, Introduction.

2- هـــ. سنت جون فيلبـــي، ايام فيلبـــي، ص 8؛ خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، ص 50.

3- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، المصدر السابق، ص 53.

4- G.U.A., Aitchison; Collecation of Treaties Engagements and Sands Relating to India Nieghbouring Countries, Vol. XL, Calcutta, 1933.

5- وليم هنري شكسبير (William Henry Irvan Shakespeare) (1880-1915): مـــن مواليد إقليم البنجاب، حيث كان والده يعمل موظفا في حكومة الهند، تخرج عـــام 1898 ضابطا، عين عام 1904 مساعد ضابط سياسي وقنصلا في بندر عباس، تولى رئاسة الوكالة السياسية البريطانية بالكويت حتى عام 1914. نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، نجد والحجاز، جـــ1، دار الساقي، بيروت، 2000، ص 106-107.

(Shakespeare) القنصل البريطاني في جدة- الذي كان قد أرسلته الحكومة البريطانية في مهمة لإقناع ابن سعود محاربة الدولة العثمانية لوجود علاقة طيبة بين أمـير نجـد والاحساء وشكسبير من خلال رحلات قام بها الأخير مع آخرين إلى الجزيرة العربية[1] في معركة جراب (وهو ماء شرقي الزلفى وشمال الارطاوية) في الرابع من كانون الثاني 1915، على اثر اشتراكه بالمعركة مع جيش ابن سعود ضد قوات سعود بن عبد العزيز آل الرشيد أمير حائل (1908-1920)[2]، وقد أشار فيلبـي في أحد تقاريره التي بعثها إلى حكومة الهند إلى حادثة مقتل شكسبير، داعيا حكومته ضرورة تقديم المسـاعدات المالية والعسكرية لابن سعود، ومما جاء فيها الآتي: "كانت موت شكسبير كارثة لابن سعود الذي بقي مستاءً في مضاربه في الوقت الذي قللت التطورات في بعض أجـزاء الجزيرة العربية من مقامه كوسيط في سياسات الجزيرة العربية، يجب احتساب مـوت شكسبير من ضمن الأحداث الشخصية التي غيرت مجرى التاريخ لو انه كان على قيـد الحياة لكان من المشكوك فيه جدا ان تنجح الحملات التالية التي قام بها ت.أ.لورنس في الغرب، فلربما كانت النتيجة اقل مأساوية فيما لو كانت قد قدمت بريطانيا المساعدات المالية والتسليحية فعلا لابن سعود، لذا كان متروكا للورنس والعائلة الشريفية لتحقيـق ما بلغه ابن سعود وشكسبير من قبل"[3].

ونعود إلى جوهر موضوع دراستنا المتعلق بدور فيلبـي في السياسـة البريطانيـة إزاء التطورات السياسية التي شهدتها الجزيرة العربية، ومدى حرصها في استمالة شيوخ المنطقة وامراءها إلى جانب بريطانيا، فقد كان لقاء العقير الذي جمع أمير نجد والاحساء مع فيلبـي وكوكس أواخر عام 1915، يعد اول نشاط سياسي يمارسه فيلبـي في الجزيرة العربية، وكان حينذاك من كبار موظفي كوكس الاداريين في الحملة البريطانية لاحتلال العراق، وكانت رحلة فيلبـي هذه اول مرة دخل بها تلك المناطق، وابتدأت بها مغامراته التي صرف فيها من عمره اكثر من خمس وثلاثين عاما[4].

1- أحمد العناني، رحلات الكابتن شكسبير في شبه الجزيـرة العربيـة، مجلـة الفيصـل، العدد الثاني، السنة الأولى، تموز 1977، ص 90-91.

2- فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 376.

3- خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ1، مطابع دار القلـم، بيروت، 1970، ص 284.

4- J.C. Hurewitz; Diplomacy in the Near and Middle East, Documentary Records, 1535-1914, Vol. 1, New York, 1972, p. 17.

وفي اثناء اجتماع العقير (دارين) قدم كوكس وفيلبي بوصفهم ممثلين عن الحكومة البريطانية كل الضمانات لاستقلال نجد، مقابل حصولهم على تعهد ابن سعود بالوقوف على الحياد في النزاع القائم بين العثمانيين والبريطانيين، لا سيما مع استمرار الحرب العالمية الأولى[1] .بما في ذلك تقديم الدعم البريطاني لأمير نجد والاحساء ضد الاخطار المحدقة ببلاده[2]، ووصفت المصادر البريطانية دور فيلبي في تلك المفاوضات بانه أحد مساعدي كوكس الذي كان يتمتع بثقة نفسه، كما حظيَّ باحترام وتقدير الجانب السعودي، وانه كان الشخص الوحيد الذي بامكانه ان يجرأ على مناقشة ابن سعود في قضايا عدة ومهمته السياسية تنصب لصالح بريطانيا[3].

اسفرت المفاوضات بين الجانبين بتوقيع معاهدة العقير (دارين) في 26 كانون الأول 1915، اعترفت بموجبها الحكومة البريطانية باستقلال ابن سعود، ووافقت على تقديم المساعدات له لاحقا مقابل تعهده ان لا يسلم أي جزء من أراضيه إلى اية قوة أجنبية[4]، وفيما يأتي أبرز بنود الاتفاقية[5].

1- تعترف الحكومة البريطانية وتقر بان نجد والاحساء والقطيف وجبيلا وتوابعها والتي سيبحث فيها وتعين اقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج (فارس) هي بلاد ابن سعود وآبائه من قبل، وبهذا تعترف بانه حاكما عليها مستقلا ورئيسا مطلقا على قبائلها وبابنائه وخلفائه بالأرض من بعده.

2- إذا حدث اعتداء من قبل احدى الدول الأجنبية على أراضي الاقطار التابعة لابن سعود وخلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية، فالحكومة البريطانية تعين ابن سعود بعد استشارته إلى ذلك القدر، وعلى تلك الصورة الذين تعتبرها الحكومة البريطانية فعالين لحماية بلدانه ومصالحه.

1- بنوا ميشان، ابن سعود ولادة مملكة، تعريب رمضان لاوند، دار أسود للنشر، بيروت، 1976، ص 614.

2- Jacqes. Benoist-Mechin, Arabian Destiny, London, 1957, p. 152.

3- David Howarth, The Desert King, A life of the Ibn Saud, London, 1964, p. 100.

4- ينظر نص المعاهدة في: حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1967، ص 331-332.

5- أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، المجلد الثاني عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل 1319-1373، دار الكاتب العربي، بيروت (د. ت)، ص 75.

3- يعد ابن سعود بان يتحاشى الدخول في مراسلة أو معاهدة مع اية دولة أجنبية ويبلغ معتمدي السياسة من قبل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أي دولة أخرى في ان تتدخل في الاقطار المذكورة سابقا.

4- يتعهد ابن سعود بالا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الاقطار المذكورة ولا قسما منها ولا يتنازل عنها بطريقة ما، ولا يمنح امتياز لدولة أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية.

5- يتعهد ابن سعود بان يتحاشى الاعتداء على اقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية، والا يتدخل في شؤونها.

تردد اسم فيلبي مرة أخرى في خضم التطورات السياسية والعسكرية التي كانت تشهدها منطقة الخليج والجزيرة العربية على اثر قيام الحسين بن علي شريف الحجاز بثورته ضد الدولة العثمانية في 10 حزيران 1916، وتمكن قواته من الاستيلاء على العقبة، والاتصال بقوات قادمة عبر شبه جزيرة سيناء يقودها كل من فيصل بن الحسين والكولونيل لورانس[1] (Lawrence) بهدف السيطرة على بئر السبع وغزة، فقد حرص البريطانيون في التاكد من مساندة الزعماء العرب كلهم لعملياتهم العسكرية ونشاطهم السياسي في محاربة الدولة العثمانية وحلفاءها، فكانوا بحاجة إلى أي حليف يدعمهم لتحقيق تلك الغايات، لا سيما وقد أصبح ابن سعود مرة أخرى مسيطرا على قلب الجزيرة العربية، فكان ذا قيمة بالنسبة لهم، فأرسلوا إليه على عجل بعثة دبلوماسية إلى الرياض لتحث أمير نجد والاحساء على الانتقال أخيرا إلى حالة الحرب يمثلها فيلبي وهو ضابط سياسي من مكتب المندوب السامي في بغداد، ومعه اللورد بيلهافن[2].

1- توماس ادوارد لورنس (Thomas Edward Lawrence) (1888-1935): من مواليد ويلز في بريطانيا، تخرج من جامعة اكسفورد، سافر عام 1911 إلى سوريا وفلسطين بحجة القيام بدراسات اثرية، ثم أرسلته حكومته في بعثة إلى صحراء سيناء، فكتب دليلا لها لاستعمال الجنود، بعدها نقل إلى دائرة المخابرات العسكرية في القاهرة، رافق فيصل بن الحسين عامين ونصف خلال الثورة العربية في الحجاز عام 1916 ضد الدولة العثمانية، عرف بسياسة الخدعة بمنح العرب الاستقلال. انتوني ناتنغ، لويل ثوماس، لورانس لغز الجزيرة العربية، تقديم د. الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2010، ص 5-6.

2- ارمسترونغ، المصدر السابق، ص 143.

ومهما يكن من امر فإن المهمة الرئيسة للحكومة البريطانية في شبه الجزيرة العربية هي في حث ابن سعود على الانضمام إلى شريف الحجاز في ثورته، ان علـــى الاقـــل العمل دون حدوث صدام بينهما، ولكن ابن سعود لم يكن يثق منذ البداية بالشـــريف الحسين، وعندما علم من برسي كوكس بخبر قيام الثورة العربية اعرب عن مخاوفه مـــن ان رغبة الحسين في قيادة العرب يمكن ان تخلف وضعا غير مقبول اطلاقا بالنسبة له[1].

كان من الطبيعي ان يحظى المبعوثين البريطانيين الذين وصلوا الريـــاض في 19 تشرين الثاني 1917 باستقبال كبير من ابن سعود الذي اسكنهم في قصـــره، وقـــد اصغى باهتمام لكل ما قاله فيلبـــي وبيلهافن، لكنه رفض الخروج عـــن حيـــاده، لاعتقاده ان الحياد وقتذاك هو السياسة الاعود عليه بالفائدة، وقد اوضح فيلبـــــي ان بريطانيا تعترف بالحسين بن علي ملكا على الحجاز فقط، وان لدى حكومتـــه التزامات مع أمير نجد والاحساء بموجب معاهدة العقير، مقابل الالتزامات التي يعتبر الحسين الها لبريطانيا إزاء دولته[2]، فيما أشارت المصادر الروســـية إلى مـــا اورده فيلبـــي عما جرى في ذلك اللقاء بالقول ان مهمته تهدف إلى افهام ابـــن ســـعود للحيلولة دون تأزم علاقاته مع شريف الحجاز[3]، وانه حذر أمير نجد والاحساء من التوسع على حساب املاك الحسين بن علي الذي هو حليف بريطانيا، ومذكرا اياه بمعاهدة العقير والالتزام بها، وان وقع ذلك سيجلب نتائج سيئة على امـــارة نجـــد والاحساء، مقابل استعداد بريطانيا لتزويد ابن سعود بما يحتاجه من مال وسلاح[4]، وقد نجح فيلبـــي بمهمته في إقناع الأخير بعدم التحرش بالحجاز، علـــى أن يلتـــزم الشريف بعدم اثارة المتاعب لابن سعود[5].

وطبقا لما ذكره ناصر الدين النشاشيبـــي الذي التقى فيلبـــي في بيروت نقلا عن ما اورده الأخير عن لقاءه ابن سعود في 19 تشرين الثاني 1917 بقوله: "كـــان

1- John Philpy, Saudi Arabia, Beirut, 1968, p. 274.

2- راندال بيكر، مملكة الحجاز الصراع بين الشريف وآل سعود، ترجمة صادق عبد علـــي الركابـــي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص 260.

3- نقلا عن: اليكسي فاسيليف، تاريخ العربية السعودية، ط3، شركة المطبوعات للتوزيـــع والنشر، بيروت، 2010، ص 320.

4- Jacqes Benoist-Mechine, op. cit., p. 136.

5- Elizabth, Monroe, op. cit., p. 67.

اول لقاء بيننا حيث قضيت معه (17) يوما استطعت خلالها ان اعرف حقيقته واكتشف مزاياه، لقد توافرت لهذا الملك كل اسباب القوة والسلطان"[1].

على أن ابن سعود ظل منتهجا سياسة عدم الانحياز خلال الحرب العالمية الأولى بين الدولة العثمانية وبريطانيا، ولم يلبي دعوات الحكومة البريطانية ان يشارك في الجهاد الاسلامي الشامل الذي رفع رايته شريف الحجاز منذ حزيران 1916 ضد الدولة العثمانية، لانه مدرك ان هذا الجهاد سيكون في نهاية المطاف في ظل راية الحسين بن علي وفي تحقيق النصر لمنافسه الزعامة على الجزيرة العربية[2].

اما البعثة البريطانية الأخرى التي تقرر إرسالها من القاهرة إلى الرياض عن طريق جدة فكان ترمي إلى استطلاع آراء الحسين بن علي، ولمنع أمير نجد والاحساء تهديد الثورة العربية التي قامت ضد الدولة العثمانية بدعم من بريطانيا، إلا أن شريف الحجاز اقدم على منع وفد القاهرة من مغادرة الحجاز إلى الرياض أواخر عام 1917 لرغبته في منع أي مطالب منافس من اضعاف مكانته الكبيرة لدى البريطانيين، لذلك استخدم عذر وجود مشاكل على امتداد الحدود الشرقية مع نجد، كحجة لابقاء الوفد في جدة، وقد اتخذ فيلبي زمام المبادرة وسافر إلى الحجاز بنفسه متغاضيا تحذيرات الحسين بن علي، وقد سبب هذا العمل ارتباكا شديدا لشريف الحجاز الذي شعر بغضب شديد وفي جدة التقى فيلبي هوكارث[3] (D.G. Hogarth) رئيس المكتب العربي في القاهرة في 8 كانون الثاني 1918 بحضور الكولونيل باست (Pust) نائب المعتمد البريطاني في جدة الذي كان مقتنعا بدفاع فيلبي عن ابن سعود وبدور ملحوظ للأخير في الجزيرة العربية مستقبلا، ثم التقى الحسين بن علي فيلبي بعد تأخر مقابلة الأخير للشريف، الذي

1- ناصر الدين النشاشيبي، ماذا جرى في الشرق الأوسط، ط5، دار الحكمة، لندن، 2002، ص 158.

2- بنوا ميشان، المصدر السابق، ص 303.

3- ديفيد جورج هوغارث (1862-1927): عالم آثار بريطاني، عمل باحثا في جامعة اكسفورد، كان عضوا في المكتب العربي في القاهرة (Arab Bureau) الذي كان يضم عدد من الساسة والضباط ورجال الاستخبارات العسكرية، فضلا عن آخرين مختصين بشؤون البلاد العربية حتى صار من أبرز رجال الاستخبارات في مصر والشرق الاوسط. مفيد كاصد ياسر الزيدي، سياسة بريطانيا تجاه آل سعود 1915-1927، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991، ص 90.

عاد لتصلبه العنيد، وكانت تلك فعلا نهاية المفاوضات البريطانية - الحجازية، كما رفض الشريف عودة فيلبي إلى الرياض، الأمر الذي اسهم في توتر العلاقات النجدية- الحجازية مع اطلالة عام 1918، بشأن النزاع على واحات الخرمة الواقعة في الأراضي الحدودية غير المرسمة شرق الطائف[1]، الذي سنبحثه في الصفحات القادمة.

وعلى الرغم ان فيلبي قد حمل رسالة من ابن سعود إلى الحسين بن علي يبدي فيها مشاعر الاخوة تجاه الشريف، لكن موقف الأخير الرافض لاقامة علاقة صداقة مع ابن سعود، اصابت فيلبي بخيبة امل في مهمته، وغادر الحجاز إلى القاهرة بطريقه إلى البصرة ثم إلى بغداد للقاء مرؤوسه كوكس، وفي القاهرة عقد فيلبي اجتماعات عدة مع مسؤولين بريطانيين في المكتب العربي، ثم بعدها توجه إلى فلسطين ورجع إلى القاهرة ثانية، ثم انتقل بواسطة أحد البواخر المتوجهة إلى البصرة في طريقه إلى بغداد، ومع ذلك نجح فيلبي بالحصول على وعد من ابن سعود بعدم التعرض لشريف الحجاز في المستقبل، وبعد ان وصل فيلبي بغداد، ابلغه ضرورة العودة إلى الرياض ليمثل بريطانيا هناك[2].

وعلى الرغم من عدم تحقيق تقدم ملموس في الجهود البريطانية باقامة علاقات بين ابن سعود وشريف الحجاز قائمة على الثقة المتبادلة، إلا أن الوثائق البريطانية لعام 1918 اعربت عن تقدير الحسين بن علي لمواقف بريطانيا إزاء تطورات الأحداث في الجزيرة العربية والعلاقة مع ابن سعود، بدليل اجراء (هوكارث) ثلاث مقابلات مع الشريف الحسين في جدة، حضر فيلبي اثنين منها، وان الشريف كان وديا وممتنا للزيادة المؤقتة في المعونة المالية، وان بريطانيا العظمى هي الدولة الوحيدة القادرة على حماية مصالح المسلمين[3].

1- راندال بيكر، المصدر السابق، ص 260-261؛ David Howarth, op. cit., p. 104.
2- مفيد كاصد ياسر الزيدي، المصدر السابق، ص 128.
3- تسلسل الوثيقة الرقم 81، التاريخ 12 كانون الثاني 1918، برقية (136) من السير ريجنالد وينفيت المندوب السامي في القاهرة إلى وزارة الخارجية. لندن. نقلا عن: نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) المجلد الثالث (1917-1918) دار الساقي، بيروت، 2000، ص 366.

3- دور فيلبي ممثلا لبريطانيا في النزاع النجدي- الحجازي بشأن خرمة[1] عام 1918:

استأثرت مسألة خرمة باهتمام السلطات البريطانية في الخليج والجزيرة العربية بوصفها غدت مشكلة وموضع نزاع بين ابن سعود وملك الحجاز، وادعاء كل طرف تبعية المنطقة إليه والعمل على جعل سكانها حليفا أو مؤيدا له في مواجهة خصمه، وبرزت القضية بعد إرسال الحسين بن علي (800) من رجاله لاسترجاع (خرمة) وتأديب قبائلها، فهزمهم اهلها بمساعدة بعض القبائل العربية وردوهم على اعقابهم، وعندئذ تحرك ابن سعود مستثمرا تلك التطورات، فاصدر الامر لجنوده بالذهاب إلى المدينة ومساعدة اهلها في صد هجمات قوات الشريف عنها، وكان ابن سعود ارغب ما يكون في مهاجمة الحسين والحجاز، ولكن البعثة البريطانية وعلى رأسها فيلبي كانت تنصحه بالتريث والهوادة، لان ذلك من شأنه ان يؤثر على سياسة الموازنة التي حرصت بريطانيا على اتباعها بين أمير نجد والاحساء وشريف الحجاز في الجزيرة العربية، ولكن الموقف في خرمه كان يستحق الاهتمام، فقد أرسل الحسين بن علي قوة ثانية عليها، فردها سكان المدينة، وأرسلوا يطلبون من ابن سعود المساعدة والامداد، ولكن فيلبي كان بالمرصاد لاي تحرك من ابن سعود[2].

وقد اذن ابن سعود لفيلبي بالسفر إلى الحجاز وارفقه برهط من رجاله بالشهر الأول من عام 1918 وأرسل معه كتابا إلى الشريف الحسين بن علي مديحا ببراعة اللطف والولاء، ولكن الشريف المشهور بتصلبه تغلب على اللطف فيه، فتجهم فيلبي، فيما سمح لرجال ابن سعود بالرجوع إلى بلادهم[3].

1- خرمة: وتقع على الحدود النجدية تعد ذات اهمية تجارية تنازع الطرفان عليها بوصفها تمثل منفذا رئيسا لنجد، فضلا عن كونها مفتاح الحجاز، وعلى مقربة منها يمتد الطريق لقوافل التجارة الذي يربط اواسط الجزيرة العربية بمكة المكرمة حتى سواحل البحر الاحمر. موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت، 1923-1924، الناشر تهامة، جدة، 1982، ص 77.

2- عمر أبو النصر، سيد الجزيرة العربية ابن سعود، المكتبة الأهلية، بيروت، 1935، ص 115.

3- أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، 1954، ص 238-239.

وبناء على اوامر من السلطات البريطانية لمعالجة الموقف المتأزم في خرمة، قام فيلبي بتسليم رسالة إلى ابن سعود يوم 27 آب 1918، وجاء فيها ما يأتي: "اننا نعترف بواجبنا في استعمال كل ما استطاعتنا من تأثير لمنع التجاوز على أراضي ابن سعود، وقد اخبرنا الملك حسين بان عمله ضد الشيخ خالد بن لؤي[1] حاكم الخرمة هو عمل محلي وليس موجها ضد ابن سعود وانه ليس لديه خطط عدائية ضد هذا الأخير، واجاب الأخير في اليوم التالي، حيث اعترض بشدة على السماح للملك حسين بالهجوم على الخرمة، معربا عن استعداده للاجتماع بالملك حسين، لكنه يشك ان ذلك وسيلة لخداع القيام بعمل لاحق ضد تلك المنطقة[2].

من جانب آخر اوضح فيلبي بوصفه ممثلا للحكومة البريطانية لشريف الحجاز بشأن تطورات الأوضاع في خرمة ان اتهام الأخير ابن سعود بالتعاون مع العثمانيين وليد سوء فهم، إذ ان الفريق فخري باشا قائد القوات العثمانية في المدينة المنورة أرسل بتاريخ 17 أيلول 1918 يطلب معونة ابن سعود - عقب اتهام الشريف للأخير بتحريض اهالي الخرمة للقيام بغزو أراضي الحجاز وأميرها خالد بن لؤي الذي ينتسب إلى الاشراف، لكنه اعتنق الحركة السلفية، فاعتقله شريف الحجاز، ثم اطلق سراحه- الذي رفض ابداء المعونة له. اما فيما يخص قضية الخرمة وتحريض سكانها، فقد أكد فيلبي انه في اثناء مفاوضات الرياض الأخيرة، وفد جماعة من اهالي المدينة إلى الرياض، يطلبون حماية ابن سعود من عرب الحجاز، الذين يستعدون لمهاجمتهم بامر من الشريف الحسين بن علي، وان أمير نجد والاحساء اجابهم ان بريطانيا قد وعدته بضمان عدم قيام الشريف

1- خالد بن لؤي: وهو أمير خرمة من الاشراف، حدث عام 1918 خلاف بينه والشريف الحسين بن علي، الذي وضعه في السجن، مما جرح كرامته واهانة في نفسه، لكنه كظم غيظه وساعد الأمير عبد الله بن الحسين في حصار المدينة المنورة، لكن الأخير اساء إلى خالد ايضا، حين صفعه على وجهه، فأتى إلى الرياض، محذرا ابن سعود من نوايا الحسين بن علي وولده الأمير عبد الله ضده، اسهم بفرض نفوذ سلطان نجد على خرمة بعد معارك عدة عام 1919. صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جـ2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ص 203-211.

2- تقرير عن ثورة الحجاز بقلم د.ج. هوغارث، التاريخ 30 أيلول 1918، نقلا عن: نجدة فتحي صفوة، المصدر السابق، المجلد الثالث 1917-1918، ص 503.

بالتعرض للحدود النجدية، وقطع وعدا بحمايتهم فيما لو تعرضوا لاي هجوم من جانب الحجاز حتى وان كلفه ذلك التخلي عن التزامه تجاه الحكومة البريطانية[1].

مقابل ذلك استمرت الاتصالات البريطانية- النجدية، ففي 21 كانون الأول 1918 تلقى فيلبي رسالة من ابن سعود بشأن خرمة، يعبر فيها عن تقديره لمواقف الحكومة البريطانية نحو شعب الجزيرة العربية، ومما ورد فيها بقدر صلته بموضوع الدراسة ما يأتي: "... كانت ثقتنا الاكيدة دائما بان الحكومة البريطانية تقدم بلا ريب مكافأة عظيمة لاعمالنا واخلاصنا تجاهها... وان الشعب البريطاني كان دائما صديقا حقيقيا مخلصا في كل المناسبات"[2].

وحقيقة الامر فقد ادت بريطانيا دورا في رسم خارطة سياسية جديدة لجزيرة العرب، بعد ان قام خبراء متخصصون اجراء دراسات مركزة وشاملة اعطوا فيها آراء محددة حول جميع الأوضاع في الجزيرة العربية وأبرزهم برسي كوكس وفيلبي وغيرهم، ومن اجل الحفاظ على استقرار المنطقة، فقد سارعت بريطانيا إلى عقد اتفاقيات الحدود بين ابن سعود وبين الهاشميين في كل من شرق الأردن والعراق لتلافي الازمات المحتملة وعدم اعطاء اية فرصة لتصاعد الخلافات بين الاسرتين السعودية والهاشمية، مما سيؤثر حتما على استقرار المنطقة والمصالح البريطانية فيها[3].

وعلى اثر احتدام النزاع بين نجد والحجاز دعت وزارة الخارجية البريطانية فيلبي في بداية آذار 1919 لحضور المؤتمر الذي عقدته الوزارة لبحث القضايا المتعلقة بالشرق الاوسط، عقب تهديد قوات ابن سعود منطقة الخرمة الحجازية،

1- نقلا عن: سمية أمين ياسين، تكوين المملكة العربية السعودية 1918-1932، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1988، ص 49-50.

2- ترجمة كتاب من الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود حاكم نجد والاحساء والقطيف وجبيل وتوابعهما إلى ج.0ب. سنت جون فيلبي، تاريخ 21 كانون الأول 1918 حول خرمة، نقلا عن: نجدة فتحي صفوة، المصدر السابق، المجلد الثالث، 1917-1918، ص 508.

3- مصطفى عبد القادر النجار، الوثائق البريطانية وأهميتها في كشف المصالح البريطانية في جزيرة العرب بعد الحرب العالمية الأولى، مجلة المؤرخ العربي، العدد 30، السنة الثانية عشرة، 1986، ص 118-119.

واوضح برسي كوكس وزير الخارجية لدى افتتاحه المؤتمر ان سياسة بلاده هي سياسة حسينية، مما يعني تأييده للحسين بن علي في مشكلة الخرمة، وايده بذلك كافة الجنرالات والإمبريالية الحاضرين، لاعتقادهم ان النجديين غير قادرين على الوقوف امام القوات الهاشمية المدربة والمجهزة باسلحة بريطانية، إلا أن هناك من يعترض على هذا الاعتقاد، ممثلا بحكومة الهند التي كان ينوب عنها في المؤتمر فيلبي الذي حذر الحكومة البريطانية من استمرار موقفها السلبي نحو ابن سعود، إذ ان النجديين سيكتسحون القوات الحجازية دون اية صعوبة، ولما كان فيلبي لا يمثل الا الاقلية فإن الحكومة ستمضي في سياستها الحالية، لذا اقر المؤتمر تخويل شريف الحجاز رسميا باحتلاله منطقة النزاع، بما في ذلك ابلاغ ابن سعود بهذه الصلاحية، وانذاره بقطع الحكومة البريطانية لاعاناتها المالية عنه، إذا ما ابدى اية مقاومة، وأكد اللورد كرزن بإصدار الاوامر الفورية بهذا الشأن[1].

ومع ذلك ظل فيلبي مصرا على رأيه المعلن ضرورة اتخاذ السلطات البريطانية سياسة الحياد بين ابن سعود وملك الحجاز بوصفهما حليفين لها في المنطقة، وأشارت الوثائق البريطانية المؤرخة في 2 آذار 1919 إلى كتاب أرسله فيلبي إلى الليفتنانت جونز (في وزارة الخارجية) يبدي فيها اهمية عدم ترك الأمور تتجه إلى الحرب بين دولتين عربيتين صديقتين لبريطانيا[2]، مما كان سببا دفع السلطات البريطانية في 19 حزيران 1919 إلى اختيار فيلبي للقيام بتسوية الخلافات بين نجد والحجاز بالمفاوضات[3]، بعد مهاجمة ابن سعود خرمة التابعة لشريف الحجاز وتحقيقه نصرا على عدوه بمعركة وقعت في 24 أيار 1919، إذ طار فيلبي إلى القاهرة وسافر منها بحرا إلى جدة ليتفاهم مع ابن سعود ويقنعه

1- طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز (1916-1925)، دراسة في الأوضاع السياسية، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1982، ص 308-309.

2- رقم الوثيقة 52، تاريخها 1919/3/2 كتاب مرسل من المستر فيلبي إلى الليفتنانت جونز (في وزارة الخارجية) يؤكد ضرورة معالجة التوتر بين نجد والحجاز. نقلا عن نجدة فتحي صفوة، المصدر السابق، المجلد الرابع 1919، دار الساقي، بيروت، 2010، ص 25.

3- تسلسل الوثيقة 151 المؤرخة في 1919/6/19، رقم الصفحة 283. نقلا عن المصدر نفسه، ص 47.

التفاوض مع الحسين بن علي ولكن الحسين منعه من النـــزول إلى البر قائلا له: انه طلب ابن سعود مساعدة الإنكليز ضد عدوه، لا للوساطة بينها، ولا يسعه الوقوف الند للند[1].

اما المصادر الروسية فقد أشارت إلى أن فيلبـــي كان يعلق الآمال وهو يمثـــل مدرسة الهند البريطانية مع كوكس ومس بيل على أمير نجد والاحساء في حســـم الصراع ضد شريف الحجاز لصالحه، ونتيجة لرحلاته الطويلة الامد في ربوع نجـــد والبلدان المتاخمة، فقد توصل فيلبـــي إلى استنتاج هو ان موارد نجد اكبر بكثير من موارد الحجاز، كما حاول ان يثبت ان النصر في الصراع من اجل السلطة في شبه الجزيرة العربية، سيكون دون شك حليفا لابن سعود، إلا أن فيلبـــي لم يفصح عن آراءه وميوله تلك، بل ظل حريصا على اتباع سياسة الحياد في الصراع بـــين ابـــن سعود وشريف الحجاز[2].

4- وساطة فيلبي في النزاع النجدي- الحجازي (1924-1926):

أدى اعلان الحسين بن علي للخلافة في منتصف آذار 1924 بعد الغاءها مـــن قبل الكماليين في تركيا إلى اثارة استياء جهات اسلامية عربية وغـــير عربيـــة، وفي مقدمتهم ابن سعود في الجزيرة العربية وحكام مصر ومعارضة جمعية الخلافة الهندية الممثلة للهنود المسلمين، فضلا عن ارتكابه خطأ فادحا في اعتماده على الحكومـــة البريطانية في سياسته الخارجية، ووقوعه بين الاعيـــب الاســـتعماريين البريطـــاني والفرنسي من جهة، واختلاف توجهات السياسة البريطانية في الخلـــيج والجزيـــرة العربية بين آراء حكومة الهند والمكتب العربـــي في القاهرة خلال سنوات الحـــرب العالمية الأولى من جهة أخرى[3].

وبعد فشل مؤتمر الكويت الثاني عام 1923 في تسوية المشكلات بـــين نجـــد

1- داكوبرت فون ميكوش، عبد العزيز، نقله إلى العربية امين روعة، بيروت، دار البيضاوي للتأليف والترجمة، (د. ت)، ص 49.

2- بونداريفسكي، سياستان إزاء العالم العربـــي، ترجمة خيري الضامن، موسكو، 1975، ص 125.

3- حسين محمد ناصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ط1، مطبعة خضـــير، مصـــر، 1349، ص 99-105.

والحجاز، تحرك ابن سعود لاستثمار تلك الأوضاع والظروف بهدف ضم الحجاز، وادت هجمات قواته إلى سقوط الطائف في (1 أيلول -تشرين الأول 1924) الامر الذي دفع الحسين بن علي للتنازل عن الحكم لنجله الأمير علي في 4 تشرين الأول 1924[1].

مقابل ذلك راح الحجازيون يعملون على استغلال فرصة الهدوء بين الجانبين، فاخذوا يحصنون المدينة ويعدوها لحصار طويل، وفي غضون ذلك كانت الجهود تبذل في شرق الأردن وفلسطين وسوريا لتمثيل المتطوعين في جيش الشريف، ومعظم هؤلاء كانوا من المغامرين الذين لم يسبق لهم أي تدريب، وحاول الأمير عبد الله في شرق الأردن مساعدة اخيه بقدر استطاعته، لكن هذه المساعدات لم تكن مجدية، لا سيما وان السلطات البريطانية كانت تعمل على عدم تشجيع التطوع في البلاد الواقعة تحت انتدابها، فضلا عن الاموال لم تكف متوفرة لدفع رواتب المتطوعين[2].

تحركت القوات النجدية صوب مكة المكرمة التي تمكنت من الوصول إليها يوم 16 تشرين الأول 1924 بعد إرسال ابن سعود مبعوثين إلى المدينة لغرض الاستسلام الفوري لجنود الحامية مع العتاد والمعدات العسكرية، رغم التحصينات التي اقامها شريف الحجاز لحمايتها من هجمات النجديين، فدخلها ابن سعود عقب اضطراب أوضاع المدينة وشيوع حالة من الترقب بين الاهالي في 4 كانون الأول 1924[3].

ولم يكن فيلبي بعيدا عن تطورات الأوضاع في الحجاز، فقد حاول إقناع الشريف علي بن الحسين بوقف تحركاته العسكرية وتحريضه قبيلة حرب دون جدوى، لكنه تمكن أخيرا من إقناعه ان يرسل ردا إلى خالد بن لؤي القائد النجدي يقترح فيه عليه الاجتماع به في أي مكان يختاره للبحث في عقد هدنة مؤقتة، وكان تدخل فيلبي بصفة شخصية لانهاء النزاع بوصفه صديقا لكل من علي بن الحسين وابن سعود، وأدى دور الوساطة مع فيلبي لدى أمير نجد والاحساء، السيد طالب

1- طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز، ص 376-381.
2- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 161.
3- John Philpy; Forty Years in the Wilderness, London, 1957, p. 128.

النقيب[1] وأمين الريحاني[2] لغرض اشاعة السلام في الجزيرة العربية ووقف القتال بين المسلمين في الحجاز ذات المكانة الدينية المعروفة، وكانوا قد حضروا إلى جدة قبل وصول ابن سعود، وظلوا فيها نحو شهر ينتظرون وصوله ليتوسطوا في الامر بينه وبين الشريف علي بن الحسين، ولكن وساطتهم لم تغير شيئا، فقد تمسك ابن سعود برأيه في جلاء الحسين واولاده من البلاد، مقابل ذلك كان الشريف علي بن الحسين قد اطمأن على قدرة قواته في مواجهة القوات النجدية، بعد احاطة المدينة بالتحصينات الدفاعية، ووضع الاسلاك الشائكة حول الميناء، والمدافع الرشاشة والألغام[3].

وقد اقترح فيلبي اقامة هدنة مؤقتة بين ابن سعود وعلي بن الحسين، تتضمن فتح طرق المواصلات بين جدة ومكة المكرمة، وتبادل التجارة بينهما، مما يؤدي إلى عودة الحياة العادية وايده في رأيه فؤاد الخطيب وزير خارجية الحكومة الهاشمية، والشيخ فؤاد الكاتب العربي المعروف وأمين الريحاني، بحكم صداقته مع أمير نجد والاحساء، على امل إعادة السلام إلى ربوع الجزيرة العربية، لكن الأمور كانت تسير باتجاه الحرب، ويقول فيلبي ان السلطات العسكرية الشريفية بعثت تستشيره في امكان الطائرة القديمة التي تملكها باستطلاع فوق المنطقة، فكان رده: ان ليست من شأنه تقديم المشورة في الشؤون العسكرية الخالصة وان كل ما يهمه هو اجراء مفاوضات لعقد الصلح[4].

1- طالب النقيب: اشتهر اسمه في البصرة بحكم علاقته مع الدولة العثمانية، إذ عينته عام 1901 متصرفا على الاحساء، كما انتخب نائبا عن المدينة في مجلس المبعوثان العثماني، فضلا عن اتصالاته مع بعض شيوخ الخليج والجزيرة العربية وتولى وزارة الداخلية بالحكومة العراقية الأولى في 25 تشرين الأول 1920. حسين هادي شلاه، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1971.

2- أمين الريحاني: من مواليد لبنان عام 1876، درس الحقوق في جامعة نيويورك عام 1898 عرف بميوله بتحقيق الوحدة بين البلدان العربية وتنقية الاجواء بين الحكام، كما اتخذ من جريدة الاصلاح منبرا لمقاومة الاستبداد العثماني. راهي مزهر العامري، الموقف البريطاني وجهود امين الريحاني من اقامة مشروع الاتحاد بين اليمن والحجاز، مجلة الاستاذ، العدد 78، كلية التربية/ابن رشد - جامعة بغداد، 2008، ص 343.

3- أحمد السباعي، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم الاجتماع والعمران، جـ1 و2، مطابع الصفا، الرياض، 1999، ص 65.

4- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 162-164.

ويشير حافظ وهبة وهو من مستشاري ابن سعود ان فيلبي إلتقى الأخير في خريف عام 1925 في منطقة الشمسي، وهنا عرض الأخير بتقديم المساعدة اللازمة إلى ضيفه في اعماله التجارية التي عرضها على ابن سعود بالمستقبل، وقد وفى بوعده، بل ساعد فيلبي في تحمل جميع نفقات رحلاته في جزيرة العرب من رجال وابل وزاد[1]، فضلا عن اخبار فيلبي ابن سعود ان جدة من الناحية العسكرية عاجزة عن الصمود طويلا، لا سيما بعد استسلام المدينة المنورة في 5 كانون الأول 1925، مؤكدا ان غالبية اهلها يريدون نهاية سريعة لوضعهم البائس، الامر الذي يوضح ان فيلبي لم يأت لنصرة شريف الحجاز ومساعدته في الحرب ضد خصمه ابن سعود، وانما جاء ليعمل على الاسراع في نهايته الحتمية[2]، ومما يعزز ذلك ما ذكره فيلبي نفسه بشأن سياسة الحكومة البريطانية من حرب الحجاز بقوله: "ان الحكومة البريطانية اتبعت سياستين، اولاهما رسمية ظاهرة هي تقول الحياد، وثانيهما خفية، وهي تقوم على إنهاء العهد الهاشمي في الحجاز[3]، وان مهمة المبعوث البريطاني تمثل جزء من السياسة البريطانية التي كانت تميل نحو ابن سعود بهدف اضعاف الشريف علي بن الحسين وتقويض حكمه في مناطق الحجاز[4].

وعلينا ان نتابع جهود فيلبي لدى طرفي النزاع النجدي- الحجازي ومدى الدور الذي اداه بسياسة الموازنة التي اتبعتها الحكومة البريطانية في الجزيرة العربية، فمن جهة يشير لنا فيلبي انه نصح شريف الحجاز علي بن الحسين ان يذهب بنفسه إلى ابن سعود بهدف انهاء العداء بينهما، أو التفاوض معه عن طريق الرسل. اما التفكير بالهجوم على النجديين بتلك القوة العسكرية التعيسة المتوفرة في جدة، فذلك يعد جنونا مطبقا وسيتعذر الدفاع عن المدينة في حالة وقوع هجوم جدي عليها، ومن جهة أخرى ظل يواصل مساعيه لدى ابن سعود لايجاد مخرج

1- حافظ وهبة، خمسون عاما في جزيرة العرب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص 177.
2- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 164 و176، 190.
3- نقلا عن: معد صابر رجب، دور عبد العزيز آل سعود في توحيد الجزيرة العربية وبناء الدولة الحديثة 1902-1953، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1990، ص 68.
4- طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز، ص 362.

للنـــزاع العسكري الذي بات يهدد مدن الحجاز، وجاءه الرد من الأخير، جوابـــا على رسالة فيلبـــي له، إذ تلقى الأخير رسالة من ابن سعود مؤرخة في اليوم الأول من كانون الأول 1925، عن طريق القنصلية البريطانية في جدة، بشأن وساطته قبل دخول القوات النجدية جدة وهذا نصها:

بسم الله الرحمن- سلطنة نجد وملحقاها. الرياض في 24 ربيع الأول 1343
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى صديقنا المحترم المستر فيلبـــي. بعد التحية..
لقد تسلمت بيد المسرة رسالتك التي بعثت بها اليّ من جدة، وكانت الحكومة البريطانية قد كتبت الينا قبل ذلك حول زيارتك إلى جدة، تقول الها زيارة غير رسمية، والآن بصدد ما تقوله عن الوساطة بيننا وبين الشـــريف علـــي، فـــإن الموضوع من اوله إلى آخره متوقف على رأي العالم الإسلامي الذي يتفق كله معارضا معارضة قوية لابناء الحسين، كما اود ان اذكرك بما تعرفه عن الجهود التي بذلتها لاحلال السلام والتفاهم مع شريف مكة، سنصل بمشيئة الله قريبـــا إلى مكة، وسنجتمع بك بكل تاكيد ان شاء الله لتبادل الرأي. نرجو لك العافية والسلام..

صديقك المخلص...الختم"[1]

الا ان وصول القوات النجدية جدة في 22 كانون الأول 1925 ومغادرة الملـــك علي بن الحسين المدينة، ادت إلى دخول الحجاز مرحلة تأريخية جديدة بتبعيتها للاسرة السعودية، وتبع ذلك ان نودي بابن سعود ملكا على الحجاز وسلطان نجد وملحقاهـــا في 8 كانون الأول 1926[2]. فيما اتضح فشل جهود الوساطة التي قام بهـــا فيلبـــــي وآخرون لوقف القتال هناك، وعلى الجانب الآخر اخبرت الحكومة البريطانية فيلبـــــي عدم تخويله صلاحية اجراء مفاوضات الوساطة بين الجانبين نيابة عنها، وانذرته بطـــرده من الخدمة وحرمانه من حقوق التقاعد إذا تجاهل الاوامر الصادرة إليه، فغادر جـــدة في أواخر كانون الأول من العام نفسه إلى عدن ثم إلى لندن[3].

1- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، ص 169 و174.

2- Kenneth William, Ibn Sa'ud, The Buritan King of Arabia, London, 1933, p. 71.

3- هـــ. سنت جون فيلبـــي، أيام فيلبـــي في العراق، ص 203-204.

وهكذا انتهت مهمة فيلبـــي دون احلال السلام بين الجانبين المتصـــارعين، بحكم تأزم العلاقات بين نجد والحجاز وفقدان الثقة التي ظلـــت ســـائدة بينـــهما، وبانضمام الحجاز إلى نجد وملحقاتها، تكون الجزيرة العربية قـــد تغـــيرت معالمهـــا السياسية، على اثر زوال حكم الاشراف في الحجاز، وتـــولي الاســـرة الســـعودية شؤونها الداخلية والخارجية، مما أدى إلى تعاظم مكانة سلطنة نجد، الامر الذي مهد السبيل لاعلان قيام مماكة الحجاز ونجد وملحقاتها بعد ان غير لقب السلطان بملـــك في 19 كانون الأول 1926 واستقرار فيلبـــي فيها قريبا من أحداثها، فضلا عـــن توثيق صلاته بابن سعود.

5- الخاتمة:

يمكننا القول بتوصل البحث إلى نتائج اهمها:

اولا- استخلص البحث من عرض صفحاته مدى اهمية الدور البريطـــاني في الأوضاع السياسية التي مرت بها منطقة الجزيرة العربية، لا ســـيما بعـــد تصـــاعد نـــزاعها مع الدولة العثمانية للسيطرة على المنطقة والابقاء على نفوذها هناك، وعبر وسائل وادوات لتحقيق غاياتها، واتضح اثر نشاط فيلبـــي الذي اوفدته الحكومـــة البريطانية إلى الجزيرة العربية للالتقاء بابن سعود والعمل على توطيد العلاقة معـــه، بعيد اندلاع الحرب العالمية الأولى، لأهمية نجد في سير الأحداث التي وقعت هنـــاك، مع وجود زعماء آخرين يرومون الهيمنة على شؤون الجزيرة العربيـــة، ولا ســـيما اشراف الحجاز-موضوع الدراسة- ويمكن القول بنجاح فيلبـــي في تجسيد سياسة الموازنة التي حرصت بريطانيا على اشاعتها بين أمير نجد والاحساء وشريف الحجاز حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، بغية احتلال العراق واخراج العثمانيين من المنطقة، وهي من اولويات أهدافها في الخليج والجزيرة العربية.

ثانيا- أبرزت الدراسة تزايد الاهتمام البريطاني في محاولة زرع الثقة بين أمير نجد والاحساء، وشريف الحجاز، لابقاءها ضمن الحفاظ على مصالحها المتناميـــة في المنطقة، لكن يلاحظ حدوث فتـــور في النشـــاط البريطـــاني إزاء العلاقـــات النجدية- الحجازية، وقد اتضحت معالمه في معركة خرمة عام 1918، مما يشـــير إلى تحول في مسار السياسة البريطانية، التي جسدتها تحركات فيلبـــي ممثلها لدى

طرفي النـــزاع، على الرغم من اعلان الحكومة البريطانية بـــاكثر مـــن مناســـبة التزامها بدعم الحلول السلمية بين البلدين، تجنبا لوقوع مخاطر محتملة على مكانة بريطانيا السياسية والعسكرية ولا سيما بعد خسارة الدولة العثمانيـــة للحـــرب العالمية الأولى.

ثالثا:– ومع الاقرار بان فيلبـــي استخدم اسلوب الترضية ومحاولة إقناع طرفي النـــزاع بان طريق المفاوضات هو الحل المناسب لخلافاتهما، عـــن طريـــق تقـــديم النصح لشريف الحجاز بان يتخلى عن نهجه العسكري، حين اقترح عليه الـــذهاب بنفسه إلى ابن سعود الذي سيرحب بقدومه، ويتم حينذاك تســـوية مشـــاكلهما، مقابل رغبته في اعلان هدنة بين الجانبين الذين دخلا في نـــزاع عســـكري بـــين سنوات (1924–1926) وتردده على ابن سعود للغرض نفســـه، فيمـــا لوحـــت السلطات البريطانية لممثلها فيلبـــي ضرورة الكف عن تحركاته، وهي غير مخولة اياه الوساطة بين أمير نجد والاحساء، وشريف الحجاز، وهو ما وثقته صفحات البحث على قدر المعلومات المدونة في ثنايا الدراسة.

6– المصادر

– الوثائق الأجنبية المنشورة:

1- G.U.A., Aitchison; Collecation of Treaties Engagements and Sands Relating to India Nieghbouring Countries, Vol. XL, Calcutta, 1933.

2- J.C. Hurewitz; Diplomacy in the near and Middle East, Documentary Records, 1535-1914, Vol.1, New York, 1972.

– الكتب الوثائقية المنشورة:

1– نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، نجد والحجاز، جـــ1، دار الساقي، بيروت، 2000.

2– ـــــــــــــــ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجـــاز) المجلـــد الثالث (1917–1918) دار الساقي، بيروت، 2000.

- الرسائل الجامعية:

1- حسين هادي شلاه، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1971.

2- سمية أمين ياسين، تكوين المملكة العربية السعودية 1918-1932، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1988.

3- معد صابر رجب، دور عبد العزيز آل سعود في توحيد الجزيرة العربية وبناء الدولة الحديثة 1902-1953، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1990.

4- مفيد كاصد ياسر الزيدي، سياسة بريطانيا تجاه آل سعود 1915-1927، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991.

5- منتهى عذاب ذويب، برسي كوكس ودوره في السياسة العراقية 1864-1923، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1995.

- الكتب العربية والمعربة:

1- احمد السباعي، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم الاجتماع والعمران، جـ1و2، مطابع الصفا، الرياض، 1999.

2- ارمسترونغ، سيد الجزيرة عبد العزيز آل سعود، ترجمة رافد خيشان الاسدي، ط1، دار الوراق للنشر، لندن، 2009.

3- اليكسي فاسيليف، تاريخ العربية السعودية، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2010.

4- أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، 1954.

5- أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، المجلد الثاني عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل 1319-1373، دار الكاتب العربي، بيروت (د.ت).

6- انتوني ناتنغ، لويل ثوماس، لورانس لغز الجزيرة العربية، تقديم د. الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2010.

7- بنوا ميشان، ابن سعود وولادة مملكة، تعريب رمضان لاوند، دار اسود للنشر، بيروت، 1976.
8- بونداريفسكي، سياستان إزاء العالم العربي، ترجمة خيري الضامن، موسكو، 1975.
9- حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1967.
10- ــــــــــ، خمسون عاما في جزيرة العرب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
11- حسين محمد ناصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ط1، مطبعة خضير، مصر، 1349.
12- خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، جـ1، مطابع دار القلم، بيروت، 1970.
13- خيري حماد، عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1961.
14- داكوبرت فون ميكوش، عبد العزيز، نقله إلى العربية أمين روعة، بيروت، دار البيضاوي للتأليف والترجمة، (د.ت).
15- راندال بيكر، مملكة الحجاز الصراع بين الشريف وآل سعود، ترجمة صادق عبد علي الركابي، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2004.
16- صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جـ2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
17- طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز (1916-1925)، دراسة في الأوضاع السياسية، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1982.
18- عمر أبو النصر، سيد الجزيرة العربية ابن سعود، المكتبة الأهلية، بيروت، 1935.
19- فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
20- فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، 1949.

21- موضى بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، الملك عبـــد العزيـــز ومـــؤتمر الكويت، 1923-1924، الناشر تهامة، جدة، 1982.
22- ناصر الدين النشاشيبـــي، ماذا جرى في الشرق الأوسط، ط5، دار الحكمة، لندن، 2002.
23- هـــ.سنت.جون فيلبـــي، أيام فيلبـــي في العراق، ترجمة جعفـــر الخيـــاط، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011.

- الكتب الأجنبية:

1- David Howarth, The Desert King , A life of the Ibn Saud, London, 1964.
2- Elizabeth, Monro; Philpy of Arabia, First Published, Butleo and Tanner, 1973.
3- Jacqes. Benoist-Mechin, Arabian Destiny, London, 1957.
4- John Philpy; Forty Years in the Wilderness, London, 1957.
5- ________ , Saudi Arabia, Beirut, 1968.
6- Philip Graves; The Life of Sir Percy Cox, London (N.D).
7- Kenneth William, Ibn Sa'ud, The Buritan King of Arabia, London, 1933.

البحوث المنشورة:

1- احمد العناني، رحلات الكابتن شكسبير في شبه الجزيرة العربية، مجلة الفيصل، العدد الثاني، السنة الأولى، تموز 1977.
2- راهي مزهر العامري، الموقف البريطاني وجهود أمين الريحـــاني مـــن إقامـــة مشروع الاتحاد بين اليمن والحجاز، مجلة الأستاذ، العدد 78، كلية التربية/ابن رشد - جامعة بغداد، 2008.
3- مصطفى عبد القادر النجار، الوثائق البريطانية وأهميتها في كشـــف المصـــالح البريطانية في جزيرة العرب بعد الحرب العالمية الأولى، مجلة المؤرخ العربـــي، العدد 30، السنة الثانية عشرة، 1986.

الفصل الثاني

فيلبي والسياسة البريطانية بشأن العلاقات النجدية - الكويتية والعلاقة مع آل الرشيد في حائل (1915-1921)



1- المقدمة:

لا تزال الكثير من موضوعات تاريخ الجزيرة العربية بحاجة إلى دراسات لكشف أحداثها ومعرفة تفاصيل ما حدث من تطورات سياسية فيها عبر سنوات تاريخها الحديث والمعاصر، ومن هنا تأتي محاولتنا متابعة دور فيلبي بوصفه ممثلا للحكومة البريطانية وراعيا لمصالحها المتنامية فيها، إذ كان اهم ما يشغل الأخيرة مع قيام الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية بها ضد بريطانيا وحلفاءها، الحفاظ على علاقات صداقة بين حلفاءها في الجزيرة العربية، وهما أمير نجد والاحساء وشيخ الكويت، لاهمية بلديهما في انجاح حملة احتلال العراق، والتخلص من آل الرشيد حلفاء الدولة العثمانية.

ولتحقيق تلك الأهداف اوفدت الحكومة البريطانية فيلبي وغيره من المبعوثين للعمل سوية للحيلولة دون وقوع ما يؤثر سلبا على مسار العلاقات النجدية- الكويتية، وفي مقدمتهم (شكسبير) الذي تمتع بعلاقة طيبة مع ابن سعود، حتى انه قتل في معركة جراب عام 1915، التي وقعت بين قوات الأخير، وقوات ابن الرشيد، وستحاول الدراسة التعريف بدور فيلبي في السياسة البريطانية إزاء علاقات البلدين منذ وصوله نجد عام 1915 ولقاءه ابن سعود، وما تبع ذلك من اعمال قام بها منفردا، أو ضمن افرادا آخرين بريطانيين وعرب لتهدئة التوتر الذي شاب العلاقات بين نجد والكويت، ولا سيما بعد تولي سالم الصباح الحكم في الكويت عام 1917، ومدى مساهمته في معالجة مسألة تهريب المؤن والمعدات إلى القوات العثمانية بالعراق والشام، التي اتهم ابن سعود شيخ الكويت بتدبيرها انطلاقا من أراضيه.

وستتناول صفحات البحث قدر صلتها بموضوع الدراسة الاطلاع على وساطة فيلبي بين طرفي النزاع النجدي- الكويتي، الذي تحول إلى حرب، تمثلت بوقوع معارك بين الجانبين عام 1919، فضلا عن محاولة معرفة الدور نفسه،

بشأن اثر الولاءات القبلية على علاقات نجد والكويت، لا سيما الساكنة على حدودهما، وهو الامر الذي استغرق سنوات، كانت بريطانيا تراقب تلك الأوضاع وتطلب من فيلبي ان يقوم بواجبه في تهدئة حالة التوتر التي غلبت على صلاتهما، ولعل ما احتوته صفحات البحث ما يوضح ذلك الدور.

2- فيلبي والسياسة البريطانية بشأن العلاقات النجدية- الكويتية والعلاقة مع آل الرشيد في حائل (1915-1921):

ادركت بريطانيا ومنذ وقت مبكر قبل قيام الحرب العالمية الأولى ضرورة الاتصال بابن سعود لانجاح حملتها العسكرية لاحتلال العراق، فضلا عن التحسب من دخول الدولة العثمانية الحرب، إذ كتب لويس ماليت (Louis Mallet) السفير البريطاني لدى الباب العالي في الأول من أيلول 1914 إلى وزارة الخارجية ما يأتي: "ان من الحكمة ان نحاول احياء صداقتنا مع ابن سعود، ولكني اعتقد ان من غير الملائم ان تتيح له الفرصة للتصور باننا نقف محتاجين صداقته بشكل خاص...، ولكن نظرا لكل ما حدث من اندلاع الحرب، فانني اظن ان من الواجب علينا الآن ان نكون مقتنعين باحياء علاقتنا معه"[1].

مقابل ذلك يلاحظ ميل مبارك الصباح شيخ الكويت (1896-1915) لابداء التعاون مع بريطانيا، فقد تضمن جوابه المؤرخ في 18 آب 1914، ردا على خطاب مرسل إليه من الميجر نوكس (Nox) المقيم البريطاني في الخليج العربي، اخبره فيه بنشوب الحرب، ومما جاء فيه الآتي: "واني يا محبكم معكم ويتبعني جميع العشائر الذين جنابكم رأيتموهم وبكل اجتهادنا رجالنا وسفائننا تحت امركم، وابن سعود يتبع نفرنا"[2].

كان من الطبيعي ان تسهم الاتصالات البريطانية مع ابن سعود وابن الرشيد في تهيئة الاجواء المناسبة لإحداث تقارب بين الجانبين، لاهمية ذلك في دعم المجهود

1- نقلا عن: خالد بن حمود السعدون، الصراع حول رأس الخليج العربي مطلع القرن العشرين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص 152.

2- نقلا عن: حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، جـ2، مكتبة مغنية للنشر، بيروت، 1962، ص 154.

البريطاني السياسي والعسكري ابان الحرب العالمية الأولى، والقبول بالدور البريطاني المتزايد بالتطورات السياسية التي كانت تشهدها الجزيرة العربية، وتوظيف قدرات امراء المنطقة لانجاح حملة العراق، فضلا عن تهديد الدولة العثمانية من حدودها الجنوبية، واستمرار مساعيها لاشاعة الظروف الملائمة لتطوير العلاقات بين نجد والكويت[1].

ومن الملاحظ ان السياسة البريطانية قد اعتمدت قبل قيام الحرب العالمية الأولى وخلالها على كسب تأييد شيوخ الخليج والجزيرة العربية إلى جانبها في محاربة الدولة العثمانية، التي كانت تنافس بريطانيا بالحصول على مناطق النفوذ. لذلك، راح مبعوثيها ووكلاءها السياسيين في المنطقة ينشطون بهذا المجال، وبشأن العلاقات بين نجد والكويت في اثناء تلك المدة، فقد استمرت الاتصالات قائمة بين مبارك الصباح (1896-1915) وابن سعود على تبادل الآراء حول الموقف من تطورات الحرب، وعلى الرغم ان موقف الأخير قد تميز بالحذر من اعلان الانحياز إلى أي من الدولتين المتحاربتين بريطانيا والدولة العثمانية في مراحل الحرب الأولى، لكنه ظل حريصا على استمرار علاقاته مع شيخ الكويت، إذ كتب رسالة إلى مبارك الصباح في 6 تشرين الثاني 1914 ردا على رسالة بعثها له الأخير في 14 تشرين الأول من العام نفسه، ومما ورد فيها الآتي: "نرجو ان الله يجعل الغلبة لمن لنا واياكم فيه اصلاح ثم ادام الله وجودك، تعلمون ان الرابط واحد، إذا حصل امر يوجب اختلال عن الحال السابق، واعتمادنا على الله ثم عليكم، ولا تتصوروا ان عندنا امر يخالف امركم بهذا الخصوص. وقد عرفتكم ان امري تابع امركم ومن قبل الدولة البهية (انجلترا) تعرف ان غايتنا عندكم وعندهم هو انا معكم ومعهم، نحن جاءنا من نوكس (Nox) المقيم البريطاني في الخليج كتاب عن طريق البحرين، فضلا عن كتاب من تريفور (Trevor) الوكيل السياسي في البحرين، وقد أرسلنا له جوابا لائقا وبينا له موقفنا ليس معهم وليس مع العثمانيين"[2].

1- بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج الحديث والمعاصر، جـ2، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1988، ص 187.

2- جمال شمال دغل الفرطوسي، العلاقات السياسية النجدية - الكويتية 1914-1923، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/الجامعة المستنصرية، 2011، ص 51-52.

من جانب آخر يلاحظ ممارسة بريطانيا اساليب عدة بهدف كسب تأييد امراء الجزيرة العربية لسياستها في المنطقة، فضلا عن نشاطها السياسي المتمثل باتصالاتها مع الأخيرين وإرسال المبعوثين إلى ابن سعود وشيخ الكويت، فانها لجأت إلى عرض تقديم مساعدات مختلفة، واعلانها عن وعود بزيادة الدعم البريطاني لزعماء المنطقة للوصول إلى أهدافها، مما يزيد القناعة باستمرار تلك العلاقات التي اوجدتها متطلبات الحرب وظروفها، مع الإشارة إلى أن الدولة العثمانية لم تفقد من ناحيتها الأمل في استمالة ابن سعود، فضلا عن مبارك الصباح، لدعم جهودها في مقاومة تقدم القوات البريطانية بالعراق من خلال إرسال المبعوثين والوفود، حاملين معهم الاموال وعارضين تقديم مساعدات لتقديمها إلى زعماء تلك البلدان في محاولة لاستمالتهم إلى جانبها ضد بريطانيا[1].

ومع ان ابن سعود قد رفض طلب شكسبير المبعوث البريطاني الذي استدعاه كوكس من لندن لاجراء مفاوضات مع الأول لكسب دعمه لحملة العراق، فضلا عن اشغاله عن التوسع صوب المناطق المجاورة[2] إلا أن موقفه تغير عقب دخول البريطانيين المدينة، إذ اعلن عن رغبته في اقامة علاقات طيبة مع بريطانيا، شريطة ان تحافظ على ممتلكات أمير نجد والاحساء، وتنظم علاقاتها مع بلاده على وفق اتفاقية تعقد بين الجانبين[3]، وترجع المصادر التاريخية موقفه إلى عدم ارتياحه من ان تؤدي علاقاته مع السلطات البريطانية في المنطقة إلى أن يصبح في موقف حرج قد يضر بمصالح دولته الناشئة، رغم اشتراك شكسبير المبعوث البريطاني مع قوات نجد بمعركة جراب المنطقة الواقعة بين الرياض وحائل) في 24 كانون الثاني 1915 ضد خصمه ابن رشيد، ومقتله في المعركة[4].

1- وداد خضير حسين الشتيوي، موقف الدولة العثمانية من آل سعود (1891-1914) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1989، ص 139.

2- جمال زكريا قاسم، المؤشرات السياسية للحرب العالمية الأولى على امارات الخليج العربي، المجلة التأريخية المصرية، المجلد السادس عشر، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، 1969، ص 135.

3- أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، المجلد الثاني، دار الكاتب العربي، بيروت (د. ت)، ص 72.

4- Nyrob Richard; Area Handbook For the (Persian) Gulf States Washington, Jannary 3, 1977, p. 313-316.

وبهدف توثيق علاقاته مع ابن سعود، كلفت بريطانيا كوكس الضابط السياسي لحملة العراق بعقد معاهدة العقير (جزيرة تقع مقابل القطيف) مع سلطان نجد وتوابعها في 26 كانون الثاني 1915، اسوة بامراء الخليج العربي، تضمنت اعترافا بحكمه على نجد والاحساء، وحماية بلاده ضد أي اعتداء قد يقع عليها، مع دعم مالي وعسكري له، مقابل عدم تعرضه لامارات الخليج العربي، وبذلك تمكنت بريطانيا من تشجيع أمير نجد والاحساء وشيخ الكويت بالعمل سوية لاضعاف قوة الدولة العثمانية في شمال الخليج العربي والشام وزيادة الضغوط السياسية والعسكرية لاضعاف امراء حائل حلفاء الدولة العثمانية[1].

وعلى اثر تولي سالم الصباح الحكم في الكويت، عقب وفاة الشيخ جابر الصباح في 3 شباط 1917، شهدت العلاقات بين بلاده ونجد توترا، لاسباب تتعلق بوجود خلافات شخصية بين أمير نجد والاحساء، وشيخ الكويت، يرجعها البعض إلى ايام ضيافة الاسرة السعودية في الكويت، واعتقاد سالم الصباح ان ابن سعود يؤيد البريطانيون بسياستهم فرض الحصار الاقتصادي على الكويت، فضلا عن العلاقات الطيبة التي تجمع بين سالم الصباح مع ابن الرشيد في حائل العدو المنافس للاسرة السعودية الزعامة على الجزيرة العربية، والحسين بن علي شريف الحجاز، الامر الذي جعل شيخ الكويت يشعر بالقلق من جاره النجدي، من احتمال تعرض بلاده من هجمات تنطلق من الأراضي النجدية[2]. هذه التطورات زادت من الاهتمام البريطاني بتلك الأوضاع، واهمية ان تلعب السلطات البريطانية في الخليج والجزيرة العربية دورا في اشاعة حالة الاستقرار بين البلدين، من خلال ممثليها في المنطقة، وكان فيلبي في مقدمة اولئك المندوبين عن الحكومة البريطانية، الذي وصل الأراضي النجدية عام 1915، وراح يبذل الجهود الحثيثة لتوطيد علاقته مع ابن سعود، فضلا عن مساعيه الأخرى لكسب ود شيخ الكويت.

ومع نجاح العمليات العسكرية البريطانية بدخول قواتها بغداد عام 1917، الا انها ظلت حريصة على إحداث تقارب بين نجد والكويت، فكان إرسال مبعوثين

1- جمال شمال دغل الفرطوسي، المصدر السابق، ص 69.

2- لمزيد من التفاصيل ينظر: حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، جـ4، مكتبة مغنية للنشر، بيروت، 1970، ص 180-192.

جدد للقاء امراء الجزيرة العربية أحد أهدافها[1]، وكان مقررا ان توفد تلك السلطات في آب 1917 بعثة إلى ابن سعود برئاسة الكولونيل هاملتون[2] (Hamilton) أحـــد موظفي الدائرة السياسية الهندية، للتباحث في بعض القضايا التي تهم بريطانيا في وسط الجزيرة العربية، ولا سيما تخفيف أو ازالة حالة التوتر التي عكرت صفو العلاقات بين نجد والكويت، بسبب الاتهامات التي وجهها ابن سعود للسلطات الكويتية، بوصفها المسؤولة عن دعم حركة تهريب المواد الغذائية والمعدات الـــتي كانـــت تصـــل إلى العثمانيين بالعراق والشام، ولم يقدر (لهاملتون) ان يباشر مهمته بعد ان وصل الرياض بداية تشرين الثاني 1917، إذ لم تلبث السلطات البريطانية ان اوعزت إلى فيلبـــــي ليتسلم رئاسة تلك البعثة، مما جعل هاملتون يقرر العودة من حيث اتى، ولكنه ارتأى قبل ذلك ان يتباحث مع ابن سعود حول القضايا التي تهم الكويت[3].

وقد اجتمع الوفد مع ابن سعود في الرياض أواخــــر تشـــرين الثــــاني 1917، وتناولت المفاوضات موضوعات عدة، في مقدمتها العلاقات النجديـــــة -الكويتيـــة والحصار الذي فرضته بريطانيا على الكويت لمنع تهريب المواد والسلع عبر الأخيرة إلى العراق، فطلب فيلبـــي من ابن سعود تعاونه في تشديد ومراقبة الحصـــار لمنـــع التهريب الذي كانت تقوم به القبائل من الكويت صوب العـــراق[4]، وضـــرورة متابعته لعمليات تهريب يقوم بها اهالي نجد إلى حائل، ثم تنقـــل تلـــك المـــواد إلى معسكرات العثمانيين، فاجاب أمير نجد والاحساء ان شيخ الكويت سالم الصـــباح (1917-1921) هو الذي يساعد عمليات التهريب إلى العثمانيين نظـــرا لتفاهمـــه السري معهم، وعلى بريطانيا[5] ان توقف التهريب من منابعه في الكويت، بدلا ان

1- Penelope. Tuson, The Records of the British Residency and Agencies in the (Persian) Gulf, London, 1979, p. 141.

2- هاملتون (Hamilton, R.E): لم يتمكن من مفاوضة ابن سعود بناء على أوامر كوكس، حيث توصل لآراء جديدة حول المفاوضات بعد رحيل هاملتون، وعليه فقد تم انتداب فيلبـــي ليخلف هاملتون في المفاوضات. سمية أمين ياسين، المصدر السابق، ص 47.

3- خالد حمود السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص 184.

4- خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، ص 56.

5- من الجدير بالذكر أن السلطات البريطانية قد ابدت توجسها من تولي سالم الصباح الحكـــم في الكويت، لأنه ميال للتعاون مع الدولة العثمانية، بسبب نزعته الدينية التي جعلت منه أقـــرب إلى العثمانيين، وعدم رغبته التعاون مع بريطانيا. مصطفى عبد القادر النجار، التـــاريخ السياســـي لعلاقات العراق الدولية، مركز دراسات الخليج العربـــي بجامعة البصرة، 1975، ص 131.

تطلب من ابن سعود تضييق الخناق على الطرق التجارية، كما طلب فيلبي من أمير نجد والاحساء عدم التحرش بالشريف الحسين بن علي في الحجاز، ودعم جهوده السياسية والعسكرية، لا سيما بعد اعلان الثورة ضد الدولة العثمانية، ودخوله بمعارك مع قواقما، ومواصلة ابن سعود حربه لآل الرشيد في حائل حلفاء الدولة العثمانية، وذكرت المصادر التأريخية إلى تقديم فيلبي عروضا إلى ابن سعود تضمنت تزويده بمعدات واموال لدعم جهوده العسكرية في فرض هيمنته على مناطق الجزيرة العربية[1].

وفي اثناء البحث بشأن العلاقات بين نجد والكويت ودور بريطانيا في تسوية مشاكلها وايجاد الحلول لمعالجتها، رأى فيلبي ان افضل حل لمشكلات الحدود بين البلدين التي اثرت سلبا على علاقاقما، هو في ضم الكويت إلى ممتلكات ابن سعود، كي تكون منفذا تجاريا لبلاده على الخليج العربي، بسبب تأزم علاقات البلدين في عهد الشيخ سالم الصباح، وقد طرح فيلبي وجهة نظره هذه بحضور هاملتون الوكيل السياسي في الكويت، لكنه اضطر للصمت حين اعترض هاملتون على فكرته[2]، فضلا عن ذلك فأن السلطات البريطانية لم تأخذ برأيه لاسباب عرفت فيما بعد عندما تدفق النفط من الكويت[3].

من جانب آخر تزايدت الغارات التي كانت تشنها قبائل العجمان[4] الموالية لشيخ الكويت في حزيران عام 1918 على الأراضي النجدية كما أدى إلى توتر في العلاقات بين البلدين لاها تتم عبر أراضي الكويت، فضلا عن مهاجمتهم قافلة تجارية خارجة من الكويت، وهي تحمل مؤنا لابن سعود، وغنموا منها (50) جملاً، مما زاد في تدهور علاقاقما، وقد ألقى ابن سعود مسؤولية ذلك على شيخ

1- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 56؛ جمال شمال دغل الفرطوسي، المصدر السابق، ص 88.

2- John , Philpy, Arabian Jubile, London, 1950, p. 153.

3- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية 1914-1945، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1973، ص 63-64.

4- العجمان: من القبائل البدوية التي اظهرت عداءً للاسرة السعودية منذ مدة حكم الأمير فيصل بن تركي الثانية (1843-1866) ينظر: نذير جبار حسين الهنداوي، التطورات الداخلية والعلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية في عهد فيصل بن تركي (1843-1866)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987.

الكويت، حينذاك بعث الأول برسالة إلى الثاني محذرا اياه من التعاون بين قبيلة العوازم الكويتية والعجمان، ومطالبا باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف تلك الاعمال والحيلولة دون تكرارها، ولم تؤد تلك الاتصالات إلى نتائج ايجابية[1]، الامر الذي اضطر معه ابن سعود، مع استمرار الاشتباكات بين بلاد نجد والعجمان إلى تقديم أمير نجد والاحساء شكوى إلى فيلبي ممثل بريطانيا في الرياض، الذي مال إلى تأييد وجهة نظر ابن سعود في وضع مسؤولية ما يجري من تلك الغارات على الشيخ سالم الصباح شخصيا، لانه مطلع تماما على تلك الأمور، ولم يتخذ الاجراءات الكفيلة بمنعها، لذلك اقترح على رؤسائه في بغداد منع العجمان وفخذ الاسلم من شمر من التزود بالمؤن من الاسواق الخاضعة للسلطات البريطانية في البصرة والكويت لحين تسليمهم القائمين عن تلك الغارات[2]، مع تحذير شيخ الكويت ان حدوث غزوة جديدة عبر أراضي بلاده، ستضطر السلطات البريطانية لخلعه من الحكم[3].

وقد افصح فيلبي عن تفاصيل تلك الأحداث بتقريره المؤرخ في 18 تموز 1918 المرسل إلى وزارة الخارجية على النحو الآتي: "ان عصابة مكونة من نحو (100) من العجمان واسلم شمر قد هاجمت بعض اتباع ابن سعود بين القطيف والاحساء، وبدأت الغارة من أرض كويتية"، ويرى فيلبي ان شيخ الكويت مسؤول عن الحادث مع حوادث لخرى، وهو ما يسبب استياءً عاما في نجد، فيما اقترح الوكيل السياسي في الكويت، وضع رتل متحرك وقوات بريطانية في الكويت. اما ويلسون رئيس الضباط السياسيين في بغداد، فقد اوصى بإرسال كتيبة وسرية خيالة إلى الكويت فورا[4].

1- خالد حمود السعدون، العلاقات بين نجد والكويت، ص 187-188.

2- هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي، جـ1، بغداد، 1989، ص 99.

3- حسين خلف الشيخ خزعل، المصدر السابق، جـ4، ص 21؛ جمال شمال دغل الفرطوسي، المصدر السابق، ص 144.

4- تقرير مستر فيلبي مؤرخ في 18 تموز 1918 إلى وزارة الخارجية. نقلا عن: نجدة فتحي صفوة، المصدر السابق، المجلد الثالث (1917-1918)، ط2، دار الساقي، بيروت، 2010، ص 536.

استمرت المحاولات البريطانية الرامية إلى اشاعة أجواء الثقة وارساء علاقات طيبة بين نجد والكويت، وتقريب وجهات نظرهما بهدف توحيد مواقفهما لتكون في مسار السياسة البريطانية، وتوظيف امكانات البلدين في الحفاظ على المصالح البريطانية، لا سيما بعد نشوب النزاع الحدودي بينهما حول (دوحة بلبول) التي تشتهر بوجود المياه وبوصفها مرسى صالح لرسو السفن في 13 أيلول 1919، فضلا عن مكان آخر يدعى (جرية العليا) وهي منطقة آبار للمياه قريبة من موقع دوحة بلبلول على بعد (20) كم عن الكويت في بداية نيسان 1920، ووقوع معركة (حمض) بين القوات النجدية والكويتية، انتهت بهزيمة الأخيرة، ومع ذلك استمرت الوساطة البريطانية لاحتواء الازمة بين البلدين والحيلولة دون اتساع خلافاتهما، ففي 10 أيلول 1920 عقد كوكس اجتماعا بحضور أحد معاونيه فيلبي مع ابن سعود، وفي اثناء اللقاء تعرفوا على وجهة نظره في الخلاف القائم بينه وبين شيخ الكويت، ثم عرج بعد ذلك كوكس على الكويت في 29 تشرين الثاني من السنة نفسها، وتعرف على وجهة نظر شيخها بشأن اسباب الخلاف مع ابن سعود، وخلال الاجتماع تشكى شيخ الكويت من تعديات جاره على بلاده، لكن فيلبي الذي كان برفقة كوكس اتهم الشيخ سالم الصباح انه السبب وراء المشاكل التي وقعت بين الطرفين الامر الذي دفع كوكس الطلب من فيلبي عدم الكلام[1].

اما دور فيلبي بالسياسة البريطانية وتوجهاتها نحو مناطق الجزيرة العربية وزعاماتها المحلية، واعني بها اشراف الحجاز والاسرة السعودية في نجد، وآل الرشيد في حائل ولا سيما فيما يتعلق بالنزاع القائم بين أمير نجد وآل الرشيد، فنلاحظ حرص حكومته على تقديم العون اللازم والمساعدة إلى ابن سعود في صراعه ضد خصمه أمير حائل من آل الرشيد وهم حلفاء الدولة العثمانية في الجزيرة العربية الذين ظلوا يمثلون عقبة امام المحاولات البريطانية الهادفة لاحكام سيطرتها على المنطقة في اثناء سنوات الحرب العالمية الأولى (1914-1918)[2]، وتعبيرا عن ذلك الاهتمام ترأس فيلبي البعثة البريطانية التي وصلت الرياض أواخر تشرين الثاني

1- Philip, Graves, op. cit., p. 270.

2- مفيد كاصد ياسر الزيدي، المصدر السابق، ص 124-125.

1917، وقد استقبله ابن سعود استقبالا حارا، وكان من ضمن مهامها تشجيع الأخير على محاربة أمير حائل سعود بن عبد العزيز الرشيد (1908-1920) الذي كان يشكل خطرا على نفوذ أمير نجد والاحساء في ممتلكاته الشمالية، وسبق هذا الاجتماع إرسال ضابطين إلى الرياض من البصرة، هما الكولونيل (هاملتون) ممثل كوكس، والكولونيل (اوين) ممثلا للاستخبارات البريطانية في العراق، وقد عادا الضابطان فور وصول فيلبي[1].

وفي اثناء المفاوضات اشترط ابن سعود مقابل تعاونه مع السلطات البريطانية الحصول على المال والسلاح، ليتمكن من محاربة ابن الرشيد، وان تعامله الحكومة البريطانية كشخصية سياسية لها اهمية في الجزيرة العربية وعلى قدم المساواة مع شريف الحجاز الحسين بن علي، وقام فيلبي برفع تلك المطاليب في تقرير بعثه إلى مرؤوسيه في بغداد، أكد فيه ضرورة زيادة الدعم المقدم إلى أمير نجد والاحساء لكي يصبح قادرا على اكمال استعداداته والتصدي لمخططات العثمانيين من خلال قتال ابن الرشيد[2]، ونقلت المصادر البريطانية ما ذكره فيلبي عن انطباعاته بشأن لقاءه ابن سعود، والمهمة التي جاءت البعثة لاجل تحقيقها بقوله: "وقد وجدنا في ابن سعود الرغبة الصادقة لتنفيذ ما نريد بل اكثر من ذلك"[3].

ونتيجة لزيارة فيلبي إلى الرياض استأنف ابن سعود مناوشاته مع ابن الرشيد في خريف عام 1918، فزحف على جبل شمر، ولكنه فشل في اقتحام حائل مع انه وصل إلى اسوارها، وكان ذلك كافيا لاجهاض حملته[4]، بعد فشل المحاولات التي قام بها مشايخ شمر في سبيل الصلح، والتوفيق بين الجانبين المتنازعين، على اثر رفض ابن الرشيد شروط الصلح التي عرضها ابن سعود[5]، فيما رأت مصادر تاريخية

1- H.R.P. Dickson; Kuwait and Her Neighbours, George Allen & Unwin Ltd, London (N.D), p. 247.
2- John Philpy; Arabian days, London, 1942, p. 143-144.
3- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي 1899-1947 دراسة وثائقية، ط1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981، ص 190.
4- H.R.P. Dickson; op. cit., p. 248.
5- محمد عبد الله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب (1) في المملكة العربية السعودية، دار إحياء الكتب العربية، ط2، القاهرة، 1952، ص 137.

أخرى ان أمير نجد والاحساء قد حارب ابن الرشيد امام حائل وانتصر على جموعه، لكنه رفع الحصار عن حائل وعاد إلى الرياض[1].

على أن نشاط فيلبي ضمن توجهات السياسة البريطانية لم يقتصر على توطيد علاقاته مع ابن سعود بل تعداه إلى الاتصال مع شيوخ القبائل العربية الممتدة نفوذها في وسط وجنوب العراق وعلى الحدود مع ممتلكات ابن سعود وشيخ الكويت، ويشير أمين الريحاني إلى خروج فيلبي في ربيع 1918 إلى البادية لتوزيع الاموال على شيوخ قبائل لكسب ودهم مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية، وفي مقدمتهم ضاري بن طوالة شيخ شمر العراق، وعجمي السعدون رئيس المنتفق، للإفادة من دعمهم دون وصول الامدادات للعراق أو الشام مركز الدولة العثمانية خلال الحرب[2].

ولكن ما ان وردت الاخبار بوقف العمليات الحربية وانتصار بريطانيا وحلفاءها وانتهاء الحرب وعقد الهدنة في 11 تشرين الثاني 1918 بين الحلفاء ودول المحور، واعتبار الحرب منتهية بالنسبة للعثمانيين، حتى كتبت السلطات البريطانية في بغداد تستقدم فيلبي، إذ لم يعد يهم الحكومة البريطانية من امر حائل شيئا، ولا تريد ان تدفع مالا لابن سعود أو تعطيه سلاحا تعينه به على حرب ابن الرشيد، وقد هدد ابن سعود بانه سيرسل انذارا للحكومة البريطانية ضد تصرفها هذا، وقد وعده فيلبي بانه سيحاول إقناع السلطات البريطانية للسير قدما في دعم أمير نجد والاحساء، كما طلب الأخير إلى فيلبي عدم الرجوع إليه إذا فشل، ولما وصل المبعوث البريطاني إلى الكويت، عرف ان الحرب مع الدولة العثمانية قد انتهت وان لا داعي لرجوعه إلى الرياض مرة أخرى، وعد ذلك خيبة امل لابن سعود من السياسة البريطانية[3].

على أن المصادر البريطانية كشفت عن عرض تقدم به فيلبي إلى ابن سعود بتزويده بالاموال والمعدات العسكرية والعتاد، توثيقا للعلاقة بين الجانبين، لدعمه في محاولاته فرض سيطرته على مناطق الجزيرة العربية، والمضي قدما في محاربة ابن

1- فؤاد حمزة، المصدر السابق، ص 378.

2- أمين الريحاني، المصدر السابق، ص 240-241.

3- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص 190-191.

الرشيد، تضمن تقديم (4) رشاشات ميدانية و(1000) بندقية مع (2000) باوند استرليني، لشراء الجمال و(150000) باون لمدة ثلاثة اشهر يدفعها البريطانيون بهدف الحاق الهزيمة بابن الرشيد[1].

ويشير فيلبي إلى أنه قدم نصيحة إلى ابن سعود خلال لقاءه في أيلول 1920، بالاسراع بمهاجمة حائل معقل آل الرشيد والقضاء على حكمهم الذي شكل مصدر تهديد للمصالح البريطانية في المنطقة، وإمكانية تقاربه مع شريف الحجاز للوصول إلى تلك الغايات، فرد عليه ابن سعود انه متيقن لذلك الامر، لكن ينتظر الفرصة المناسبة لذلك[2].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918 انهمك ابن سعود في تهيئة المستلزمات السياسية والعسكرية التي تمكنه من القضاء على حكم آل الرشيد في حائل، وتحقق له ذلك عبر قيامه بعمليات هجومية، استطاع على أثرها من احتلال حائل عاصمة آل الرشيد واستسلام أميرها محمد بن طلال، بعد حصار دام خمسة وخمسين يوما في الثاني من تشرين الثاني 1921، وكان ذلك آخر العهد باقوى امارة في الجزيرة العربية شغلت ابن سعود ثلاثين عاما، بعد ان دامت امارة آل الرشيد في حائل (91) عاماً، وبذلك فرض ابن سعود سيطرته على شمال نجد، وأصبح سيدها بلا منازع، الامر الذي اثار ارتياحا لدى الاوساط البريطانية لتخلصها من حكم هذه الاسرة التي ظلت حليفة للدولة العثمانية حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث خرجت الأخيرة خاسرة منها، مما كان عاملا، مضافا في زيادة النفوذ البريطاني في عموم المنطقة[3].

3- الخاتمة:

يمكننا القول بتوصل الدراسة إلى نتائج أبرزها:

اولا- اتضح من البحث حقيقة تأريخية جسدتها الأحداث التي تم استعراضها، تمثلت في اضطلاع بريطانيا بدور واضح في مجرياتها، وتوضيح معالم

1- David Howarth: Op. cit., p. 120.

2- هـ. سنت جون فيلبي، أيام فيلبي في العراق، ص 161.

3- صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1915-1953)، ط1، دار الحكمة، لندن، 2011، ص 15-16.

العلاقات بين القوى السياسية في الجزيرة العربية إلى حد ما، وتزايد ذلك الاهتمام البريطاني مع قيام الحرب العالمية الأولى واشتراك الدولة العثمانية طرفا بها، بدخول البلدين في صراع سياسي وعسكري للاستحواذ على مناطق النفوذ، وجاءت حملة احتلال العراق لتعطي البرهان على طبيعة السياسة البريطانية في عموم المنطقة.

ثانيا- خلصت الدراسة إلى بيان ومتابعة دور فيلبي الشخصية البريطانية في العلاقات بين نجد والكويت، وهما حلفاء بريطانيا، منذ مغادرته البصرة عام 1915 ودخوله الأراضي النجدية، ولقاءه أمير نجد والاحساء، مبعوثا لحكومته لدى ابن سعود، وقد وثقت معلومات البحث على قلتها احيانا- ماهية اثر بريطانيا في الأوضاع الداخلية للمنطقة وعلاقاتها الخارجية، وهو ما اتضح جليا في تحركات فيلبي مبعوثها لدى ابن سعود وشيخ الكويت، التي لقيت ترحابا من طرفي النزاع، لأثرها في تنقية الاجواء بين البلدين.

ثالثا- برزت هناك أمور تمثلت بتزايد الدور البريطاني لمعالجة أحداث المنطقة، ولا سيما ما يخص العلاقات بين نجد والكويت، التي توترت عقب تولي سالم الصباح الحكم في الكويت عام 1917، بسبب ميوله للدولة العثمانية ومعاداته للسياسة البريطانية، وهو ما زاد من مهمة فيلبي لأهميتها في تهدئة الأوضاع والعمل على معالجتها، وما تبع ذلك من مساهمة المبعوث البريطاني في ايجاد الحلول حول اتهام ابن سعود شيخ الكويت وإلقاء المسؤولية عليه، في تهريب المؤن والمعدات إلى العثمانيين في العراق عام 1918.

رابعا- ظل فيلبي على صلة بتطورات الأحداث التي وقعت بين الجانبين، لا سيما بعد اندلاع معارك بين البلدين بشأن مناطق حدودية، فضلا عن اثر هجمات بعض القبائل الساكنة على حدودهما مثل العوازم والعجمان، في زيادة مشاكلهما- وكان لبريطانيا- كما اوضحت الدراسة- الاثر في وقف العمليات العسكرية، ووساطة فيلبي التي اشرتها صفحات البحث، ما يدلل على حرص بريطانيا في عدم اثارة المتاعب امام مخططاتها، ومحاولة ايجاد الحلول لازمات المنطقة، ولو كانتا بشكل مؤقت، ونقل تلك المشكلة إلى مؤتمر العقير الذي انعقد عام 1922 ليتولى معالجتها.

4- المصادر

- الوثائق المنشورة:

- الوثائق الأجنبية المنشورة:

1- Penelope. Tuson, The Records of the British Residency and Agencies in the (Persian) Gulf, London, 1979.

- الوثائق الأجنبية المنشورة المترجمة إلى العربية:

1- نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية (نجد والحجاز) في الوثائق البريطانية، المجلد الثالث (1917-1918)، ط2، دار الساقي، بيروت، 2010.

- الكتب الوثائقية المنشورة:

1- حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، جـ2، مكتبة مغنية للنشر، بيروت، 1962.

2- ــــــــــ، تاريخ الكويت السياسي، جـ4، مكتبة مغنية للنشر، بيروت، 1970.

- الرسائل الجامعية:

1- جمال شمال دغل الفرطوسي، العلاقات السياسية النجدية- الكويتية 1914-1923، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ الجامعة المستنصرية، 2011.

2- سمية أمين ياسين، تكوين المملكة العربية السعودية 1918-1932، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1988.

3- مفيد كاصد ياسر الزيدي، سياسة بريطانيا تجاه آل سعود (1915-1927)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991.

4- نذير جبار حسين الهنداوي، التطورات الداخلية والعلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية في عهد فيصل بن تركي (1843-1866)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987.

5- وداد خضير حسين الشتيوي، موقف الدولة العثمانية من آل سعود (1891-1914) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1989.

- **الكتب العربية والمعربة:**

1- أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، 1954.

2- أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، المجلد الثاني، دار الكاتب العربي، بيروت (د.ت).

3- بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج الحديث والمعاصر، جـ2، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1988.

4- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية 1914-1945، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1973.

5- خالد حمود السعدون، العلاقات بين نجد والكويت 1902-1922، ط2، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1990.

6- ــــــــــ، الصراع حول رأس الخليج العربي مطلع القرن العشرين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.

7- خيري حماد، عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961.

8- صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1915-1953)، ط1، دار الحكمة، لندن، 2011.

9- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، السلام البريطاني في الخليج العربي 1899-1947 دراسة وثائقية، ط1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981.

10- فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

11- محمد عبد الله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب (1) في المملكة العربية السعودية، دار إحياء الكتب العربية، ط2، القاهرة، 1952.

12- مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1975.

13- هـ. سنت جون فيلبي، أيام فيلبي في العراق، ترجمة جعفر الخياط، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011.

14- هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي، جـ1، بغداد، 1989.

- **الكتب الأجنبية:**

1- David Howarth; The Desert King, Alife of the Ibn Saud, London, 1964.
2- H.R.P. Dickson; Kuwait and Her Neighours, George Allen & Unwin Ltd, London (N.D).
3- John Philpy; Arabian Days, London, 1942.
4- ________, *Arabian Jubilee*, London, 1950.
5- *Philip Graves; the Life of Sir Percy Cox, London (N.D).*

- **البحوث المنشورة:**

1- جمال زكريا قاسم، المؤشرات السياسية للحرب العالمية الأولى على امـارات الخليج العربـي، المجلة التأريخية المصرية، المجلد السادس عشر، مطبعة جامعـة عين شمس، القاهرة، 1969.

الفصل الثالث

نشاط فيلبي التجاري وأثره في تحديث المملكة العربية السعودية والموقف من القضايا العربية (1955-1926)

1- المقدمة

2- نشاط فيلبي التجاري واثره في تحديث المملكة العربية السعودية (1955-1926)

3- فيلبي والسياسة السعودية من القضايا العربية (1930-1953)

4- الاستنتاجات

5- المصادر



1- المقدمة:

على الرغم من وجود شخصيات عربية وأجنبية اسهمت في أحداث الخليج والجزيرة العربية، لكن الملاحظ قلة الدراسات التي تناولت اثر تلك الشخصيات في التطورات السياسية التي شهدتها المنطقة، ولا سيما منطقة الجزيرة العربية، لذلك جاءت محاولتنا المتواضعة في الكشف عن دور فيلبي التجاري واثر ذلك في إحداث التطورات السياسية والاقتصادية في المملكة العربية السعودية، لاهمية ذلك في أوضاعها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، بالاعتماد على مصادر متنوعة افادت البحث بتزويده بمعلومات قيمة عن نشاط فيلبي المتعدد الجوانب.

وستحاول الدراسة تسليط الضوء على دور فيلبي التجاري بدءً من تأسيسه الشركة الشرقية عام 1926، التي اسهمت في استيراد مواد وسلع من خارج المملكة بهدف العمل على ادخال مظاهر الحضارة والتطور في البلاد العربية السعودية، فضلا عن استعانة ابن سعود بفيلبي لتحسين قطاع النقل والمواصلات، واعطاء الحكومة السعودية الاذن لشركة فيلبي باستيراد السيارات وادخالها في المملكة، التي تروم تحسين أوضاع البلاد المختلفة، مع محاولة الباحث بيان الآراء التي كان يقدمها فيلبي لابن سعود في مجالات عدة، وطبيعة العلاقات التي توطدت بين الشخصين بمرور الوقت، وهو الامر الذي ستوضح صفحات البحث نتائجه الايجابية على تحديث المملكة في جوانب كثيرة.

وقد يبدو للوهلة الأولى ان فيلبي بسبب انغماسه في العمل التجاري كان بعيدا عن القضايا العربية، التي استأثرت باهتمام المملكة، إلا أن واقع الحال يشير إلى متابعته السياسة السعودية وتوجهاتها، نظرا لقربه منها وخاصة من القضية الفلسطينية التي احتلت مكانة طيبة في الاهتمام العربي والاسلامي من تطوراتها، وانشغال المملكة وباقي البلدان العربية في محاولة ايجاد الحلول المنصفة لها، وسيتابع البحث طروحات فيلبي من تلك القضايا، وما اورده من معلومات بشأن موقف

ابن سعود من احداثها، مما يعطينا مؤشرات على مـدى مساهمته السياسية في وقائعها، نظرا لتوليه مهام مكلفا من الحكومة السعودية في مفاوضات أو اجتماعات عقدت مع أطراف عربية وأجنبية بهذا الخصوص.

2- نشاط فيلبي التجاري وأثره في تحديث المملكة العربية السعودية (1926-1955):

أدى اعلان ابن سعود قيام مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها في 8 كانون الثاني 1926 عقب تمكنه من فرض سيطرته على منطقة واسعة من الجزيرة العربية، امتدت من خليج العقبة إلى جدة، فأصبحت بلاده ولاول مرة منذ قرون تضم اقاليم نجد والاحساء والقطيف والحجاز وعسير دولة واحدة تحت زعامته، إلى تصاعد مكانتها الإقليمية والدولية، الامر الذي تطلب إحداث تطور في علاقاتها الخارجية على وفق المستجدات السياسية والعسكرية، لا سيما ضرورة تغيير معاهدة (دارين) التي ابرمتها المملكة مع بريطانيا عام 1915، فجاءت زيارة الأمير فيصل بن عبد العزيز[1] نائبا عن والده بصحبة الدكتور عبد الله الدملوجي[2] القائم بالاعمال الخارجية، على رأس وفد، يرافقه (ف.ر. يورد) القنصل البريطاني في جدة إلى لندن في خريف عام 1926، بدعوة من الحكومة البريطانية، التي تروم تعزيز صلاتها مع ابن سعود، وقد اثار الوفد امام الملك جورج الخامس (George V) قضية إعادة

1- فيصل بن عبد العزيز (1906-1975): من مواليد الرياض، شارك مع والده بالمعارك والأحداث التي واكبت نشوء المملكة العربية السعودية، كلف نيابة عن والده في عقد اتفاقيات مع دول أوربية وزيارات إليها، فضلا عن الولايات المتحدة الأمريكية، أصبح ملكا عام 1964. حازم السامرائي، الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ط1، دار الحكمة، لندن، 2001، ص 7-15.

2- عبد الله الدملوجي (1925-1928): ولد في الموصل عام 1890، درس بالمدرسة الاعدادية العسكرية في بغداد، دخل كلية حيدر باشا الطبية في اسطنبول عام 1906، تخرج طبيبا عام 1913، الحق بالجيش العثماني برتبة يوزباشي (رائد) واشترك في حرب البلقان، ثم عاد إلى اسطنبول وعمل في مستشفى كلخانة التطبيقي، شارك في الجمعيات العربية السرية، فر مع نوري سعيد بعد محاكمة عزيز المصري إلى مصر حتى وصل البصرة وزاول الطب عام 1914، غادر البصرة إلى نجد بعد قيام الحرب العالمية الأولى ملتحقا بالعمل مع ابن سعود عام 1915. مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، جـ2، ط2، دار الحكمة، لندن، 2004، ص 62.

النظر في معاهدة دارين بين البلدين، التي أصبحت غير لائقة بمركز ابن سعود، ولم تعد تتناسب والمكانة التي وصلها في الجزيرة العربية والمحيط الدولي، لان تلك المعاهدة جعلته في وضع التبعية للحكومة البريطانية، واعقب ذلك اجراء مفاوضات تمهيدية مطلع عام 1927 بين الجانبين في (وادي العتيق) بالقرب من المدينة المنورة، لوضع اسس عملية لمعاهدة جديدة، تمخض عنها وصول بعثة بريطانية إلى جدة برئاسة جلبرت كلايتون[1] (Clyton)، اسفرت مفاوضاتها عن توصل الجانبين إلى اتفاق على معاهدة جدة، التي وقعها في 20 أيار 1927 فيصل بن عبد العزيز نيابة عن والده وبتفويض منه، وكلايتون مفوضا من ملك بريطانيا ونيابة عن حكومتها، اعترفت بموجبها بريطانيا باستقلال المملكة. مقابل تعهد ابن سعود بالحفاظ على حسن الجوار مع جيرانه، ثم اصدر الأخير مرسوما على تصديقها في 17 أيلول من العام نفسه[2].

على أن هناك نتائج ايجابية قد تحققت لمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها على اثر توقيع معاهدة جدة عام 1927، وفي مقدمتها رفع القيود التي كانت مفروضة على إدارة ابن سعود لعلاقات بلاده الخارجية بموجب معاهدة عام 1915[3]، فقد تحولت علاقات المملكة مع بريطانيا من عهد الحماية على وفق المعاهدة الأخيرة، إلى عهد السيادة والاستقلال لها بموجب المعاهدة الجديدة، مما اعطى حكومتها حرية الاتصال بالدول الأوربية وعقد الاتفاقيات مع شركاتها في مجالات عدة، فضلا عن انها ازالت الامتيازات التي كان الاجانب يتمتعون بها وهي تعد مساسا مباشرا باستقلال البلاد وسيادتها، ووضعت اسس للعلاقات بين البلدين قائمة على الصداقة[4].

وفي اثناء زيارة وفد المملكة برئاسة فيصل بن عبد العزيز واعضاء الوفد المرافق له العاصمة البريطانية، فقد تعرفوا على المخترعات الحديثة في مجالات النقل والطرق

1- جلبرت كلايتون (1875-1929): من ضباط الاستخبارات البريطانية، عين معتمدا ساميا في العراق فيما بعد وللمدة من آذار 1929 -أيلول منه.

2- بد الفتاح إبراهيم، على طريق الهند، مطبعة الاهالي، بغداد، 1354هـ/1935م، ص 313-314؛ صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب، ص 21.

3- جي. بي. كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، تعريب وتعليق خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1971، ص 189.

4- عبد الفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981، ص 184.

ووسائل الاتصالات، وإمكانية الإفادة من ادوات الهندسة المتطورة البريطانية، ومن هنا بدأ فيلبي يمارس نشاطه التجاري في البلاد العربية السعودية، لقد جاء إليها بمهمة رسمية من جانب حكومته ذات طابع سياسي، لكنه استقال ليتعاطى فيها التجارة، مما يشير إلى أن دور فيلبي تعدى المشورة السياسية إلى الشؤون المالية والاقتصادية، ولعل هذا كان حافزا للملك الحجاز ونجد وملحقاتها على منح بعض الامتيازات للتنقيب عن النفط والمعادن الأخرى في بلاده، وإمكانية الإفادة من عوائدها المالية في تحديث المملكة عن طريق ادخال مظاهر الحضارة والتطور في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حتى أصبحت المملكة تستورد بواسطته معظم البضائع الأجنبية[1]، مما زاد من علاقة فيلبي بابن سعود، ويورد لنا فيلبي ما كان يقوم به وقتذاك وعلاقته بالملك على النحو الآتي: "وبدأ القلق يستحوذ على الملك عبد العزيز، بدأت ارى معالم اليأس تتسلط على نفسه، وكنت ذات يوم استقل السيارة الملكية في معيته في جولة قمنا بها بعد الظهيرة عندما انطلق يتحدث عن آمال بلاده وأوضاعها، فاعرب عن قلقه بان ضعف موسم الحج في السنة التالية عام (1928) سيؤدي إلى كارثة اقتصادية تحل بالبلاد، بالنظر إلى عدم وجود موارد أخرى لها، وانتهزتُ الفرصة فقلت: ليس ثمة من داع لليأس شريطة ان تكون على استعداد للسعي بدلا من مجرد الاتكال على مشيئة الله لانقاذك، إذ ان الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم، فانت تنام على كنوز مدفونة في الأرض، ثم تشكو من الفقر، بينما لا تحاول القيام باي عمل لاستغلالها" فقال: ماذا تعني ؟ قلت: ان بلادك ملأى بالكنوز الدفينة من نفط وذهب، وانت عاجز عن استغلالها بنفسك، ولا تسمح بالوقت نفسه للآخرين باستغلالها نيابة عنك، فقال وقد بدا عليه الجهد: "اسمع يا فيلبي... لو وجدت من يدفع لي مليون جنيه الآن، فانني سامنحه كل ما يريده من الامتيازات في بلادي" فقلت: ان هذه الامتيازات تساوي اكثر من هذا المبلغ بكثير، واذا كنت تعني حقا ما تقول، فانا اعرف رجلا يستطيع ان يساعدك، لقد جاء لزيارتك قبل عدة سنوات، ولكنك رفضت ان تقابله، وهو موجود بالقاهرة الآن، واذا حددت لي الموعد الذي سنكون فيه في جدة فسأبرق إليه، وانا اضمن لك انه سيجيء، وكانت هذه الطريقة التي جاء بها شارل كرين، بعد ذلك

1- داكوبرت فون ميكوش، المصدر السابق، ص 216.

إلى جدة في السنوات اللاحقة، والتي اسفرت عن تقديم مهندسه المشهور توتشـيل ليكون تحت تصرف الحكومة السعودية مدة ستة اشهر للبحث عن امكانيات البلاد المعدنية، ومن هذه البداية المتواضعة، تطورت صناعة النفط في المملكة التي غـدت من اغنى الصناعات في العالم، كما تطور البحث عن الذهب في الحجاز، بالاضـافة إلى عدد من المشاريع الزراعية الأخرى"، وكل ذلك يدلل على اتسـاع صـلات فيلبـي في هذه المدة التي قضاها في المملكة بعيدا عن خدمة الحكومة البريطانيـة، فأصبح ذات علاقات مع الشركات العالمية وبممثليها، ولو لم يكن له هذا الاطلاع والصلات الواسعة، لما عرف ان السيد كرين موجود في القاهرة، وعرف العنـوان الذي يستطيع الاتصال به فيه[1].

وهكذا تمكن فيلبـي ان يحقق نجاحا بجعل بريطانيا المصـدر الأول للـبلاد السعودية وكان لتعرف ابن سعود ولقاءه معه في مناسبات غلب عليهـا الطـابع السياسي، عاملا في اطلاع الأخير ومعرفته على توجهات السياسة البريطانية، دون الحاجة إلى اجراء لقاءات مع مسؤولين بريطانيين أو ممثلين عنهم بهذا الخصـوص، مقابل توفر الفرصة لفيلبـي دون آخرين من المبعوثين البريطانيين في التردد علـى ابن سعود وتوطيد علاقة الصداقة معه[2]، ويروي فيلبـي حادثة معينة توضـح إلى أنه لم يكن يقتصر على القيام بدور المستشار، وانما كـان يتعـداه إلى دور مـدير المراسيم والترجمة، فهو يقول: "ودعا الملك ذات يوم قبطان البارجـة البريطانيـة (انتربرايز) وضباطها والمعتمد البريطاني وموظفي دائرته إلى مأدبة اقامها حوالي عام 1927 بمناسبة اعتراف الحكومة البريطانية به ملكا على الحجاز، واستدعاني الدكتور عبد الله الدملوجي لمساعدته في اعداد الأماكن على المائدة، وكان المدعوون ينـاهز عددهم المائة والعشرين، وبينهم عدد كبير من كبار موظفي حكومة الملك وافـراد عائلته، ووجوه جدة، وكبار التجار البريطانيين في المدينة، وكانـت نصـيحتي ان يتفرق الضيوف البريطانيون على المائدة، وفقا لرتبهم، وان يجلس واحد من العرب بين كل بريطانيين، لكن الملك رفض هذا الاقتراح لمخالفته تقاليد الضيافة العربيـة، وامر بان يجلس الضيوف على رأس المائدة على جانبيه، كل حسب رتبته ومقامـه،

1- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبـي، ص 208-209.

2- Nan Der. Meulen; The Wells of Ibn Suad , the Printed by the Cameot Press Ltd, London, 1957, p. 57.

ثم يتلوها وجهاء جدة، فموظفو الحومة فالامراء في نهاية المائدة، وامر بأن اجلس انا معهم بين أحد اشقائه واحد اولاده، وامتلأت المائدة بما عليها من لذيـــذ المآكـــل ومختلف انواعها، وساد جو من الصمت على المأدبة وسرعان ما عيل صبر الملـــك ولم يستطع احتمال هذا الجو الصامت امدا آخر، فصاح باعلى صـــوته... "ايـــن فيلبـــي، ليأت إلى هنا، فانا لا استطيع ان اتحدث إلى هؤلاء الناس بدونه"، وهكذا انتقلت إلى رأس المائدة، وحشرت نفسي في مقعد بين الملك والقبطان، وقضيت ما تبقى من المأدبة في الترجمة بدلا من الاكل..."[1].

بدأ نشاط فيلبـــي التجاري فور عودته من رحلة قصيرة إلى بريطانيا منـــذ ان استأجر لشركته (الشركة الشرقية المحدودة) التي اسسها عام 1926، بالتعاون مـــع أحد اصحاب المال البريطانيين المدعو (فيشر)، بعد ان حصل على اذن مـــن ابـــن سعود على تأسيسها، محلا كبيرا في الزاوية الجنوبية الغربية من مدينة جدة، يـــدعى (بيت الدرويش)، جعله مركزا لشركته، وتم طرح اسهمها في الســـوق، وكانـــت برأسمال قدره (25000) جنيه موزعة على (50000) سهم، اعطي إلى فيلبـــي منها (5000) سهم مقابل اتعابه، مع مرتب شهري قدره (100) جنيه في الشهر كمدير عام مقيم للشركة في المملكة، وتم تغطية الاسهم في غضون بضعة ايام، إذ ابتاعهـــا أحد اصدقاء فيشر وشركاؤه في مختلف اعماله التجارية، ويصف فيلبـــي المرحلـــة التأسيسية لشركته في جدة: "بدأنا نثبت اقدامنا في الاسواق المحلية، على الرغم من الطريق الشاق الذي كان علينا ان نقطعه، لتغطية جميع نفقاتنا التأسيســـية حـــتى نتمكن من تقديم الارباح للمساهمين، وكنت امضي طيلة وقتي في هـــذه الاعـــوام الأولى متجولا في الاسواق وطائفا بالوجوه والتجار، لاحصل علـــى المعلومـــات اللازمة على أوضاع المدينة الاقتصادية والاجتماعية، لا سيما في هذه السنوات التي اخذت جدة تنمو وتزدهر تجارتها، وكان موظفي الشركة مجموعة مـــن الرجـــال العاملين النشطين، وفي طليعتهم نويل براون الذي كان يعمـــل مـــديرا ومحاســـبا، وريتشارد هافي الذي كان يعمل مهندسا، وقاضي، وهو هندي، اوكل إليه رئاسة المكتبة واعمال المحاسبة والصندوق، بينما كان مصطفى ناصر يقوم باعمال ضابط العلاقات العامة وتخليص البضائع من الجمارك والاشراف على الاسواق، وقد اتاح

1- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، ص 198-199.

لي هؤلاء الموظفون الاكفاء، الفرصة للراحة وكثرة التجوال واللحاق بركب الملك بين آونة وأخرى معتمدا على قدرهم في تسيير العمل بنجاح"[1].

وعلى ما يبدو فقد حققت شركة فيلبي نجاحا في نشاطها التجاري بفضل علاقة فيلبي الطيبة مع ابن سعود، وما يتصف به فيلبي من ذكاء وقدرة على الإقناع، ساعدت على دعم عمله التجاري، فقد حصلت الشركة على وكالة مصانع فورد لانتاج السيارات في البلاد، واخذت تزود السوق السعودية بسيارات فورد الجديدة، التي سرعان ما اخذت تنافس شركة (جنرال موتورز) بسياراتها (الشيفروليه)، وحققت شركته نجاحا بعد اربع سنوات من الجهد المتواصل، على أن يكون الدفع نسيئة وعلى اقساط، باحتكارها تجارة تلك السيارات، كما شرعت في بيع آلات المسح والمواد الأولية وادوات الهندسة، فضلا عن المراوح التي تعمل على الغازولين، وحصول فيلبي على تعهد من الحكومة السعودية لصك عملتها الفضية والنيكلية الجديدة في مسابك برمنغهام، فجنت الشركة من هذا التعهد ارباحا ضخمة وصل إلى مناقصة لتزويد مشروع المياه في جدة بالفحم الحجري الذي كان يستورد من بريطانيا، ومما يعزز ذلك ما أشار إليه كارل توتشيل (K.S. Twitchell) الخبير الجيولوجي الأمريكي إلى استعانة ابن سعود بجهود فيلبي الذي أصبح وسيطا في علاقات المملكة التجارية، إذ عمل على استيراد سيارات فورد الأمريكية إلى الأخيرة، التي ربما كان عددها عام 1926 أقل من (16) سيارة، وقد تزايد عددها في السنوات اللاحقة من عقد الثلاثينيات القرن العشرين، فقد استخدم بعضها من شركة النفط الأمريكية، والآخر من الجهات الحكومية الملكية، فضلا عن اصحاب سيارات آخرين قدموا خدماقم لنقل الحجاج بين جدة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، فانتقل مركز الشركة من بيت الدرويش إلى بيت البغدادي، وهي عمارة ضخمة قديمة البناء على شاطئ البحر الاحمر وتضم مساحة من الأرض واسعة، وكانت في يوم ما مقرا للوالي التركي في الحجاز[2].

1- المصدر نفسه، ص 266-267.

2- K.S. Twitchell, Saudi Arabia with an Account of the Development of Its Natural Resources, Princeton University Press, New Jersey, 1958, p. 80.

وتشير المصادر التأريخية إلى آراء قدمها فيلبي إلى الحكومة السعودية لمعالجة أوضاعها الاقتصادية الصعبة، لا سيما بعد الآثار السلبية التي تركتها الازمة الاقتصادية العالمية (1929-1930) عليها، نتيجة لقلة اعداد الحجيج الذين وفدوا إلى المملكة، فاقترح فيلبي على ابن سعود في مجلسه الخاص ان يأمر بمنع تصدير الذهب إلى الخارج، وان يصدر امرا بتأجيل دفع الديون الخارجية، مع التعهد بدفع فائدة قدرها (5%) على الاقساط المتأخرة، وقد وافق ابن سعود على المشروعين، واصدر امره بتنفيذهما، فضلا عن إصداره امرا تضمن التوفير في مختلف اجهزة الحكومة ودوائرها[1].

ولم يقتصر دور فيلبي على العمل التجاري، وانما تعداه إلى مجالات أخرى، إذ وجد ابن سعود ضرورة الإفادة من فيلبي بهدف إحداث تطور في قطاع المواصلات في المملكة عام 1930 وإمكانية تحسين وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية وتقدير تكاليفها، فعهد إلى فيلبي اجراء دراسة شاملة ومسح عام لإمكانية اقامة حلقة من المحطات اللاسلكية في البلاد، فاستدعى فيلبي مندوبا من شركة ماركوني، قام بالمفاوضات اللازمة لعقد الصفقة، ولم يحل عام 1931 حتى كانت الاجهزة التي بلغت اثمانها (36000) جنيه تصل إلى جدة يصحبها مهندسان، احدهما مصري والآخر بريطاني، لاقامة المحطات في المواقع المقررة، وتقرر اقامة محطة لاسلكية بقوة(5) كيلو واط في مكة المكرمة والرياض، و(12) محطة بقوة نصف كيلو واط في عواصم الاقاليم والامارات المختلفة، مع محطتين منفصلتين، قوة الواحدة منها نصف كيلو واط لمرافقة الملك في رحلاته[2].

ادت اجراءات ابن سعود الرامية إلى ادخال وسائط النقل الحديثة والاتصالات وغيرها لاجل تحديث البلاد السعودية إلى معارضة الاخوان[3] الذين عدوا ذلك

1- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 266-267.
2- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 208.
3- الاخوان: وهم افراد عملوا في خدمة ابن سعود وفي نشر مبادئ الحركة السلفية، لكنهم وقفوا معارضين لافكاره الاصلاحية في تحديث البلاد، وقد تمكن من التخلص منهم عام 1930 بعد معارك خاضها ضدهم في عامي (1929-1930). صادق حسن السوداني، جماعة الاخوان جيش ابن سعود شبه النظامي، مجلة الخليج العربي بجامعة البصرة، العدد العاشر، 1978.

خروجا عن تعاليم الدين الاسلامي، ومما يعزز ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية من معاناة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من اتباعه الاخوان الكثير، بسبب معارضتهم لافكاره الاصلاحية، مما ولد صداما عسكريا بين الجانبين[1]، ويورد لنا فيلبي ما اخبره به ابن سعود بشأن التهم التي وجهها الاخوان إلى فيلبي بوصفه المحرض على استخدام تلك الوسائل الجديدة، رغم اعلان اسلامه عام 1930 وأصبح اسمه الشيخ عبد الله، خوفا ان تكون تلك الاجراءات خطوة ممهدة لسيطرة بريطانيا على المملكة، ولنستمع إلى تفاصيل ذلك نقلا عن حافظ وهبة: "اخبرني جلالة الملك في ديسمبر (كانون الأول) سنة 1932 اثناء زيارتي للرياض ان بعض كبار رجال الدين حضروا عنده سنة 1931 لما عزمه على إنشاء محطات اللاسلكي وبعض مدن نجد الكبرى فقالوا له: يا طويل العمر، لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلغراف وادخاله إلى بلادنا وان (فيلبي) سيجر علينا المصائب ونخشى ان يسلم بلادنا للانجليز، فقال لهم الملك: لقد اخطأتم فلم يغشنا احد، ولست -والحمد لله- بضعيف العقل أو قصير النظر لاخدع بخداع المخادعين، وما فيلبي الا تاجر وكان وسيطا في هذه الصفقة، وان بلادنا عزيزة علينا لا نسلمها لاحد الا بالثمن الذي استلمناها به، اخواني المشايخ... ليس هناك من دليل من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنع من ادخال اللاسلكي والسيارات[2].

ولعل فوزي القاوقجي[3] المستشار العسكري لابن سعود (1928-1932) كان موفقا، بوصفه معاصرا للتطورات السياسية التي شهدتها مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، ويزودنا بوجهة نظره بشأن دور فيلبي ممثلا للسياسة البريطانية، فضلا عن بيان طبيعة علاقاته مع السلطات البريطانية، ونشاطه التجاري وسيطا لشركات

1- Nan Der Meulen, op. cit., p. 112-113.

2- حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص 293.

3- فوزي القاوقجي: من مواليد طرابلس السورية عام 1890، تلقى علومه العسكرية بالمدرسة الحربية في استانبول، وأصبح ظابطا عام 1912، بعدها صار أحد ضباط الجيش العربي للحكومة الفيصلية في سوريا عام 1918، وبسبب مشاركته بالثورة السورية الكبرى (1925-1927)، حكم عليه بالاعدام بعد فشلها، فهرب حتى وصل الحجاز. بيداء محمود احمد سويلم، فوزي القاوقجي ودوره في القضايا القومية 1890-1948، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية /ابن رشد، جامعة بغداد، 1999، ص 6-42.

عالمية تتولى تصدير بعض منتجاهًا - التي ذكرناها سلفا- إلى المملكـــة، وجـــاء في مذكراته التي نشرت عن مدى صلات فيلبـــي بابن ســـعود علـــى النحـــو الآتي: "... كان فيلبـــي لوحده يقوم بارشاد الملك إلى أهداف معينة ويدافع عن الملك في لندن، وينشر من الدعاية في الخارج، ويرشد دائرة الاســـتخبارات البريطانيـــة إلى الطرق التي يجب اتباعها مع الملك، كما انه ينشط بجعل حكومة بريطانيا تعمل على تعقيب السياسة الصالحة لتأمين نفوذها في الجزيرة، فهو يمثل شركات السيارات التي تدر عليه الارباح، ويمثل مستشاريه ابن سعود ويمثل الحكومة البريطانية، فهو يكتب تقاريره يوميا، ويرســـل نســـخا منـــها إلى الســـفير البريطـــاني في جـــدة، والى الانتلجسينت[1] سرفيس في لندن، ويحتفظ بنسخ منها في خزانته"[2].

من جانب آخر تردد اسم فيلبـــي بين اوساط الشركات العالميـــة الخاصـــة باكتشاف النفط، وفي المحافل الرسمية السعودية، منذ وقت مبكر من بدايـــة عقـــد الثلاثينيات من القرن العشرين، ولا سيما بعد ان تاكد وجود النفط بكميات تجارية في الاحساء ومناطق أخرى من المملكة، والبدء في استخراجه عام 1938، من قبـــل شركة كاليفورنيا الأمريكية، الامر الذي وفر موارد ماليـــة للـــبلاد، اســـهمت في إحداث تطور في جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ففـــي قطـــاع الخدمات طلب ابن سعود من توتشيل ممثل الشركة ان يقدم مالديه من خـــبرة في مجال تعبيد طرق النقل وشقها في أراضي المملكة الواسعة المساحة، والإفـــادة مـــن ذلك لتصل المشاريع إلى مدن ابها ونجران ذات التضاريس الجبلية الوعرة، فضلا عن تكليفه فيلبـــي عام 1939 بالاشراف على جهاز المواصلات في بلاده، لكن الأخير واجه مشكلة تمثلت في معارضة بعض الجهات الرسمية السعودية محاولاته في تحديث مرافق المملكة والعمل على تطورها، مما اضطر ذلك إلى التخلي عن تلـــك المهـــام والاعتذار عن القيام بها"[3].

1- الانتلجسينت سرفيس: وهي دائرة الاستخبارات البريطانية التي تتلقى تقارير من العاملين البريطانيين في مختلف بلدان العالم حفاظا على مصالح بلادهم.

2- مذكرات فوزي القاوقجي 1914-1932، جـــ1، اعداد خيرية قاسميـــة، دار القـــدس، بيروت، 1975، ص 127.

3- K.S.Twitchell, op. cit., p. 80. خـــيري حمـــاد، عبـــد الله فيلبـــــي، ص 217.

على أن المتغيرات التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية قد تميزت بزيادة انتاج النفط السعودي، وكثرة عائداته المالية، مما كان له آثاره الايجابية على الأوضاع المختلفة في البلاد، والبحث عن وسائل لتطوير المرافق والخدمات، ففي اثناء خروج ابن سعود إلى مخيمه في بريدة عام 1947 والرواية التاريخية يسردها لنا فيلبي في السطور الآتية: "فقد ذكر فيلبي ان الملك كان قد ملّ من خيامه التي أصبحت قديمة بالية، فبعث إلى وكيله في الكويت يأمره بالاستعلام عن امكان شراء خيام جديدة لمضاربه، وكانت الاسعار التي بعث بها الوكيل مرتفعة للغاية، فطلب الملك من فيلبي مساعدته في الموضوع، وكانت شركة فيلبي تقوم باعمال الوكالة لمصانع الخيام في موير بمقاطعة كاونبور في الهند، وسرعان ما ابرق فيلبي للأخيرة طالبا سعرا لالف خيمة كبيرة، فجاءها السعر يقل عن نصف ما طلبه وكيل الكويت"، ويمضي فيلبي قائلا: وحصلت على العرض وقررت منعا لاي خطأ ان امضي بنفسي إلى كاونبور، فغادرت العربية السعودية إلى دلهي بطريق القاهرة، فالبصرة، فكراتشي، وقضيت نحوا من شهر في زيارة كاونبور، وكنت احمل رسائل توصية من الملك عبد العزيز إلى اللورد مونتيانت، والبانديت نهرو- وزير الشؤون الخارجية- وقد ذكرني نهرو باننا كنا زملاء في كمبردج"[1].

مقابل ذلك عاود فيلبي نشاطه في تجارة السيارات مطلع عقد الخمسينيات من القرن العشرين، إذ ذكر بنفسه ان وزارة الدفاع السعودية طرحت في السنوات الأخيرة مناقصة لمشروع ضخم يتضمن تزويدها بعدد كبير من السيارات من مختلف الانواع في فترة تمتد عشر سنوات، وتبلغ قيمتها ملايين الجنيهات، وان الشركة التي يمثلها فيلبي قد اشتركت في المفاوضات، وان اللجنة الفنية التي عهد إليها باقرار المناقصة قد ابلغت الممثل، ان عرضه يجب ان يتضمن (2.5%) كعمولة للجنة نفسها وقد رفض فيلبي ذلك فخسر المناقصة التي حصلت عليها شركة أخرى، التي بدأت سياراتها تصل إلى البلاد قبل ان يغادر فيلبي الأراضي السعودية عام 1955[2].

1- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 271.

2- المصدر نفسه، ص 270.

وبعد ان رأى فيلبي ان اتساع الاعمال الاقتصادية في المملكة قد أصبحت تتطلب ادماج شركته الصغيرة ذات الرأسمال المتواضع، في شركة كبيرة مثل شركة ميتشل كوتس ذات الرأسمال الضخم، والتي تنتشر مصالحها في دول عدة، واستطاع فيلبي من الحصول لها من ابن سعود على الترخيص اللازم للعمل عام 1951، واحتوى الامتياز على إنشاء خط ضخم لانابيب المياه يمتد إلى (50) كيلو متر لايصال مياه ينابيع وادي فاطمة إلى مدينة جدة، وقد قدرت تكاليف المشروع بربع مليون جنيه بريطاني، وتبع ذلك اقامة خط انابيب آخر، لا سيما وان عدد سكان جدة قد ازداد من (30000) نسمة في ايام حكم الاشراف إلى (300000) نسمة بعد الحرب العالمية الثانية[1].

يمكننا ان نستنتج في ضوء استعراض الصفحات السابقة كيف تمكن فيلبي الذي وفد إلى المملكة العربية السعودية لتمثيل بريطانيا بأمور ذات طابع سياسي، ان ينتقل بعمله لاداء دور تجاري عبر وساطته أو تأسيسه لشركات تجارية راحت تتولى استيراد معدات وبضائع من الدول الأوربية والولايات المتحدة إلى المملكة لحاجتها إلى إحداث تطور في مجمل نواحي الحياة الاقتصادية والخدمية، وبخاصة تلك المجالات التي اشرها البحث ووثق وقائعها، مما يشير إلى تعدد أنشطة فيلبي الذي لم تقف طموحاته على الفعاليات السياسية، بل طالت إلى ميادين أخرى، تردد اسمه في مجالاتها، وقد قضى فيلبي خلال الثلاثين سنة الأخيرة من حياته يعمل في ميدان التجارة، فضلا عن دوره بالشؤون السياسية الداخلية السعودية، حتى وصفته بعض المصادر بانه كان يعد المستشار غير الرسمي لابن سعود في مختلف القضايا الداخلية والخارجية.

3- فيلبي والسياسة السعودية من القضايا العربية (1930-1953):

شارك فيلبي بالجهود السياسية بشكل مباشر وغير مباشر التي كانت تبذلها المملكة العربية السعودية في محاولاتها ايجاد الحلول المناسبة للعديد من القضايا العربية، منها ذات الصلة بعلاقات المملكة مع البلدان العربية المجاورة كاليمن مثلا بشأن الخلافات الحدودية بين البلدين ونشوب نزاع مسلح اثر

1- المصدر نفسه، ص 270-271.

سلبا في علاقات الجوار بينهما، فضلا عن النـــزاع بين المملكة وكــل مـــن مسقط وأبو ظبـــي بشأن واحة البريمي[1] الواقعة على الحـــدود بـــين تلـــك البلدان الذي تصاعد في عقد الاربعينيات من القرن العشرين لاسباب تتعلـــق باهمية المنطقة الجغرافية وثرواتها الاقتصادية التي أصبحت محط انظار القـــوى المجاورة.

وبحكم المكانة التي تحتلها القضية الفلسطينية بوصفها من اهـــم القضـــايا العربية لدى العرب والمسلمين، وان أرضها اغتصبها الصـــهاينة بـــدعم مـــن بريطانيا، الذي ظل موقفها غير منصف لحقوق العرب بالاستقلال والتحرر من السيطرة الأجنبية، وهي تتحمل مسؤولية تأريخية لانها كانت الدولة المنتدبة على فلسطين من الامم المتحدة، وينقل لنا فيلبـــي ما اخبره به ابن ســـعود حـــول موقف الحكومة البريطانية من الكتاب الأبيض[2] لعام 1930 ومدى جديتها في تحقيق تسوية منصفة، وهو يؤشر طبيعة السياسة البريطانية غير العادلـــة نحـــو القضية الفلسطينية والمنحازة إلى الصهاينة المحتلين في السطور الآتية: "كان ابـــن سعود مدركا ان هناك غموضا بالسياسة البريطانية، وهو الامر الذي دفعـــه في غالب الاحيان إلى التزام الحيادية التامة، وعدم التدخل في أي صراع سياسي في المنطقة"[3].

1- البريمي: تحتل اهمية جغرافية لانها ملتقى طرق تجارية في شرق الجزيرة العربية، ووجـــود النخيل فيها، وحينما تأكد وجود النفط تنافست الشركات البريطانية والأمريكية علـــى استغلال نفط البريمي، وهكذا أصبحت موضع نـــزاع بين المملكة من جهة وأبو ظبـــي وعمان من جهة أخرى خلال سنوات (1935-1955) وفي 30 تموز 1954 توصـــلت بريطانيا والمملكة على اتفاق التحكيم في جدة لتسوية القضية. التحكيم لتسوية النـــزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبـــي وبين المملكة العربية السعودية، عرض المملكة العربيـــة السعودية، المجلد الأول، 31 تموز 1955.

2- الكتاب الأبيض عام 1930: وهو مجموعة الاوراق الرسمية البريطانية، التي اوضحت استمرار بريطانيا بسياسة الانتداب على فلسطين، وسعيها إلى تشـــكيل مجلـــس تشريعي بهدف اشراك السكان في إدارة البلاد، وهي تعامل العرب واليهود علـــى حد سواء. صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص 564-566.

3- John Philpy: Arabia Jubille, p. 121.

كان من الطبيعي ان تؤدي الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936 إلى نتائج أفضت إلى اتساع الاهتمام العالمي[1] باهمية ايجاد حل للقضية إزاء استمرار الاحتلال الصهيوني وسياستهم القائمة على القمع والقتل المتعمد للسكان الآمنين ومنعهم من المطالبة باستقلال وطنهم، وقد شهد عام 1940 تقديم فيلبي خطة[2] لحل القضية الفلسطينية تقوم على توطين الصهاينة في فلسطين، مقابل إسكان الفلسطينيين في البلدان العربية على أن تكون بضمانة أمريكية- بريطانية[3]، وتذكر المصادر البريطانية إلى فتح موضوع فلسطين امام ابن سعود في 18 كانون الأول 1940، الذي عبر عن استياءه من تردد معلومات من مستشاريه يوسف ياسين وبشير السعداوي، تفيد بموافقة الملك السعودي على شروع فيلبي لحل القضية الفلسطينية[4].

وعلى ما يبدو فإن تبني فيلبي لمشروع بريطاني -أمريكي بخصوص فلسطين عرضه على ابن سعود على اثر زيارته الرياض مطلع عام 1940، قد لقيَّ عدم ترحاب من الجانب السعودي، إذ طلب ابن سعود من فيلبي انهاء الحديث في الموضوع[5].

1- سافر وفد سعودي برئاسة الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى لندن لحضور مؤتمر دعت إليه الحكومة البريطانية ابن سعود وغيره من الزعماء العرب لمعالجة المشكلة الفلسطينية، كما طلب من فيلبي مرافقة الوفد بصورة غير رسمية، بصفة مستشار وصديق، وقد غادر فيلبي جدة في كانون الثاني 1939 على الرغم من عدم اشتراكه في جلسات المؤتمر ومناقشاته، لكن الأمير فيصل كان يواصل اطلاع فيلبي على ما يدور في المؤتمر بينما كانت الحكومة البريطانية تستعين به لترجمة الوثائق التي تطلبها، لا سيما مراسلات حسين-مكماهون، وفشل المؤتمر لاصرار بريطانيا على اقامة الوطن القومي للصهاينة. خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 218.

2- حظيَّ مقترح فيلبي على موافقة ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني، وقد أبرزه الكولونيل هالفورد هوبكنز أحد الخبراء الأمريكيين الذي أرسلته الاركان المشتركة إلى منطقة الشرق الاوسط عام 1942، لكنه لاقى معارضة من ابن سعود. احمد طربين، قضية فلسطين 1897-1948، جـ2، مطابع دار الهلال، دمشق، 1968، ص 525.

3- Nan Der Meulen: Op. cit., p. 151.

4- David Holden and Richard Johns: The House of Saud, London, 1981, p. 134.

5- حيدر شاكر خميس القره غولي، المملكة العربية السعودية والقضية الفلسطينية 1936-1973، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2007، ص 113-115.

من جانب آخر يلاحظ وجود اهتمام سعودي بالقضية الفلسطينية التي احتلت حيزا من أنشطة فيلبي السياسية بغية ايجاد الحلول المناسبة لها ووقف الصراع العربي- الصهيوني، عبر التحركات الدبلوماسية التي كانت تقوم بها المملكة منفردة، أو عبر التنسيق مع بلدان عربية أو أجنبية، والآراء التي طرحها فيلبي لمعالجة المشكلة، ولا سيما مشروع التقسيم الذي اصدرته الامم المتحدة في 2 تشرين الثاني 1947، بتأثير من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، والذي لم يلق قبولا من الشعب العربي وحكوماته، وكان فيلبي قد ايده، فيما ابدى الجانب السعودي عدم الرضا من السياسة البريطانية عموما تجاه استقلال البلدان العربية التي تروم استكمال سيادتها بحكم احتضانها للأماكن المقدسة في الحجاز التي يؤمها المسلمون لاداء فريضة الحج كل عام. ومن الجدير بالذكر ان هناك مشاريع[1] عدة طرحت في المنظمة الدولية لحل القضية الفلسطينية، لكنها لم تحظ بقبول الجانب الصهيوني الذي كان مصرا على احتلال الأرض العربية، وفي ظل استياء الرأي العام العربي والاسلامي الرافض لقرار التقسيم لعام 1947، وهو الامر الذي دفع الدول الكبرى المؤيدة للصهاينة إلى دعم القرار المذكور، والتحرك نحو ممارسة الضغوط على الحكومات العربية للقبول به، وهنا تردد اسم فيلبي في مناسبات عدة بهدف إقناع العرب والحصول على موافقتهم لتنفيذ بنوده ويبدو ان الجانب السعودي كان مدركا لإمكانية قبول العرب بقرار التقسيم على أن تجري عليه تعديلات تضمن حقوقهم، ومما يعزز ذلك الرسالة التي بعثها حافظ وهبة بوصفه أحد مستشاري ابن سعود إلى الأخير عن هذا الموضوع جاء فيها الآتي: "... انه يعتقد تمام الاعتقاد ان العرب قابلون لهذا التقسيم مع بعض التعديل...وهو لا يتكلم عن رأي خاص له، وانما يتكلم عن خبرة طويلة ومعرفة دقيقة لبلاد العرب"[2].

وعلى ما يبدو ان فيلبي بحكم معاينته واختلاطه بالعرب سواء اكان ذلك من خلال رحلاته إلى بلاد الجزيرة العربية، أو عبر نشاطه السياسي وعمله التجاري،

1- اقترح برنادوت الوسيط الدولي وممثل الامم المتحدة لحل الصراع العربي - الصهيوني تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين عربية ويهودية، ووضع القدس تحت الحماية الدولية، لكنه اغتيل على أيدي الصهاينة في 17 أيلول 1947. اميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاما، بيروت، 1972، ص 134-135.

2- حافظ وهبة، خمسون عاما، ص 302.

كان مدركا لتطورات الأوضاع بشأن القضية الفلسطينية، وهو يأمل قبول العرب قرار التقسيم، على أن يتم اجراء تعديلات عليه تكون لصالح اصحاب الحقوق المغتصبة الفلسطينيين، وهو امر يحمل في طياته دلالات مهمة لم يطلع عليها الراي العام العربي والعالمي، إذ لم تتسرب معلومات عنه، ويمكن تسليط الضوء عليه ودراسته من المؤرخين للاتيان بآراء جديدة التي تخص الصراع العربي- الصهيوني، ومما يعزز ذلك ما اوردته مصادر تاريخية من معلومات تم الإفادة منها في التعرف على رؤية فيلبي لمجريات الأحداث في المنطقة وطبيعة هذا الصراع والضغوط الدولية المؤثرة عليه، إذ انه نصح العرب بقبول التقسيم لانه كان يخشى ما هو اسوأ منه[1].

ولعل من الضروري ان نطلع على موقف فيلبي من السياسة الغربية نحو القضايا العربية الأخرى، ولا سيما فيما يتعلق منها بحركات التحرر الوطني التي عمت بلدان عربية عدة في عقدي ثلاثينيات واربعينيات القرن العشرين، ورغبة العرب المشروعة بالحصول على استقلال اوطانهم واستكمال سيادتهم والتخلص من السيطرة الاستعمارية، وقد افصح فيلبي عن رأيه بشأن مدى تقييمه لتلك السياسة غير المنصفة التي استمرت تمارسها دول الغرب (بريطانيا، فرنسا) ضد الشعب العربي في مشرقه ومغربه، عبر سياسة الانتداب التي منحت لها من الامم المتحدة، حيث تحدث في اثناء مأدبة العشاء التي اقامها السفير الأمريكي في جدة بداية عام 1950 على شرف (الهرربيكين) الممثل الخاص لرئيس حكومة المانيا الغربية، وقد انتقل الحديث إلى موقف دول الغرب من العرب وقضاياهم المصيرية، فتكلم فيلبي عن رأيه بهذا الموضوع نقلا عن أمين المميز الدبلوماسي المعروف والمطلع على مجرى الأوضاع السياسية، إذ بين "ان موقف الغرب من البلاد العربية لا يشجع العرب على السير مع البلدان الغربية في مقاومة الشيوعية مع العلم بان العرب يدركون تمام الادراك بان الشيوعية لا تقف مع دينهم ولا تنسجم مع تقاليدهم وعاداتهم" واضاف فيلبي قائلا: "ان الدول الغربية مازالت متمسكة في سياستها القديمة البالية غير مدركة لآمال الشعوب العربية وامانيها"[2].

1- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 233.

2- أمين المميز، المملكة العربية السعودية كما عرفتها، مطابع دار الكتب، بغداد، 1963، ص 249-250.

مقابل ذلك اسهم فيلبي بدور الوساطة بحكم المكانة التي حظيَّ بها من ابن سعود والبلدان العربية المجاورة للمملكة في حل النزاعات التي نشبت بين الأخيرة وجاراتها التي تطرقت الصفحات السابقة إلى بعض انشطته بهذا المجال مع الكويت واشراف الحجاز، لا سيما الحدودية منها التي شغلت حيزا كبيرا من سنوات التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقة الخليج والجزيرة العربية، وتردد اسم فيلبي في النزاع المسلح الذي استمر سنوات بين المملكة واليمن، الذي لم تتمكن الوسائل السلمية التي اتبعت من حله، فعلى اثر اجتياز القوات السعودية الحدود اليمنية[1]، عقدت مفاوضات في الطائف انتهت في 19 أيار 1934 بالتوقيع على معاهدة الطائف[2]، تضمنت بنودها تعهد ابن سعود بسحب قواته من الحديدة والجلاء عن تهامة، كما عينت الحدود على وفق لما كان عليه وضعها السياسي عام 1934 لكن معاهدة الطائف لم تحول دون استمرار اسباب حالة التوتر على حدود البلدين، وكان الحل الفعلي الوحيد يقضي بالحد منها، وقد وكل ابن سعود لهذه المهمة فيلبي الذي قبلها بكل سرور، فهي التي جعلت منه حكما بين المملكة واليمن، ووسيطا يعتد به من الجانبين، فقد وصل عسير أواخر أيار من العام نفسه، ثم توجه إلى نجران، وبعد عودته إلى الأخيرة، توجه فيلبي[3] نحو مرفأ جيزان المطل على البحر الاحمر، بعدها صعد سهل تهامة حتى بلغ جدة، وتجلت مهمته في مراعاة التطبيق الدقيق لبنود

1- شهدت العلاقات السعودية - اليمنية حدوث نزاعات ووجود خلافات قائمة بين ابن سعود وامام اليمن يحيى حميد الدين (1908-1948) تركزت على مشاكل الحدود والأدارسة وزعيمهم حسن الادريسي في عسير ونجران، ولم يتمكن مؤتمر العرو عام 1931 من حل تلك النزاعات. فتوح عبد المحسن الخترش، العلاقات السعودية - اليمنية 1926-1934، ط3، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1983، ص 188-189.

2- معاهدة الطائف 19 أيار 1934: وقعت من عبد الله الوزير عن الجانب اليمني، وخالد بن عبد العزيز عن الجانب السعودي لانهاء حالة الحرب بين البلدين، تألفت من ثلاث وعشرين مادة وبروتوكول رفق بها ست رسائل، وتختص أحد بنودها بالحدود، وذلك بتحديد اتجاهها وأسماء أماكنها، والإشارة إلى مواقع مختلف الأماكن والقبائل، وتنشأ بينها علاقات صداقة وسلم دائم. عبد الرزاق خلف خميس الزيدي، العلاقات السعودية- اليمنية 1932-1970 دراسة في العلاقات السياسية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية/ ابن رشد، جامعة بغداد، 1996، ص 47-51.

3- أشار فيلبي إلى دهشته من موافقة ابن سعود لوقف الحرب، إذ استغرق الاستيلاء على تهامة اليمن ثلاثة أسابيع فقط.

المعاهدة، ولا سيما تلك المتصلة في تعهدهما بالامتناع عن بناء المواقع الحصينة على اقل من خمسة كيلومترات من خط الحدود الفاصل بين الجانبين[1].

على أن فيلبي لم يكن بعيدا عن اداء دور سياسي في النزاعات التي نشبت بين المملكة وبلدان عربية أخرى، إذ كان فيلبي حاضرا في التحكيم لتسوية النزاع بين المملكة وبين مسقط وأبو ظبي بشأن منطقة البريمي المتنازع عليها بين تلك الاطراف، وتحتل اهمية تجارية نتيجة لموقعها الجغرافي على طرق القوافل، فضلا عن ظهور النفط فيها مطلع عقد الخمسينيات من القرن العشرين وتنافس الشركات الغربية للسيطرة على نفط المنطقة، وقد ايد فيلبي وجهة النظر السعودية بتبعية البريمي لها لاعتبارات تأريخية ابدى قناعته بها، بدليل وصفه البريمي عند زيارته لها عام 1946 بانها تعد منطقة نفوذ سعودي[2].

وترجع المصادر التاريخية موقف فيلبي من مسألة البريمي المنحاز إلى جانب المملكة على أنه زار المنطقة مع افراد مكلفين من الحكومة السعودية لجمع الزكاة من سكان البريمي منذ عام 1931، مما اعطاه انطباعا بتبعيتها لنفوذ[3] ابن سعود من خلال تجواله هناك، وتبع ذلك قيام فيلبي في العام التالي بوصفه رحالة[4] بريطاني

1- بنوا ميشان، المصدر السابق، ص 625-626.
2- Hussain M, Albanrna: The Legal Status of the Arabian Gulf States, Manchester University Press, 1968, p. 218.
3- أعلنت المملكة عام 1949 عدم التزامها بالخط الاحمر السابق تحديده عام 1935 الذي اعتمد مفهوم الأراضي على اسس قبلية وأساسا آل مرة، على أساس ان فؤاد حمزة أحد مستشاري ابن سعود قد بلغ اقصى حد ممكن في مفاوضاته مع المسؤولين البريطانيين بصياغة حل وسط، وأكد بنفسه ان هذا الخط الاحمر لا يأخذ في الحسبان حقوق الملك السعودي الكاملة، ومع ذلك رفض من الحكومة البريطانية، لذلك اعلنت حلها عام 1949 لتحديد الحدود بينها والبلدان المجاورة لان ابن سعود يعتبر ان أراضيه تمتد إلى جميع مناطق الجزيرة العربية التي كانت بحوزة آبائه واجداده خلال القرن (19). صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب، ص 95-96.
4- عرف عن فيلبي رحلاته الكثيرة إلى الجزيرة العربية، وأشارت مصادر تاريخية بالقول إلى أنه ليس هناك من رجل طاف في المنطقة بواديها وقفارها سهولها وجبالها كما طاف بها فيلبي، فقد قضى اكبر مدة من حياته الطويلة في الجزيرة العربية يطوف مناطقها محتملا وعناء الترحال والسفر ومتاعب الحر والقر، يدرس أوضاعها الجغرافية والمناخية والتاريخية والإنسانية، ليعمل دراسات في أسفار ضخمة تعد من كنوز ما صدر إلى المكتبة البريطانية من أمهات كتب الرحلات، التي ضمنها محاضراته العلمية القيمة، وتحتل مكانة طيبة في ميدان المعرفة والاطلاع. لمزيد من التفاصيل عن رحلاته ينظر خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 275-292.

زار البريمي، وتجول في ديرة آل مرة وهم احدى قبائل المنطقة وتمكن من جمع معلومات عن الاحوال السائدة هناك، من علي آل جهامان أحد ابناء هذه القبيلة واحد اتباع أمير الاحساء، ومما قاله علي وفق ما ذكرته المصادر السعودية حول ذلك ما يأتي: "اثار اهتمامي اني سمعت منه ان نفوذ ابن سعود محسوم اليوم في جميع منطقة الظاهرة، كما يسمون المنطقة الواقعة غربي جبال عمان، وبالطبع فانها تضم البريمي التي كانت مركزا وهابيا منذ زمن قديم، وعبري ايضا على ما يظهر ان بعثات جباية الضرائب هذه لا تكاد تأتي الا بما يغطي نفقات اعدادها وإرسالها ولكنها تقوم بنشر مبادئ السلم الوهابية والوحدة في جزيرة العرب، ويمكن اعتبار المناصير (قبائل) اليوم على أنهم من رعايا ابن سعود الذي يطلب منهم القليل فيما عدا قبول سلطته والمحافظة على السلم العام"[1].

وبسبب عدم وصول الأطراف المتنازعة إلى حل يرضيها حول قضية البريمي مع اطلالة عقد الخمسينيات من القرن العشرين بسبب عدم توصلها إلى اتفاق بمؤتمر المائدة المستديرة في الدمام بالمملكة الذي عقد في 28 كانون الثاني 1952 وتحولها إلى المحافل الدولية، بغية التوصل إلى اتفاق مقبول يرضي جميع الأطراف المتنازعة، فقد ظل فيلبي يدافع عن موقف ابن سعود ومطاليبه بالبريمي لدى الدول الغربية، التي تحولت إلى خلاف دولي يقتضي تدخل محكمة العدل الدولية بايجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلة[2].

وعلى اثر اختلاف وجهتي النظر البريطانية والسعودية بشأن البريمي تأجل انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة إلى اجل غير مسمى و لم ينعقد بعد ذلك، مما كان سببا دفع ابن سعود إلى إرسال قوات تمكنت من دخول البريمي في تموز 1952، وفي آب من العام نفسه عين تركي بن عطيشان أميرا على المنطقة، مما اثار ذلك بريطانيا التي أرسلت سفارتها في جدة مذكرة احتجاج إلى وزارة الخارجية السعودية مؤرخة في 14 أيلول 1952، محذرة انها ستكون مضطرة لاتخاذ الاجراء الذي تراه ضروريا

1- التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، ص 335-336.

2- يعقوب كولدبرك، فيلبي كمرجع في تاريخ المملكة السعودية في بداية القرن العشرين، تعريب جهاد صالح العمر، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، العدد 4، المجلد العشرون، 1988، ص 125.

لحماية مصالحها، ما لم تبادر الحكومة السعودية على سحب تركي بن عطيشان وقواته من المنطقة، واعقب ذلك قبول كل من الجانبين السعودي والبريطاني مقترحات قدمت بهذا الخصوص، ثم بدأت المفاوضات بالرياض في 20 تشرين الأول 1952 بين فيصل بن عبد العزيز -وزير الخارجية- والسفير البريطاني في جدة، اسفرت عن التوقيع على اتفاقية في 26 تشرين الأول 1953، احتوت بنودا لانهاء النزاع المذكور[1].

وحينما قامت انتفاضة مايس عام 1941 بالعراق ضد بريطانيا والتي لم تصمد طويلا امام استخدام بريطانيا لقواها وتدخلها بشؤون العراق الداخلية، وفرار قادة الانتفاضة خارج البلاد، ومنهم رشيد عالي الكيلاني الذي أصبح رئيسا للوزراء بعد الأحداث، الذي وصل المملكة لاجئا وعلى الرغم من الاحتجاجات البريطانية الداعية إلى تسليمه لها، لكن ابن سعود لم يرضخ لتلك االضغوط، فقد ظل رشيد عالي الكيلاني ضيفا مكرما في الرياض، يتمتع بالأولوية في المراسم، دون ان يشترك في أي عمل رسمي طيلة حكم الملك عبد العزيز بن سعود، ويزودنا فيلبي المعاصر لتلك الأحداث بمعلومات عن كيفية وصوله إلى المملكة ولقاءه ابن سعود في السطور الآتية: "كان لجوء هذا الرجل المحكوم عليه بالاعدام في بلاده للثورة التي قام بها عام 1941 عملا رائعا، وكان وصوله وبصورة مفاجئة إلى باب قصر المربع يرافقه شخص واحد، قد خلق ضجة كبيرة في العالم العربي، وقد ادخل ومرافقه إلى حضرة الملك دون ان يعرف بامرهما احد، وكان الملك على عجلة من امره، ولكن سرعان ما استوقفه شيء غريب رآه في ملامح الرجل، فسأل عمن يكون فقال رشيد عالي الكيلاني، هذا ما سأبوح به لجلالتكم بصورة مكتومة، واخليت الغرفة من الناس، وكشف رشيد عالي الكيلاني عن سره، وبدا ان الملك قد امتعض لاول وهلة، ولكن سرعان ما اصدر امره بمنحه حق اللجوء السياسي، واوعز باعداد مكان لائق بشخصية كبيرة مرموقة"[2].

ويكشف لنا فيلبي رد الفعل السعودي إزاء المعلومات التي وردت إلى المملكة عن وجود اتصالات بين العراق والأردن لقيام الاتحاد الهاشمي في المدة

1- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر 1945-1971، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، 1974، ص 237-249.

2- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 238.

نفسها، ويحدثنا عن موقف ابن سعود من تلك التطورات، وفيما يأتي نـــص مـــا ذكره فيلبـــي بشأن الموقف السعودي من تلك الاخبار، إذ يقول: "كـــان الملـــك عبد العزيز شديد التأثر دائما بما يبدو من خصومه القدماء من الحكام الهـــاشميين في الأردن والعراق من نشاط في ميادين السياسة، وذات يوم حمل إليه أحد سكرتيريه صحيفة سورية ذكرت توقع انشاء اتحاد بين الدولتين الهاشميتين، وادراك الملك فورا ان هذا العمل ان تحقق يجب ان يكون من وحي بريطانيا وصنعها، فـــاعرب عـــن تأثره العميق من السياسة الاستعمارية التي تحملها هذه الدولة...، وكان اكثر مـــا حز في نفس الملك عبد العزيز، ان المشروع نص على أن يكون عبـــد الله ملـــك الأردن اول ملك للدولة المزدوجة الجديدة، وان يكون فيصل الصغير ملك العـــراق وليا للعهد"[1].

يمكننا القول في ضوء استعراض طبيعة السياسة السعودية من القضايا العربيـــة وتردد اسم فيلبـــي في المحافل الدبلوماسية المحلية والعربية والعالمية، برغبة المملكـــة بالعمل لايجاد الحلول المنصفة لقضية العرب الأولى، وفي مقدمتها إعادة الفلسطينيين إلى وطنهم، وعدم اخذ السلطات السعودية بالآراء التي طرحها فيلبـــي في ايجـــاد تسوية لها، لانها لا تعبر عن مصالح الشعب الفلسطيني وتطلعه المشروع بالحصـــول على الاستقلال، لكن فيلبـــي كان له رأي آخر مغاير من قضية البريمي، التي اعلن تأييده للمطاليب السعودية فيها، فضلا عن تزايد دور فيلبـــي بوصفه وسيطا بـــين الملك السعودي وامام اليمن بشأن خلافاتهما الحدودية التي سرعان ما تطورت إلى حرب الحقت الضرر الكبير في البلدين الجارين، ونجاح فيلبـــي في مهمته المتمثلة في متابعة تطبيق بنود اتفاقية الطائف الموقعة بين الجانبين، التي تضـــمنتها معلومـــات الدراسة.

4- الاستنتاجات:

يمكننا استخلاص النتائج الآتية من البحث:

اولا- اتضح من الدراسة عدم اقتصار عمل فيلبـــي على المجال السياسي، بل تعداه إلى مزاولته ضروب النشاط التجاري، بدءً من انشاءه لشركة تجارية مـــرورا

1- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، ص 247-248.

بتكليف ابن سعود لفيلبي الاشراف على قطاع النقل والمواصلات، وانتهاءً بمتابعته المشاريع الحكومية في ميدان الخدمات، مما يعني تزايد مكانته لدى الاوساط الرسمية السعودية، التي راحت تكلفه القيام أو متابعة المشاريع التي كانت تنفذها، بعد حصولها على موارد مالية متأتية من انتاج النفط السعودي، والانتقال بأوضاع البلاد إلى مرحلة جديدة قائمة على تحسين أوضاعها المختلفة.

ثانيا- ادت خبرة فيلبي فائدة عبر استعانة ابن سعود بشركته أو خبرته الشخصية، فضلا عن تكليفه بدور الوساطة في جذب الاستثمارات الأجنبية للمساهمة في انعاش الوضع الاقتصادي للمملكة وتحسين واقعها الاجتماعي، وهو الامر الذي اتضح من دخول فيلبي مفاوضا بين شركات النفط العالمية والحكومة السعودية، نظرا للمكانة التي احتلها لدى ابن سعود، وتفضيله الشركات الأمريكية على البريطانية فاستكشاف النفط، لاسباب اقتصادية تعود بالمنفعة على المملكة ومرافقها العامة، التي هي بحاجة ماسة إلى بناءها والقيام باصلاحات في جوانب مختلفة بهدف نهضة البلاد.

ثالثا- تبين من البحث متابعة فيلبي ودوره ايضا في سياسة المملكة العربية السعودية من القضايا العربية، إذ لم يكن بعيدا عن دهاليز السياسة واروقتها التي كانت تزدحم بنشاط دبلوماسي سعودي إزاء القضية الفلسطينية، وكانت افكاره تلقى قبولا في الاحيان، وترفض في احيان أخرى نظرا لان توجهات المملكة ومواقفها تنطلق من رؤيتها القائمة على التشاور مع البلدان العربية إزاء تلك القضايا، وبروز حالة تعارض بين الجانبين في مواضيع أخرى، وقد حاولت الدراسة قدر المعلومات التي استقتها من مصادر عدة، الخروج بنتائج نرجو ان تكون موضوعية في ايضاح الحقيقة التاريخية التي ننشدها جميعا.

5- المصادر:

- الوثائق المنشورة:

- التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي من جهة وبين المملكة العربية السعودية، عرض المملكة العربية السعودية، المجلد الأول، 31 تموز 1955.

- **المذكرات الشخصية:**

- مذكرات فوزي القاوقجي 1914-1932، جـ1، اعداد خيرية قاسمية، دار القدس، بيروت، 1975.

- **الرسائل الجامعية:**

1- بيداء محمود احمد سويلم، فوزي القاوقجي ودوره في القضايا القومية 1890-1948، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية /ابن رشد، جامعة بغداد، 1999.
2- حيدر شاكر خميس القره غولي، المملكة العربية السعودية والقضية الفلسطينية 1936-1973، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 2007.
3- عبد الرزاق خلف خميس الزيدي، العلاقات السعودية- اليمنية 1932-1970 دراسة في العلاقات السياسية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية/ ابن رشد، جامعة بغداد، 1996.

- **الكتب العربية والمعربة:**

1- احمد طربين، قضية فلسطين 1897-1948، جـ2، مطابع دار الهلال، دمشق، 1968.
2- اميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاما، بيروت، 1972.
3- أمين المميز، المملكة العربية السعودية كما عرفتها، مطابع دار الكتب، بغداد، 1963.
4- بنوا ميشان، ابن سعود ولادة مملكة، تعريب رمضان لاوند، دار اسود للنشر، بيروت، 1976.
5- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر 1945-1971، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، 1974.
6- جي. بي. كيلي، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، تعريب وتعليق خيري حماد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1971.
7- حازم السامرائي، الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ط1، دار الحكمة، لندن، 2001.

8- حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971.
9- ــــــــــــ، خمسون عاما في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001.
10- خيري حماد، عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1961.
11- داكوبرت فون ميكوش، عبد العزيز، نقله إلى العربية أمين رويحه، دار البيضاوي للتأليف والترجمة والنشر، بيروت (د.ت).
12- صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة، 1973.
13- صبري فالح الحمدي، المستشارون العرب والسياسة الخارجية السعودية خلال حكم الملك عبد العزيز بن سعود (1915-1953)، ط1، لندن، دار الحكمة، 2011.
14- عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند، مطبعة الاهالي، بغداد، 1354هـ/1935م.
15- عبد الفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، 1981.
16- فتوح عبد المحسن الخترش، العلاقات السعودية - اليمنية 1926-1934، ط3، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1983.
17- مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، جـ2، ط2، دار الحكمة، لندن، 2004.

- الكتب الأجنبية:

1- David Holden and Richard Johns; The House of Saud, London, 1981.
2- Elizabeth Monroe; Phipy of Arabia, First Published, Butleo and Tanner, London, 1973.
3- Hussain M , Albanrna; The Legal Status of the Arabian Gulf States, Manchester University Press, 1968.

4- John. Philpy, Arabia Jubille, London, 1950.

5 __________, Saudi Arabia , Beirut, 1968.

6- K.S. Twitchell, Saudi Arabian with an Account of the Development of Its Natural Resources, Princeton University Press, New Jersey, 1958.

7- Nan Der. Meulen; The Wells of Ibn Suad , the Printed by the Cameot Press Ltd, London, 1957.

البحوث المنشورة:

1- صادق حسن السوداني، جماعة الاخوان جيش ابن سعود شبه النظامي، مجلة الخليج العربي بجامعة البصرة، العدد العاشر، 1978.

2- يعقوب كولدبرك، فيلبي كمرجع في تاريخ المملكة السعودية في بداية القرن العشرين، تعريب جهاد صالح العمر، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، العدد 4، المجلد العشرون، 1988.



الفصل الرابع

فيلبي
والعلاقات السعودية - الأمريكية
(1945-1928)

1- التمهيد

2- فيلبي والعلاقات السعودية - الأمريكية (1928-1945)

3- الخاتمة

4- المصادر



1-تمهيد:

تاخرت اقامة العلاقات بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية، لاسباب تتعلق بعضها بانشغال الثانية بقضاياها الداخلية وعلاقاتها مع امريكا الجنوبية وأوربا، فيما كانت المملكة منهمكة هي الأخرى في ترتيب أوضاعها الداخلية والعمل على تنظيم اسس الدولة السعودية في مجالات عدة، فقد ظل ابن سعود سنوات عدة يركز على توحيد البلاد والتخلص من معارضيه، لا سيما آل الرشيد امراء حائل، فضلا عن اشراف الحجاز. حتى فرض هيمنته على مناطق واسعة من الجزيرة العربية بعيد عام 1926، لذلك كان الجانبات السعودي والأمريكي يرومان العمل على اقامة علاقات بينهما.

ستحاول الدراسة تناول مدى مشاركة فيلبي الشخصية البريطانية سواء كممثل للحكومة البريطانية، أو عبر قيامه بدور الوسيط منفردا أو مع اشخاص آخرين في الاتصالات الهادفة إلى اقامة وتطوير العلاقات السعودية- الأمريكية، بدءً من خطواتها الأولى المتعلقة بمسألة حصول المملكة على الاعتراف الدولي بقيامها من الولايات المتحدة ومنذ عام 1928، الذي اعطته الحكومة السعودية جل اهتمامها لاعتبارات سياسية ودولية، ومع الاقرار بوجود عراقيل بشأن ذلك لاسباب عدة يسلط البحث الضوء عليها، لكن سنلاحظ في نهاية المطاف حصول نتائج ايجابية نتعرف عليها في الصفحات القادمة.

مقابل ذلك شكل العامل الاقتصادي دافعا للجانبين السعودي والأمريكي على تقريب آراءهما بتجاوز بعض الخلافات، لا سيما بعد تاكد وجود النفط في الأراضي السعودية مطلع عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، وتصاعد المنافسة البريطانية المتمثلة بنشاط الشركات البريطانية لاستثمار النفط السعودي، وهنا سنجد نشاط فيلبي الملحوظ في ترجيح الشركات الأمريكية على البريطانية، وتحركاته في اكثر من محفل لتحقيق ذلك، في وقت كانت فيه المملكة تعاني من

أوضاع اقتصادية صعبة، فوجدت في استثمار نفطها الوسيلة التي تنقذها من تلك الأوضاع والإفادة من العائدات المالية في تطوير الدولة السعودية في مجالات الحياة المختلفة، وهو الامر الذي ستعالجه الدراسة بشكل موثق عبر رصد نشاط فيلبي في توثيق العلاقات السعودية- الأمريكية على وفق منهج البحث التاريخي المعتمد على التحليل العلمي لوقائع الأحداث ومجرياتها.

2- فيلبي والعلاقات السعودية- الأمريكية (1928-1945):

كان من الطبيعي ان تؤثر الازمة الاقتصادية العالمية (1929-1930) وقلة العوائد المالية المتأتية من ضعف موسم الحج، الذي يعد اكبر مورد مالي بالبلاد على وضع المملكة الاقتصادي، إذ كان يبلغ عدد الحجاج الوافدين إلى الحجاز لاداء فريضة الحج هناك حوالي (100000) حاج سنويا، اما في عام 1930 فقد هبط العدد إلى (40000) حاج، فكثر الفقر وانتشر العوز بين الناس، كما تعثرت المشاريع الاصلاحية، فضلا عن انشغال ابن سعود بالتخلص من معارضيه الذين وقفوا ضد اجراءاته بالعمل على تحديث المملكة، وهم الاخوان (1912-1930) بقيادة فيصل الدويش[1]، الذي باتت حركته تهدد اركان مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها. إلى ضرورة البحث عن موارد مالية أخرى لدعم اقتصاد البلاد، والإفادة من تلك الاموال التي تسهم في توزيع اعطاءات الحكومة السعودية على القبائل لضمان عدم انجرارها إلى إحداث اضطرابات في البلاد، وكان البحث عن النفط واستثماره اهم تلك الوسائل التي لجأ إليها ابن سعود لتحقيق تلك الغايات[2].

1- فيصل الدويش: من أبرز قادة الاخوان وزعيم قبيلة المطير ذات النفوذ في الجزيرة العربية، وقد اتخذ من الارطاوية الواقعة بين المملكة والكويت مركزا له واتباعه، وقد دخل مع ابن سعود في نزاع مسلح بشأن موضوعات تتعلق بإدارة الدولة ورغبة الأخير في ادخال مظاهر التطور في مجالات المواصلات والنقل وأمور عدة، التي عارضها الدويش بشدة، مما أدى إلى وقوع معارك بين الجانبين انتهت عام 1930 في إلقاء القبض عليه وايداعه سجن الاحساء، الذي توفي فيه عام 1931. جبران شامية، آل سعود ماضيهم وحاضرهم، رياض الريس ومشاركوه المحدودة، لندن، 1986، ص 142-153.

2- جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، نقله إلى العربية لجنة من الاساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1957، ص 327.

ولكي تضمن المملكة نجاح خططها الاقتصادية والاجتماعية واجراء تطـــور في مجالات الحياة المختلفة، كان لا بد من حصولها على مزيد من الاعتراف الدولي بقيامها، ولا سيما من الولايات المتحدة الأمريكية وتوسيع علاقاتها الخارجية، فقد بعث فؤاد حمزة[1] نائب مدير الشؤون الخارجية في المملكة رسالة مؤرخة في 29 أيلول 1928 إلى فرانك كيلوج- وزير الخارجية الأمريكي- بواســطة الــوزير المفوض في القاهرة بهذا الشأن، كما جرت اتصــالات دبلوماســية بالقنصــلية الأمريكية في القاهرة، بقصد الحصول على اعترافها بالمملكة، بعدما تحقق للأخيرة من مكانة ملحوظة في الجزيرة العربية، لكن الحكومة الأمريكية لم تستجب لهــذا الطلب، بعد استشارتها عدد من المختصين بشؤون المنطقة، وأبــرزهم جــارلس كرين (Charles Grane) أحد اعضاء لجنة كنك- كرين التي زارت سوريا لتقرير مصير استقلالها عقب انتهاء مؤتمر الصلح في فرنســا في عــام 1919، ورجــل الاعمال الأمريكي المعروف، وأمين الريحاني الرحالة العربــي من لبنان المقــيم في الولايات المتحدة، وقد عمل موظفا في وزارة الخارجية الأمريكيــة، وفيلبــي سياسي بريطاني مقيم في المملكة منذ عام 1926[2].

وفي ظل هذه الاجواء برز دور فيلبــي لإقناع الحكومة الأمريكيــة بالمنــافع الاقتصادية والسياسية التي ستحصل عليها إذا ما اتخذت خطوات ايجابيــة بهــدف توثيق صلاتها بالمملكة والاعتراف بها رسميا، إذ بعثت الحكومة السعودية إلى وزارة الخارجية الأمريكية عبر القنصلية الأمريكية في عدن برسالة في 13 تشــرين الأول 1928، وكان اهم ما تضمنته هذه الرسالة، التقرير المقــدم مــن قبــل فيلبــي

1- فؤاد حمزة: عربــي من لبنان، التحق بخدمة ابن سعود عام 1926 شغل مناصب عدة في إدارة المملكة العربية السعودية، عمل في الديوان الملكي، صار مستشارا سياسيا لملك الحجاز ونجد وملحقاتها، لا سيما في ميدان السياسة الخارجية لأهميتها بقيام الدولــة السعودية وتنظيم علاقاتها مع البلدان العربية المجاورة، التي احاطت بها اجواء التــوتر بسبب الخلافات الحدودية، مثل اليمن (1926-1934) والعــراق (1928-1933)، فضلا عن العلاقة مع الأردن ومصر (1931-1945). صبري فالح الحمدي، فؤاد حمزة والسياسة الخارجية السعودية (1926-1949)، مجلة كلية الآداب، جامعــة بغــداد، 2010، ص 73-106.

2- Thomas Bryson: American Diplomaitic Relation with the Middle East 1784-1975, U.S.A., 1977, p. 107-108.

(مستشار) ابن سعود إلى هذه القنصلية، والذي يعد بمثابة دعوة ملحة للأمريكيين بالدخول إلى السعودية وتشجيع شركاقمم هناك والاعتراف بالمملكة، فقد بين اهمية الاعتراف الأمريكي بها، وان هذه الخطوة وبالرغم ما فيها من دعم للمملكة ستفتح الباب واسعا امام الولايات المتحدة لاستثمار اموالها والحصول على الامتيازات داخل المملكة، وتنبأ فيلبي بما سيكون لهذه البلاد من اهمية اقتصادية وسياسية في المنطقة، ونبه الأمريكيين إلى ذلك، لانه واثق على حد قوله "بانه سيكون لها شأن عظيم في المستقبل وستقود يوما الاسلام كما هو الحال بالنسبة لتركيا في السابق"(1).

وقد قام قسم الشؤون الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية بدراسة الطلب واعداد مذكرة تتناول اهمية اقامة مثل هذه العلاقات ومدى الحاجة الأمريكية لها، من واقع حجم المصالح الأمريكية في ممتلكات ابن سعود، ومما جاء في المذكرة التي اعدها بول النك (Paul Alling) كبير مساعدي قسم الشرق الادنى ما يلي: "يجب ان نقر بصراحة بان مسألة الاعتراف الرسمي بابن سعود مفتوحة للمناقشة من جانب الولايات المتحدة وان الحجاز ذات اهمية تجارية ضعيفة وبها مصالح قليلة للولايات المتحدة وليس من المحتمل ان تزداد علاقاتنا مع الحجاز إلى مدى ملحوظ وبخصوص الجانب المشجع للاعتراف قال: "ان الملك قد اقام سلطة حازمة في بلاده وهو شخصية بارزة في واحد من اكبر الحركات الدينية العالمية، وعلى العموم يبدو ان العوامل التي في صالح الاعتراف تفوق التي ضده"(2).

الا ان مساعي فيلبي فشلت بسبب تردد الولايات المتحدة بالاعتراف بالمملكة لان حجم التبادل التجاري بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها والولايات المتحدة كان قليلا وهي ترى ان اعترافها بآل سعود قد يقود إلى موقف مماثل إزاء امام اليمن يحيى حميد الدين (1908-1948) ورغبتها تجنب الدخول في الصراعات السياسية بين الاسرة السعودية وجيرانها في منطقة النفوذ البريطاني العراق وشرق الأردن واليمن، فضلا عن ان قضية الاعتراف بالعراق واقامة تمثيل دبلوماسي معه

1- نقلا عن: طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني- الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه 1928-1939. وزارة الثقافة والاعلام، 1982، ص 147.
2- علي عظم محمد عباس الكردي، العلاقات السعودية - الأمريكية 1945-1953، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1997، ص 7-8.

مازالت غير محسومة، لهذا تجاهلت الولايات المتحدة رغبة وزيرها المفوض في القاهرة تك Tuck) في اتخاذ قرار ايجابي بهذا الصدد وذلك في كانون الثاني 1930[1].

وعلى الرغم من عدم استجابة الحكومة الأمريكية للطلب السعودي، فقد واصل السعوديون عرض رغبتهم مرارا امام المفوضية الأمريكية في القاهرة، سواء من قبل الوكيل الحجازي هناك، أو من قبل فيلبي الذي يعمل بصحبة ابن سعود، وقد دفعت هذه الرغبة المستمرة-كما يبدو- الوزير المفوض الأمريكي في القاهرة إلى ابداء رغبته هو الآخر لاعاة النظر في موقف حكومته من قضية الاعتراف بالمملكة، فيما كان ابن سعود حريصا على ضرورة دخول الاستثمارات الأجنبية إلى بلاده والسعي إلى تطوير أوضاعها الاقتصادية، فابدى موافقته للقاء تشارلس كرين[2] بعدَ انتهاء موسم الحج أواخر نيسان عام 1931، وقد جاء هذا الترتيب على يد فيلبي مستشاره الذي تطوع لخدمة المصالح الأمريكية واعتقاده ان ذلك من شأنه تقدم المملكة الاقتصادي والاجتماعي، وكان يأمل من وراء مساعدته السعوديين مكافأته بامتياز للشركة الشرقية التجارية شمال الحجاز رغم انشغاله بعمله في احتكار تجارة السيارات، ونبهه إلى وجود ثروة معدنية في بلاده تنتظر الاستغلال، فقد نصح ابن سعود بمقابلة كرين لما في ذلك من فرصة ثمينة لتغيير الأوضاع الاقتصادية في بلاده، وجاء هذا الاقتراح ردا على الشكوى التي كان يبثها

1- نجاة عبد القادر الجاسم، التمثيل الدبلوماسي والقنصلي في المملكة العربية السعودية 1936-1944، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد 39، السنة العاشرة، 1984، ص 100.

2- زار كرين رجل الاعمال الأمريكي في شتاء عام 1931 المملكة لدراسة إمكانية تشغيل امواله في مجالات التنقيب عن المعادن والمشروعات الزراعية وغيرها من الاعمال الاقتصادية في الجزيرة العربية، وكان من نتيجة زيارته ان جاءت إلى المملكة بعثة الخبير الجيولوجي الأمريكي المستر كارل توتشيل (Karls Turichell) بناء على طلب ابن سعود اثناء مقابلة كرين، ان يرسل له خبيرا جيولوجيا للبحث عن الماء والمعادن في بلاده، إذ انه يرى ان تطوير المملكة لا يمكن ان يتم الا بعد الاخذ باساليب الحضارة العصرية. عبد الفتاح حسن أبو عليه، رسالة من تشارلز كرين إلى الرئيس روزفلت يصف فيها الملك عبد العزيز، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، دار الملك عبد العزيز، الرياض، أيار 1977، ص 194-195.

له ابن سعود من سوء تلك الأوضاع، مما كان له آثاره الايجابية في اعتراف الولايات المتحدة في المملكة في 1 حزيران 1931[1].

واذا تناولنا دور فيلبي بالمفاوضات المتعلقة باستثمار الشركات الأمريكية للنفط السعودي، فيلاحظ أهميته في سيرها، وفي رجحان كفة المفاوض الأمريكي أو على الاقل اسناده في اثناء تلك المحادثات، التي شهدت تنافس شركة نفط العراق البريطانية في تلك الامتيازات وإمكانية المساهمة في انتاج النفط السعودي، الذي توقع البريطانيون وجود كميات تجارية منه، لا سيما بعد تأكد وجود النفط في البحرين عام 1932[2]. والواقع أن كل الظروف كانت مواتية لنجاح الشركات الأمريكية في الحصول على امتياز النفط السعودي، فابن سعود كان يرى في الشركات البريطانية الها تحتكر نفط العراق والكويت والبحرين بينما لم يكن للامريكان مثل هذا النفوذ، وان الشركات الأمريكية لا تتدخل بشؤون بلاده الداخلية، كما ان الأخيرة كانت قد قبلت ان تدفع للمملكة قرضا مقدما وبالعملة الذهبية، بينما كانت الشركات البريطانية غير مستعدة لدفع مثل هذه الكمية من النقد[3]، وستعالج الصفحات الآتية مدى مساهمة فيلبي في المفاوضات النفطية والنتائج التي آلت اليها.

وعلينا تناول العلاقات السعودية- الأمريكية في جانبها الاقتصادي، واعني بذلك مجال استثمار النفط، ويمكن ان نتابع الاصول التاريخية لمحاولات الشركات الأجنبية بالعثور على النفط في البلاد العربية السعودية بالحجاز التي ترجع إلى عام 1922، عندما اوفدت الشركة الشرقية العامة البريطانية المحدودة (The British Eastern and General Syndicate Ltd) ممثلاً عنها يدعى فرانك هولمز[4] (F. Holmes) للتفاوض

1- طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني - الأمريكي، ص 155.

2- محمد لبيب شقير وصاحب ذهب، امتيازات وعقود البترول في البلاد العربية، جـ1، القاهرة، 1969، ص 18-38.

3- عبد الفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي، ص 174-176.

4- فرانك هولمز: مهندس بريطاني عمل بمناجم الذهب في امريكا الجنوبية، عاد إلى بلاده فعمل بالبحرية الملكية، ثم اقنع جماعة من رجال الاعمال بانشاء الشركة الشرقية التي سجلت في لندن عام 1920، وهي مكونة من (14) شركة بريطانية تهتم باستغلال النفط، فضلا عن مشروعات التنمية، وقد وقع اختيار الشركة على هولمز ليكون ممثلها في الشرق الأوسط، وعلى الرغم من اهتمامها بالنفط، فقد ثبت فيما بعد الها غير متخصصة فيه بقدر اهتمامها بالحصول على عدد من الامتيازات وبيعها إلى شركات متخصصة، لذلك لم تحظ بالتقدير من شركات النفط العالمية.

- John Philpy: Arabian Oil Ventures, Washington, 1964, p. 24.

مع ابن سعود لأجل الحصول على امتياز النفط في الاحساء، وتمكن هولمز في آب 1923 الحصول على موافقة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بمنح الامتياز ورغم معارضة بيرسي كوكس الذي طلب من ابن سعود الاعتذار عن منح الامتياز، لعدم اخذ هولمز موافقة الحكومة على نشاطه في الخليج العربي وان الشركة غير متخصصة بأمور النفط ورغبة البريطانيون بمنحه لشركة النفط الإيرانية البريطانية[1] بعقد اتفاقية بينهما، تخول الشركة التنقيب عن النفط واستغلاله في مساحة تزيد على (30000) كيلومتر من منطقة الاحساء، إلا أن الشركة الشرقية توقفت بعد مرور سنتين، عقب إخفاقها بالعثور على النفط، فألغي الامتياز رسميا عام 1928[2].

ولما يأس ابن سعود من مساعدة الحكومة البريطانية له راح يعمل بالبحث عن شركات غربية للتنقيب عن النفط في المملكة، وفي مقدمتها شركة استاندر اويل اوف كاليفورنيا (Stander Oil of California) حيث ابرق المستر لوميسي (Francis B.Lomis) مستشار الشركة إلى فيلبي يدعوه لترتيب مقابلة تجمع بين ممثلي الشركة والمسؤولين السعوديين لبحث قضية الامتياز، وقد استجاب فيلبي لهذا الطلب وبحث مع المسؤولين السعوديين شروط الامتياز في أواخر عام 1931، وبعث إلى شركة كاليفورنيا لتكون أساس المفاوضات بين الجانبين، وكان كارك توتشيل[3] (Karl Twitchel) قد وصل الولايات المتحدة وأخذ بتنفيذ مهمته التي أوكل إليها من قبل السعوديين بعد أن وجد أدلة مشجعة على وجود النفط في الظهران، حيث فاتح العديد من الشركات الأمريكية دون أن تبدي إحداها اهتمامها بالأمر، حتى تم لقاؤه بالمستر لوميس والمستر لومباردي (M.E. Lombardi) مدير الشركة الذين كانا يعملان على الاتفاق مع السعوديين في هذه المدة من علاقات البلدين، وبهذا اللقاء الذي جرى في نيويورك تم الاتفاق على توكيل توتشيل للعمل

1- محمد عبد الله ماضي، المصدر السابق، ص 303.

2- John Marlowe; The (Persian) Gulf in the 20th Century, London, 1962, p. 93-94.

3- كارل توتشيل: مهندس أمريكي متخصص بالمسح الجيولوجي، التقى يوسف ياسين موفد ابن سعود ليعرض عليه القيام بدور في جذب استثمار رؤوس الاموال الأمريكية في مجال النفط، واحتمال وجود النفط في الاحساء، عقب اكتشافه في البحرين عام 1928، وقد وصل توتشل إلى جدة في 15 نيسان 1931، ولقي ترحيبا وتشجيعا لمهمته من الحكومة السعودية. عبد الفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي، ص 174-176.

نيابة عن الشركة، والتوسط بينها وبين ابن سعود، وكانت رسالة قد بعثها توتشيل مؤرخة في 20 كانون الثاني 1932 إلى فيلبـي تخبره بوجود اهتمام من مسـؤولي شركة كاليفورنيا لاستخراج النفط في أراضي المملكة العربية السعودية، لا سـيما بعد النجاح الذي حققته الشركة الأمريكية باستثمار النفط في البحرين منذ عـام 1928، وتزايد الاحتمالات بوجود مخزونات للنفط في الاحساء، وربمـا المنـاطق المجاورة لها، فضلا عن تأكيد شركة كاليفورنيا ان توتشيل سيكون قـادرا علـى التفاوض مع الحكومة السعودية التي تعد حليفا يعتمد عليه ويوضح فيلبـي ما جاء بتلك الرسالة بما يأتي: "نطلب إليك التوجه إلى المملكة السعودية بخصـوص هـذا الأمر، مع ثقتنا بقدرتك يا فيلبـي بازالة العقبات التي تقـف بوجـه جهودنـا لاستثمار النفط السعودي، شاكرين ما تقوم به من اعمال بهذا الشأن[1].

وتشير المصادر البريطانية إلى حاجة السعوديين في مطلع عقد الثلاثينيات مـن القرن العشرين إلى اموال لدعم أوضاعهم الاقتصادية، وكان ابن سـعود ووزيـر ماليته عبد الله بن سليمان متفقين على ضرورة جذب رؤوس الامـوال الأجنبيـة للبلاد، بسبب الازمة الاقتصادية إلى تعانيها، وهم مستعدون لابـداء قـدر مـن التنازلات، لقاء الحصول على مبالغ مالية، وهو الامر الذي افصح به ابن سعود إلى فيلبـي، الذي اقترح على الأول مشاركة الشركات الأمريكية في التنقيـب عـن النفط السعودي[2]، وفي صيف 1932 إلتقى فيلبـي باعضاء من شركة كاليفورنيا الأمريكية ولمح لهم باحتمال حصولهم على امتياز للنفط من الحكومة السـعودية. وكان تدفق النفط في البحرين عام 1932 قد شكل حافزا للشركة على التفـاوض مع الحكومة السعودية للحصول على الامتياز، إذ تم تفويض فيلبـي رسميـا في تشرين الأول 1932 للتفاوض مع الشركة لمنحها امتياز نفط السعودية[3]، وإلتقـى في نيويورك المستر لومباردي مدير الشركة ومستشاره المستر لومبس وقـد ابـديا استعدادهما للتفاوض مع الحكومة بشأن الحصول على الاميتاز المذكور[4].

1- John Philpy: Arabian Oil, p. 85-86.
2- Elizabeth Monroe: Op. cit., p. 202.
3- سمية أمين ياسين، المصدر السابق، ص 188.
4- Benjamin Shwodran: The Middle East Oil and The Great Powers, New York, 1973, p. 302.

وبناء على ذلك وفد توتشل إلى السعودية يرافقه لويد هـــاملتون (Hamilton) بمثابة ممثل لشركة كاليفورنيا، للتهيئة لاعمال استكشاف الـــنفط واســـتخراجه في الأراضي السعودية، ويصف لنا توتشيل استقبال ابن سعود له واجواء اللقاء بينهما على النحو الآتي: "عند رجوعي إلى نجد في 12 كانون الثاني 1932، إلتقيت الملك، وكانت من اكثر المقابلات ودية، وقدم لي استشارات عدة وطلب مني ان اتخذ مـــا يلزم من اجراءات للمباشرة باعمال استكشاف النفط وتهيئة العاملين لاســـتخراجه من باطن الأرض، واخبرني الملك انه لم يتفق مع اية شركة غربية أخرى لاســـتثمار النفط في حقول الاحساء"[1].

ولم تكن شركة نفط العراق[2] البريطانية بعيدة عن المشاركة لعلـــها تفلـــح بالحصول على التنقيب عن النفط السعودي، إذ أرسلت ستيفن همسلي لونكريك[3] (Stephen H. Longrigg) ممثل الشركة إلى جدة مطلع عام 1933 لمفاوضة ابـــن سعود بشأن منح الامتياز للشركة، لكن المبعوث البريطاني لم يكن على اطلاع لمـــا كان يفترض ان يعرفه بشأن المفاوضات النفطية، ومع انه قدر اهميـــة فيلبـــــي في المفاوضات- بوصفه بريطانيا- حتى انه طلب منه مفاوضة الملك نيابة عن شـــركة نفط العراق، إلا أن فيلبـــي تظاهر بالحيادية ورفض عرض لونكريك، وعلاوة على ذلك فإن الشركة البريطانية لم تكن مهتمة ذلك الاهتمـــام بـــالنفط الســـعودي، لاسباب تتعلق بوفرة كميات النفط في العالم وقتذاك، إذ هبط سعر البرميل الواحد من النفط إلى (10) سنتات في السوق العالمية، وكان هناك توقـــف أو ضـــعف في النشاط التجاري في كل مكان، فضلا عن ان الشركة كانت تمتلك كل النفط التي تتمكن استخراجه من آبارها في العراق وإيران، وكان همها الوحيد ابعاد الشركات الأمريكية عن ميدان المنافسة[4]، بل ان لونكريك ابلغ فيلبـــي بان الشركة خولتـــه

1- K. S twitchell: Op. cit., p. 173.

2- كان اسمها شركة النفط التركية، بدل اسمها إلى شركة نفط العراق عام 1949.

3- ستيفن همسلي لونكريك: عمل مستشارا اداريا بالحكومة العراقية بالعهد الملكي، أصبح أحد المديرين في مجلس إدارة شركة نفط العراق، فضلا عن آخرين. نوري عبد الحميـــد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق 1925-1952، مركـــز الابجديـــة، بغداد، 1980، ص 51.

4- طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني الأمريكي، ص 175-177.

بعرض (5000) جنية فقط مقابل الامتياز، لذا فإن هذه الأمــور - حــتى إذا اراد فيلبــي الميل إلى حكومته- كانت قد عززت شكوكه في قدرة شركة نفط العراق لان تكون مؤهلة للحصول على الامتياز، في الوقت الذي يريد ابن ســعود فيــه استغلال نفط السعودية بالسرعة الممكنة، وقد نصح فيلبــي لونكريــك بــالعودة والعمل على رفع المبلغ المعروض، وان تكون هذه الامــوال المعروضــة بالعملــة الذهبية، غير ان شركة نفط العراق لم ترفع المبلغ السابق إلى حد مقنــع، حيــث وافقت على مبلغ قدره (6000) باون فقط دون اشتراط الدفع بالــذهب، وعلــى الملك قبول الجنيهات الاسترلينية أو ما يعادلها بالروبيات، لذلك ندرك ان الفشــل كان نصيب الشركة البريطانية، فيما نجحت شركة كاليفورنيا الأمريكيــة باخــذ الامتياز لها، لان ممثلها توتشيل وهاملتون كانا مــزودين بصــلاحيات واســعة في التفاوض، في حين كان لونكريك مقيدا بتعاليم الشركة[1].

مقابل ذلك قدم ابن سعود لكل من الممثلين المتنافسين رسالة يشير فيهــا إلى أن الامتياز يمنح للشركة التي تتعهد بان تدفع حالا مبلغا قدره (100000) جنيه استرليني ذهب كسلفة على العائدات التي ستتحقق فيما بعد إذا اكتشف النفط، وكان هــذا المبلغ ضخما إلى درجة جعلت الشركة البريطانية تتردد في عرضها، بينمــا اقــدمت الشركة الأمريكية واعلنت انها وضعت حسابا باسم الملــك الســعودي في أحــد المصارف مقداره (50000) جنيه استرليني ذهب، اي نصف المبلغ الذي طلبه الملك، وبذلك ربحت الشركة الأمريكية الامتياز[2]، وكــان لفيلبــــي نشــاط في تلــك المفاوضات بحكم الثقة التي منحها اياه ابن سعود على حد قوله، وقد اعرب الأخــير عن هذه الثقة في الرسالة التي بعثها إلى فيلبــي بتأريخ 23 شــباط 1933- في اثنــاء اجتماع الوفد الأمريكي مع الجانب السعودي في جــدة (20-24 شــباط 1933) لمناقشة أسس الاتفاق، لا سيما فيما يتعلق بتقديم قــرض مــالي للســعودية قــدره (100000) باون ذهب، الذي حاول فيلبــي إقناع السعوديين بجعله (50000) باون ذهب كأعلى نسبة للقرض المقترح، على أن يعرض على ابن سعود للنظر فيه- وجاء

1- جمال زكريا قاسم، الخليج العربــي، ص 458.

2- جان جاك بيربــي، الخليج العربــي، تعريب نجدة هاجر، سعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1959، ص 143.

في الرسالة المذكورة: "انا واثق من انك ستحمي مصالحنا الاقتصادية والسياسية مثلما تحمي مصالحك الشخصية، لذا فاني اتوقع مساعدتك في هذا الامر، كما اتوقع منك اسداء نصائحك النافعة وسوف ينظر لها بكل ثقة واحترام"[1].

وتأسيسا على ذلك شرع فيلبي بتاكيده على شركة نفط العراق لإرسال من يمثلها للتفاوض بشأن امتياز النفط السعودي، وكان يهدف من وراء ذلك ضمان العرض المرتفع جراء التنافس على الامتياز الذي سيدور بين شركتي كاليفورنيا ونفط العراق، وخلال ذلك قدم هاملتون عرض الشركة الأمريكية الجديد المتضمن تقديم (50000) باون ذهب إلى الجانب السعودي في 17 نيسان 1933، مرفقا معه عرض لونكريك وتوصيات وزير المالية عبد الله بن سليمان، الذي اوصى بتفضيل العرض الأمريكي وقبول المبلغ المذكور، وقد تمكن فيلبي من التوفيق بين شروط الحكومة السعودية وعرض الأمريكيين، وانتهى الامر بالاتفاق في 20 نيسان، حين قدم هاملتون عرضه النهائي بشأن الامتياز. والواقع ان موافقة السعودية جاءت بعد أن أبلغهم فيلبي أن الـ (50000) باون التي تقدم بها هاملتون هي بمثابة آخر عرض للأمريكيين، وقد وقع الامتياز في 29 مايس 1933، بعد ان تمت مطالعته وقراءته امام ابن سعود لابداء رأيه فيه ووصف فيلبي الاتفاق بانه افضل ما تستطيع الحكومة السعودية الحصول عليه، وإزاء دوره في المفاوضات حصل فيلبي على ثناء ابن سعود وعلى منزل يعرف بـ (القصر الاخضر) كهدية له، فاستعاض به عن منزله القديم الذي باعه إلى هاملتون ليستخدم كمقر وقتي للشركة، وكما كافأته الشركة بمختلف الهدايا وبمبالغ مالية قدرها البعض بـ (10000) جنيه[2].

في محاولتنا تحليل العوامل التي أفضت إلى تولي الشركة الأمريكية التنقيب عن النفط في المنطقة الشرقية من السعودية، يمكننا القول ان منح ابن سعود الشركة الأمريكية ستاندر اويل اوف كاليفورنيا حق التنقيب عن النفط، على الرغم من وجود عرض من شركة نفط العراق البريطانية[3]، لكنه فضل العرض الأمريكي

1- نقلا عن: طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني - الأمريكي، ص 148-176.
2- المصدر نفسه، ص 170 و178.
3- المملكة العربية السعودية بين الحربين العالميتين السلطة والمتغيرات السياسية والاقتصادية في ضوء تقارير المفوضية العراقية في جدة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، دار دجلة، 2008، ص 186-187.

بقصد ايجاد نوع من التوازن الاقتصادي والسياسي لصالح المنطقة[1]، فيما ارجع يوسف ياسين مستشار ابن سعود تلك الافضلية للشركة الأمريكية بقوله: "ان حق التنقيب عن النفط اعطي للأمريكيين، لان البريطانيين اخفقوا في التقدم بالوقت المناسب في عرض الشروط المناسبة التي تتوافق مع المصالح السعودية[2].

مقابل ذلك فسرت المصادر البريطانية حصول الشركة الأمريكية على امتياز النفط السعودي، إلى دور فيلبي في عملية المفاوضات والاتصالات الأمريكية- السعودية، بوصفه من المقربين لابن سعود، إذ راحت الجهات الأمريكية تمارس الضغوط على فيلبي للتأثير عليه للوصول إلى هدفها[3].

على أن مصادر تاريخية أشارت إلى أنه يبدو ان فيلبي قد آلمه ان تحصل الشركة الأمريكية على الامتياز وان تحرم منه شركات بلاده، التي لم تكن قد ابدت اهتماما كبيرا بموضوع النفط بالمملكة، إذ بعث إلى صديق له يعمل في شركة النفط البريطانية- الفارسية يخبره بالتطور الجديد ويقترح ان توفد الشركة من يمثلها للتفاوض مع الملك ومنافسة الشركات الأمريكية، فاوفدت الشركة بالفعل لونكريك، وهو من اصدقاء فيلبي بالعراق كما جاء فرانك هولمز، لتفاوض باسم الشركة الشرقية العامة للنفط وهي الشركة التي حصلت بالماضي على امتياز شمل المملكة السعودية باسرها مقابل اجر وهمي، ولكنها سرعان ما تخلت عنه، لانها فشلت بالحصول على النفط، إذ ان بحثها عنه لم يكن مجديا، واتضح بعد ايام ان هولمز لم يكن اهلا للاشتراك بالسباق التنافسي فارتحل عن البلاد، بينما ظل لونكريك مترددا محجما في مفاوضاته، بسبب القيود التي فرضتها الشركة في مقرها عليه، وهكذا بدا ان الشركة الأمريكية وحدها هي الموجودة في الميدان، مما يعني ان التعليمات الموجودة لدى المفاوض البريطاني لا تمكنه من الصمود أمام المنافس الأمريكي[4].

1- تركي بن محمد بن سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود1902-1925، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة، الرياض، 1986، ص 51.

2- نقلا عن: سمير عطا الله، قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية (1762-1950)، مكتبة العبيكان، الرياض، 2009، ص 305.

3- David Howarth: Op. cit., p. 229.

4- خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 111-112.

إلا أن الواقع يشير إلى أن الظروف كانت مواتية لنجاح الشركة الأمريكية في أخذ امتياز النفط في السعودية، إذ كان ابن سعود يرى في الشركات البريطانية انها تحتكر نفط العراق والكويت والبحرين، بينما لم يكن للأمريكان مثل هذا النفوذ، فضلا عن ذلك فإن ابن سعود يعتقد أن الشركات الأمريكية لا تتدخل في شؤون البلاد السياسية، لا سيما ان الولايات المتحدة وقتها لم يكن لديها نفوذ في الجزيرة العربية، وانما كانت بريطانيا صاحبة السيادة فيها، كما ان الشركات الأمريكية كانت قد قبلت ان تدفع للحكومة السعودية قرضا مقدما وبالعملة الذهبية، بينما كانت الشركات البريطانية غير مستعدة لدفع مثل هذه الكمية من النقد[1].

وعلينا التذكير بان الاموال المقدمة إلى السعودية من شركة كاليفورنيا الأمريكية كانت عالية، إذا ما قيست بما قدمته الشركة البريطانية (شركة نفط العراق) فقد اعطتها، فضلا عن القرض المذكور، مبلغا قدره (5000) باون ذهب، على أن تقدم الشركة بعد ثمانية عشر شهرا قرضا بقيمة (20000) باون ذهب، على أن تستوفي هذه القروض من عوائد النفط، وفي حالة التصدير تجاريا يقدم قرض قدره (50000) باون ذهب، وآخر بالمبلغ نفسه بعد سنة، على أن تسترجع فيما بعد، وتدفع الشركة (4) شلنات ذهب عن الطن الواحد بعد الانتاج، في وقت كانت فيه السعودية بحاجة ماسة إلى الاموال لسد متطلبات حاجتها المعيشية ورغبتها في إحداث تنمية اقتصادية في البلاد العربية السعودية[2].

وعلى الجانب الآخر فسر موقف ابن سعود في منح الامتياز إلى شركة نفط كاليفورنيا بالعوامل الآتية:

1- الباعث المالي: وقد اوضح بالتفصيل.
2- موقف السياسة البريطانية المتعاطف مع الهاشميين عند تسويتها لمشاكل الحدود ما بين الأخيرين والاسرة السعودية.
3- شكوك ابن سعود بنوايا السياسة البريطانية في المشرق العربي وتفضيله للسياسة الأمريكية المجردة من المطامع في وطنه.

1- عبد الفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي، ص 176.
2- علي عظم محمد عباس الكردي، المصدر السابق، ص 34.

4- استقلال شركة نفط كاليفورنيا وعدم ارتباطها بالحكومة الأمريكية أو خضوعها لنفوذها كما هو الحال بالنسبة لشركة نفط العراق.

5- اعتقاد الحكومة السعودية بقوة الاقتصاد الأمريكي قياسا بالاقتصاد البريطاني، الامر الذي يعني قدرة الشركات الأمريكية على المساهمة في تنمية الاقتصاد السعودي على نحو احسن مما تستطيعه الشركات البريطانية.

يتبين لنا من العرض السابق ان هذه الدوافع تكاد تشير إلى سببين ساهما في قرار ابن سعود، وهما الوضع الاقتصادي في بلاده، ثم السياسة الخارجية السعودية وتوجهاتها. ويبدو من مراجعة الحقائق التي سلفنا ذكرها، ان السبب الأول كان الدافع الأساسي وربما الوحيد الذي حدد الموقف السعودي من امتياز نفط الاحساء. اما مدى مساهمة فيلبي في اتمام ذلك الامتياز، فقد اتضح بعد سنوات من انجازه، حينما خاطب عبد الله بن سليمان- وزير المالية- السعودي فيلبي قائلا: "لو كنت اعلم في ذلك الحين بانك تؤيد شركة نفط كاليفورنيا في المفاوضات فعلا فاني كنت سابذل كلما في وسعي لايقاف اتمام هذه الصفقة"[1].

باشرت الشركة في العمل في الدمام عام 1934 وبعد عدة إخفاقات عثر على النفط في 16 تشرين الأول 1938، مما حفز الشركة على إرسال مهندسيها إلى خارج حدود امتيازها على نفقتها الخاصة لمساعدة الحكومة السعودية على اجراء مسح شامل لأراضيها، لتتمكن من تكوين صورة متكاملة عن الاحتياطي النفطي السعودي، وهذا ما جعل المملكة محط انظار الشركات العالمية الأخرى، وقد حصلت شركة نفط كاليفورنيا على امتياز آخر شمل مساحة (80000) ميل مربع اضافة إلى المساحات السابقة، وشهد عام 1939 تصدير اول شحنة من النفط السعودي بشكل تجاري عن طريق ميناء رأس التنورة الواقع على الخليج العربي الذي انشأ خصيصا لهذا الغرض، وتزايد الانتاج بالعام نفسه حتى وصل إلى (530000) طن سنويا، غير ان نشوب الحرب العالمية الثانية اثر سلبا على الانتاج بالرغم من استمرار تدفقه نتيجة لاعلان السعودية الحياد في الحرب[2].

1- نقلا عن: طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني - الأمريكي، ص 178-179.
2- علي عظم محمد عباس الكردي، المصدر السابق، ص 24-26.

ادت هذه التطورات إلى تزايد الطلبات من الشركات الالمانيــة، اليابانيــة، الايطالية، شركة نفط العراق إلى جانب شركة نفط كاليفورنيا للحصــول علــى امتيازات نفطية في بعض مناطق السعودية، وأشارت التقــارير الــتي وصــلت إلى الخارجية الأمريكية من المفوضية الأمريكية في بغداد عن وجود نشاط الماني وياباني في السعودية، اهم مظاهره قيام الوزير المفوض الالماني في بغداد بزيارة جدة بهــدف الحصول على امتيازات نفطية، ولكن يبدو ان جهوده بــاءت بالفشــل، بســبب حصول شركة نفط كاليفورنيا على الامتياز لمدة ستين عاما، هذا وكان ابن سعود قد صرح من قبل بان اليابانيين والالمان سبق ان تقدموا إليه بعروض للحصول على امتيازات نفطية وعرضوا عليه مبالغ اكبر مما تقدمه الشركات الأمريكية من اجــل امتياز مدته اقل، الا انه يثق بالولايات المتحدة وبالشركات الأمريكيــة[1]. وقــد حازت شركة نفط كاليفورنيا على الامتياز كما هو متوقع، إذ نجح وليم لينــهان (W.J.Lenhan) الممثل العام للشركة في 31 آذار 1939 في التوقيع علــى اتفاقيــة اضافية تم بموجبها توسيع مساحة الامتياز الاصلي بمقدار (80000) ميــل مربــع فأصبحت مساحة الأرض الكلية التي شملها الامتياز (440000) ميل مربع، وضمت إليها المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت والسعودية والعراق، على اثــر تــأزم الموقف الدولي في نيسان 1939، لأهمية موقع السعودية عبر الخط الجوي المباشر إلى الهند والشرق الاقصى، ورغبة الولايات المتحدة باقامة قاعــدة جويــة عســكرية بالسعودية[2].

تعرضت السعودية في سنوات الحرب العالمية الثانية إلى ازمة اقتصادية، بسبب انخفاض معدل انتاج النفط السعودي، وقلة الواردات المالية المتأتيــة مــن الحــج، وتعرض الموسم الزراعي للكوارث بسبب الجفاف الذي عم البلاد خــلال عــامي (1940-1941)، فضلا عن النقص الحاصل في المواد الغذائية الداخلة إليهــا مــن الخارج، الامر الذي دفع ابن سعود ان يطلب قرضا بمبلغ (6) ملايــين دولار مــن شركة نفط كاليفورنيا، كما ناشد بريطانيا تقديم المساعدة ايضا، فيمــا أشــارت مصادر تأريخية إلى أنه احتاج (10) ملايين دولار لمعالجة أوضاع بلاده الاقتصادية،

1- نجاة عبد القادر الجاسم، المصدر السابق، ص 101.
2- طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني - الأمريكي، ص 83.

فقررت شركة كاليفورنيا الحصول على المبلغ المطلوب من الحكومة الأمريكية، وكتبت إلى الرئيس تيودور روزفلت[1] (1882-1945) طالبة تزويد السعودية بالاموال خاصة بعد دخول بلاده الحرب في أواخر 1941 وحاجتها للسعودية لمصالحها الاستراتيجية، كما قدم البريطانيون في عامي 1941و 1942 الاموال في اطار المنافسة بين شركاهما النفطية، فدفعوا (5) مليون دولار، ثم (12) مليون دولار من الاموال التي اقرضتهم اياها الولايات المتحدة، وكان الأمريكيون[2] وراء ترتيب هاتين الدفعتين للسعودية من البريطانيين، ولكن حالما تم دفع المال ادركت شركات النفط الأمريكية ان بريطانيا ستستغل ذلك لزيادة نفوذها في المملكة وللحصول على نصيب من ثروات النفط الموعودة، وهكذا قررت الولايات المتحدة عام 1943 ان الدفاع عن السعودية امر حيوي بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة[3].

ومن الجدير بالذكر ان شركة استاندر اويل اوف كاليفورنيا اندمجت عام 1944 مع ثلاث شركات أمريكية أخرى هي (اسو، تكسيكو، موبيل) وشكلت جميعها شركة ارامكو (Aramco) شركة النفط العربية الأمريكية (Arabian- American Oil Company)[4] نتيجة لتزايد انتاج النفط السعودي، فضلا عن قيام الشركة بتدريب الفنيين السعوديين على اعمال الحفر والاستخراج وأمور أخرى، واستعانتها احيانا

1- تيودور روزفلت: اكمل دراسة القانون في جامعة كولومبيا، عمل في البحرية الأمريكية بين سنوات (1913-1920)، انتخب حاكما لولاية نيويورك عام 1928 ورئيسا للولايات المتحدة عام 1932، اعيد انتخابه في سنوات 1936، 1940و 1944. الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث 1789-1945، جـ2، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، بغداد، 1992، ص 328.

2- تقدمت الولايات المتحدة في آذار 1942 بطلب إلى السعودية لتعيين (جيمس موس) قائم باعمال المفوضية لها في جدة، فوافقت السعودية على ذلك، وتم انشاءها في أيار 1942، وفي آذار 1943 تم رفع درجة القائم بالاعمال إلى وزير مقيم. خليل علي مراد، تطور السياسة الأمريكية في الخليج العربي1941-1947، جامعة بغداد، 1979-1980، ص 156-157.

3- فريد هوليداي، الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، تعريب وتقديم محمد الرميحي، دار الساقي، بيروت، 2010، ص 59؛ علي عظم محمد عباس الكردي، المصدر السابق، ص 27.

4- علي عظم محمد عباس الكردي، المصدر السابق، ص 17، فريد هاليداي، المصدر السابق، ص 59.

بالايدي العاملة الأجنبية لتلبية متطلبات اتساع اعمالها الاستكشافية والاستخراجية في الأراضي السعودية[1].

وعلى هذا الأساس حصلت السعودية على تمويل اكبر عبر قانون الاعارة[2] والتأجير الذي وضعته الولايات المتحدة من اجل حلفائها، فكان هذا الامر نقطة تحول مهم بين عامي 1943و 1945 في علاقات البلدين، إذ بدأت السعودية تتلقى مساعدات مهمة من الولايات المتحدة في وقت كانت بريطانيا قد بدأت تخفض مساهمتها المالية، ومع حلول عام 1945 لم يعد هناك شك في ان الولايات المتحدة كانت تمثل مصدر الدعم الأساسي للحكومة السعودية، فضلا عن ذلك فإن علاقات الجانبين قد تطورت عام 1945، على اثر تأسيس قاعدة الظهران الجوية الأمريكية في السعودية[3].

مقابل ذلك على الجانب السياسي ترأس جيمس موس (James Moose) الدبلوماسي الأمريكي اول بعثة دبلوماسية لبلاده في جدة بدرجة قائم بالاعمال، بناء على امر من الرئيس تيودور روزفلت في الأول من أيار 1941، وحين قررت وزارة الخارجية الأمريكية رفع درجة بعثتها الدبلوماسية تجاوزته واحلت محله مساعده وليم ايدي (William Eddy) وزيرا مفوضا في السعودية[4].

على أن ما يمكن استخلاصه من حقائق مستنبطة من مسيرة العلاقات السعودية- الأمريكية ومدى مشاركة فيلبي -موضوع الدراسة- في تطورها، نستطيع القول ان تلك العلاقات كانت تسير بمراحلها الأولى في مجالها السياسي ومحاولات السعودية الحصول على اعتراف الولايات المتحدة بها كدولة ذات شأن في المنطقة، وهو الامر الذي تحقق نتيجة لجهود مسؤولي البلدين بها، فضلا عن دور

1- Derek Hopwood: The Arabian Peninsula Society and Politics, George Allen and Unwin Ltd, London, 1972, p. 232.

2- أصدرت الولايات المتحدة مرسوم أو قانون الاعارة والتأجير في آذار 1941 في عهد الرئيس روزفلت، اتاح لها اعارة أو تأجير اية مواد دفاعية لاية امة يكون امر دفاعها حيويا لامن بلاده. ألن نيفينز، هنري ستيل كوماجر، تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة اميل خليل بيدس، بيروت (د. ت)، ص 349.

3- تيم نيبلوك، المملكة العربية السعودية السلطة والشرعية والاستمرار، ترجمة مركز الخليج للابحاث، دبي، 2006، ص 77.

4- علي عظم محمد عباس الكردي، المصدر السابق، ص 15.

فيلبي في تقريب وجهات نظر الجانبين، وتبع ذلك الانتقال إلى مرحلة اسهام الشركات الأمريكية للتنقيب عن النفط واستخراجه في الأراضي السعودية، وعدم الاعتماد على الشركات البريطانية بهذا الخصوص، وهنا نلحظ جهود فيلبي في دفع الجانب الأمريكي وتشجيعه للاستثمار في السعودية ادراكا منه لوجود ثروات نفطية كبيرة فيها، والعمل بالتالي على توثيق العلاقات الأمريكية- السعودية في مجالها الاقتصادي، وهو ما وثقته صفحات الدراسة من معلومات تاريخية تدعم هذا التطور في علاقات البلدين.

3- الخاتمة:

يمكننا القول بتوصل الدراسة إلى جملة استنتاجات اهمها:

- اولا: ادت الحروب التي خاضها ابن سعود طيلة العقدين الأولين من القرن العشرين إلى تدهور أوضاع البلاد الاقتصادية وشيوع حالة عدم الاستقرار في ربوعها، جراء العمليات العسكرية التي استنزفت الكثير من امكاناتها المعتمدة على عوائد الحج وبعض الموارد الاقتصادية الأخرى، فما ان تم ضم الحجاز إلى نجد عام 1926، فضلا عن حائل، حتى راح ابن سعود يتخذ الخطوات الضرورية لاقامة دولته التي امتدت إلى مناطق جديدة من الجزيرة العربية، وهو ما تطلب حصوله على دعم دولي لتسريع تلك الخطوات والعمل على إنجاحها، ونيل الاعتراف الدولي بمملكة نجد والحجاز وملحقاها، ولا سيما من الدول الكبرى، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية.

- ثانيا: اتضح من البحث انه على الرغم من حالة الاحباط التي واجهت مسعى ابن سعود في الحصول على اعتراف الولايات المتحدة في دولته، لكن محاولاته استمرت معتمدا على وسائل كثيرة، وهنا برز دور فيلبي أحد اولئك الوسطاء الذين اسهموا عبر تحركاهم السياسية وحضور المفاوضات ونقلهم آراء الأطراف المختلفة، وقد واصل فيلبي مساعيه مع قناعته بوجود مصاعب امام عدم اقتناع الولايات المتحدة بهذا الاعتراف لاسباب اوضحتها الدراسة، لكن وساطته استمرت وحققت نتائج ايجابية بهذا الخصوص، وهي مؤشرة بين ثنايا هذه الدراسة.

- ثالثا: تصاعد نشاط فيلبـــي في محاولاته إحـــداث تطـــور في العلاقـــات السعودية- الأمريكية بالمجال الاقتصادي لقناعته بوجود مصلحة مشـــتركة تجمـــع الجانبين على توثيق صلاتهما، على اثر اكتشاف النفط في الاحساء، فالمملكة بحاجة إلى اموال لتوفير مستلزمات اقامة دولتها الحديثة، فيما كانت الشـــركات النفطيـــة الأمريكية تستعجل الخطى لوضع اقدامها في الأراضي الســـعودية، مـــع وجـــود الشركات البريطانية المنافسة لها، وقد اوضحت صفحات البحث الجهود التي بذلها فيلبـــي في تجاوز العراقيل التي وقفت امام عمليات استثمار النفط، ونجاحه بالتـــالي في تحقيق ذلك، من خلال حصوله على ثقة الجانب السعودي، وتعويل الشـــركات الأمريكية على وساطته، التي اثمرت بعقد الاتفاق عام 1933 بين الحكومة السعودية وشركة ستاندر اويل اوف كاليفورنيا.

4- المصادر:

- الرسائل الجامعية:

- سمية أمين ياسين، تكوين المملكة العربية الســـعودية 1918-1932، رســـالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1988.
- علي عظم محمد عباس الكردي، العلاقات السعودية- الأمريكيـــة 1945-1953، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1997.

- الكتب العربية والمعربة:

- الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث 1789-1945، جـــ2، ترجمة ســـوســـن فيصل السامر ويوسف محمد امين، بغداد، 1992.
- آلان نيفينيز، هنري ستيل كوماجر، تاريخ الولايات المتحدة، ترجمـــة اميـــل خليل بيدس، بيروت، (د.ت).
- تيم نيبلوك، المملكة العربية السعودية السلطة والشرعية والاستمرار، ترجمـــة مركز الخليج للابحاث، دبـــي، 2006.
- جان جاك بيربـــي، الخليج العربـــي، تعريب نجدة هاجر، سعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1959.

- جبران شامية، آل سعود ماضيهم وحاضرهم، رياض الـريس ومشـاركوه المحدودة، لندن، 1986.
- جمال زكريا قاسم، الخليج العربـي دراسـة لتـاريخ الامـارات العربيـة 1914-1945، ط1، دار الفكر العربـي للطباعـة والنشـر، القـاهرة، 1973.
- جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العـالم، نقلـه إلى العربيـة لجنـة مـن الاساتذة الجامعيين، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشـر، بـيروت، 1957.
- خليل علي مراد، تطور السياسة الأمريكية في الخليج العربـي 1941-1947، جامعة بغداد، 1979-1980.
- سمير عطا الله، قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية (1762-1950)، مكتبة العبيكان، الرياض، 2009.
- طالب محمد وهيم، التنافس البريطـاني- الأمريكـي علـى نفـط الخلـيج العربـي وموقف العـرب في الخلـيج منـه 1928-1939. وزارة الثقافـة والاعلام، 1982.
- عبد الفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبـد العزيـز، دار المريخ للنشر، 1981.
- محمد عبد الله ماضي، النهضات الحديثة في جزيرة العرب - في المملكة العربية السعودية - القاهرة، 1952.
- محمد لبيب شقير وصاحب ذهب، امتيازات وعقود البترول في البلاد العربية، جـ1، القاهرة، 1969.
- المملكة العربية السعودية بين الحربين العالميتين السلطة والمـتغيرات السياسـية والاقتصادية في ضوء تقارير المفوضية العراقية في جدة، تحقيق عمـاد عبـد السلام رؤوف، ط1، دار دجلة، 2008.
- نوري عبد الحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيـازات الـنفط في العـراق 1925-1952، مركز الابجدية، بغداد، 1980.

- الكتب الأجنبية:

- Benjamin Shwodran; The Middle East Oil and The Great Powers, New York, 1973.
- David Howarth; the Desert king, Alife of the Ibn saud, London, 1964.
- Derek Hopwood; The Arabian peninsula Society and politics, George Allen and Unwin Ltd, Lonson, 1972.
- Elizabeth Monroe; Phipy Arabian first published, Batleo and Tanner, 1973.
- John Marlow; The (Persian) Gulf in the 20th century, London, 1962.
- John Philpy, Arabian Oil ventures, Washington, 1964.
- Thomas. Bryson; American Diplomatic Relation with the Middle East 1784-1975, U.S.A., 1977.

البحوث المنشورة:

- تركي بن محمد بن سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود1902-1925، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة، الرياض، 1986.
- صبري فالح الحمدي، فؤاد حمزة والسياسة الخارجية السعودية (1926-1949)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 2010.
- عبد الفتاح حسن أبو عليه، رسالة من تشارلز كرين إلى الرئيس روزفلت يصف فيها الملك عبد العزيز، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية، دار الملك عبد العزيز، الرياض، أيار 1977.
- نجاة عبد القادر الجاسم، التمثيل الدبلوماسي والقنصلي في المملكة العربية السعودية 1936-1944، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد 39، السنة العاشرة، 1984.



الفصل الخامس

رحلات فيلبي في الجزيرة العربية وملامح شخصيته وآراءه بقيام الدولة السعودية ومغادرته البلاد وأبرز مؤلفاته (1917-1956)

1- التمهيد

2- رحلات فيلبي الاستكشافية في الجزيرة العربية

3- ملامح شخصيته والاستشهادات التاريخية بشأنه

4- آراءه بقيام الدولة السعودية وعلاقته بملكها

5- مغادرة فيلبي المملكة العربية السعودية عام 1955

6- مؤلفات فيلبي

7- الخاتمة

8- المصادر



1- التمهيد:

بدءاً علينا الإشارة إلى تنوع محتويات هذا الفصل على قلة المعلومات التي احتواها بسبب النصوص التاريخية المعين الأساس للمؤرخ لكي يدون الأحداث ويعمل على تحليلها واستنباط النتائج منها، على الرغم من تعدد أنشطة فيلبي وانغماسه في رحلات استكشافية عبر صحراء الجزيرة العربية، مع محاولة الباحث قدر تمكنه من اخذ المعلومة التي تتوافق مع افكار فيلبي فيما طرحه من آراء بشأن قيام الدولة السعودية وتطورها، فضلا عن التقصي في اسباب مغادرته السعودية، والتطرق أخيرا إلى أبرز مؤلفاته المترجمة إلى اللغة العربية، أو باللغة الإنكليزية.

سيجد القارئ الكريم في هذه الصفحات سردا موجزا لرحلات فيلبي الاستكشافية، التي لقي دعما ومساندة من السلطات السعودية، وكيف ان فيلبي استطاع مع الفريق المصاحب له ان يجتاز الربع الخالي، ويدون ملاحظاته عن تضاريس المنطقة ومناخها ونباتها وأمور كثيرة، بامكان الباحثين ان يتناولوا دراستها بشكل اكاديمي، ويمعنوا في ما اورده من معلومات قيمة عن تلك المناطق، التي هي بحاجة إلى بحوث علمية لتسلط الضوء عليها، وبالامكان الحصول على وافر المعلومات بشأنها من مؤلفاته نفسها.

وكان على الباحث ان يتصدى بالاطلاع على آراء فيلبي بنشوء الدولة السعودية وتفسيره لمراحل تطورها، بوصفه من المقربين لابن سعود، وقد وجدت صعوبات بالحصول على تلك الطروحات، بسبب قلة النصوص المتعلقة بها، لكني على يقين بقدرة الباحثين والمؤرخين الحصول على أمور جديدة تكشف لنا عن توجهات هذا الرجل وطموحاته بالرجوع إلى مصادر أخرى، ربما تصل إلى بلورة مواقف جديدة عن طبيعة سياسته وتعامله إزاء أوضاع المنطقة، بوصفه ممثلا لحكومة بريطانيا، أو عبر عمله منفردا في أنشطة أخرى.

وتظل دراستنا بحاجة إلى تتبع ومعرفة الاسباب التي ادت إلى مغادرة فيلبي السعودية، بعد سنوات جاوزت الخمس والثلاثين قضاها في ارجاء المملكة مندوبا

رسميا عن بريطانيا، أو وسيطا عن ابن سعود لدى امراء وشيوخ الجزيرة العربيـــة، ومن خلال ممارسته العمل التجاري، ومثابرته في مجال استثمار النفط السـعودي، وتحركاته لدى الشركات الأمريكية والبريطانية التي تروم القيام بعمليات استخراج النفط وتصديره من الأراضي السعودية إلى بلدان العالم، ومع ذلك فلعل المســتقبل القريب ما يخبرنا عن تفاصيل جديدة عن هذه الحادثة وغيرها المتصلة بمدى مساهمة فيلبـــي في أوضاع السعودية الداخلية وشؤونها الخارجية.

2- رحلات فيلبي الاستكشافية في الجزيرة العربية:

كانت الرحلة الأولى التي قام بها فيلبـــي ابان الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عام 1917 اول رحلة استكشافية بحد ذاتها، على الرغم من طابعها الرسمي موفـــدا من قبل الحكومة البريطانية، ومنذ ذلك التاريخ بدأ اهتمامه بالرحلات الاستكشافية التي ضمت دراساته عنها عددا من الكتب القيمة التي ألفها، وتبع ذلــك رحلتــه المشهورة بدعم من ابن سعود إلى الربع الخالي، على الرغم من ان فيلبـــي كان ثاني أوربـــي يجتاز الجزيرة العربية من الخليج العربـــي إلى البحر الاحمر، وثاني أوربـــي يجتاز الربع الخالي، ويعد اول من رسم خريطة هذا الربع وقد تمكن من التجـــول في جميع المناطق الواقعة إلى الجنوب من الرياض باتجاه وادي الدواسر، وحدود الربـــع الخالي، ووصوله إلى حدود الاحساء. ومعلوم ان منطقة الربع الخالي وهي منطقـــة شاسعة من الرمال، ظلت مجهولة إلى أن اجتازها البريطاني برترام تومـــاس (وزيـــر سلطان مسقط سعيد بن تيمور 1931-1939) كما توغل فيها فيلبـــي من الشمال إلى الجنوب بداية عام 1932 والمياه في الربع الخـــالي معدومـــة، حـــتى ان قرابـــة الـــ (400) ميلا التي قطعها فيلبـــي كانت معدومة المياه، ويتحدث فيلبـــي بنفسه عن رحلته هذه بقوله: "وفي السابع من كانون الثاني 1932 بدأت الرحلة العظيمـــة باتجاه سلوة الواقعة على الخليج العربـــي، ووصلت إلى آثار قلعة المرير التي اتضـــح انها صخور بركانية وليست بالقلاع، كما كان شائعا حينذاك وانه قطـــع مســـافة اربعمائة ميل"[1].

1- عبد الكريم محمود غرايبه، مقدمة تاريخ العرب الحديث 1500-1918، جـــ1، مطبعـــة جامعة دمشق، 1960، ص 295، خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، ص 280-281.

من جانب آخر لبى فيلبـــي رغبة ملك البلاد العربية السعودية بان يذهب إلى الجنوب ليرسم له خرائط الحدود الجديدة بين السعودية واليمن، وبدأت الرحلة في شهر أيار 1936، التي قطع فيها أراضي صحراوية واسعة اتسعت مساحتها إلى نحو من ربع مليون ميل مربع، حين زار اها عاصمة عسير ووادي نجران، وانتقل بعـــد ذلك إلى حضرموت والشحر والمكلا على ساحل المحيط الهندي، بعدها مر بطريـــق العودة بآثار مأرب، ثم انتقل إلى ميدي في الطريق إلى جدة[1].

وذكرت المصادر البريطانية ان رحلات فيلبـــي إلى مناطق الجزيـــرة العربيـــة كانت لها نتائج ايجابية من الناحية الاقتصادية للسعودية برزت لاحقا، فقـــد افـــاد برحلاته تلك والمعلومات التي ضمنها في مؤلفاته منقبوا النفط، عن طريق الخـــرائط التي رسمها عن تلك المناطق وتضاريسها وطبيعة أرضها، وهو الامر الـــذي تجلـــى واضحا بعد بدء عمليات التنقيب عن النفط في السعودية عام 1934، فسهل بذلك عمليات استثمار النفط السعودي من الشركات الأمريكية والبريطانية في حقـــول الاحساء وغيرها من المناطق[2].

3- ملامح شخصيته والاستشهادات التاريخية بشأنه:

لا بد لنا من ذكر بعض الآراء التي قيلت عن شخصية فيلبـــي واثره بـــالتطورات السياسية التي شهدتها الجزيرة العربية، عبر قرابة الست والثلاثين عاما التي امضـــاها في تلك المنطقة المكتظة بالأحداث وتطورات سياسية وعسكرية واقتصادية، استعرضـــت الدراسة بعضا منها- بقدر صلتها البحث- إذ وصف أمين الريحاني فيلبـــي بأنه أبـــرز الأسماء التي عملت في السعودية، وسبق ان عمل وسيطا بين الهاشميين في الحجاز وابـــن سعود في نجد، وقد اتجه اتجاها معاديا للهاشميين ابان عمله كمستشار لوزارة الداخليـــة العراقية وكوكيل معتمد بريطاني في عمان، لكنه مع ذلك وقف مع الأمـــير عبـــد الله مواقف جيدة، وايد بيعة الحسين بن علي بالخلافة عام 1924، وبعد ذلك انضم إلى ابن سعود واعتنق الاسلام عام 1930 واقام في الرياض[3].

1- لمزيد من التفاصيل عن الرحلة ينظر: خيري حماد، عبد الله فيلبـــي، ص 283-284.
2- نجدة فتحي صفوة، المصدر السابق، المجلد الرابع، 1919، ص 89.
3- أمين الريحاني، المصدر السابق، ص 291.

من جانب آخر وصف نشاط فيلبي بوصفه ممثلا للحكومة البريطانية ومصالحها المتنامية في الخليج العربي، بكونه خليفة (شكسبير) -الذي عرف بعلاقته الوثيقة مع ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، حتى انه قتل في معركة جراب عام 1915 وهو يحارب بين صفوف قوات ابن سعود ضد منافسيهم وخصومهم من قوات ابن الرشيد أمير حائل- لتمثيل بريطانيا لدى البلاط السعودي، بينما اختصر دور فيلبي في غالب الاحيان على محاولة التهدئة وإقناع ابن سعود عدم اللجوء إلى الحرب، وبالتالي الاصطدام بخطط لورنس[1] ومشاريعه في المشرق العربي، أي انه اعتمد الاسلوب السياسي في التعامل مع التطورات المتلاحقة التي شهدتها الجزيرة العربية في خضم اشتداد النزاع بين امراء المنطقة لغرض سيطرتهم على المنطقة[2].

واذا أردنا معرفة منهجية البحث التأريخي التي اتبعها فيلبي عند تدوينه لمجريات الأحداث، يمكننا القول باعتماده في غالب الاحيان على تحليل وتفسير ابن سعود نفسه للوقائع التأريخية، إلى حد يؤيد فيه السياسات السعودية بصراحة، مع ذلك فإن الموضوعية تبقى مطلوبة عند قراءة كتابات فيلبي عن تأريخ المملكة في سنوات النصف الأول من القرن العشرين[3].

ومن الضروري ان نعرج على ما يذكره فيلبي عن نفسه، ولنستمع إليه ينقل لنا ملامح شخصيته ونشاطه السياسي في الأردن والسعودية على النحو الآتي: "انا رجل ناجح، اخرجت للدنيا خمسة عشر مؤلفا، انا اول إنسان قابل فيصل الأول (ملك العراق 1921-1933)، وثاني مستشار للأمير عبد الله (أمير الأردن

1- برز اسم لورنس في إحداث الثورة العربية ضد الدولة العثمانية التي قادها الشريف الحسين بن علي عام 1916، ممثلا عن الحكومة البريطانية، ويرى فيلبي ان نفوذ لورنس أدى إلى قبول البريطانيين بامارة عبد الله بن الحسين في شرق الأردن، وتشير المصادر التاريخية إلى تباين آراء فيلبي مع لورنس بشأن طبيعة السياسة البريطانية ووسائلها في الجزيرة العربية (الحجاز ونجد) حتى عد لورنس منافسا لفيلبي على مسرح السياسة العربية. خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 307-310؛ انتوني ناتنغ، لويل ثوماس، المصدر السابق، ص 7-9.

2- معد صابر رجب، دور عبد العزيز آل سعود في توحيد الجزيرة العربية وبناء الدولة الحديثة 1902-1953، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1990، ص 68.

3- يعقوب كولدبرك، المصدر السابق، ص 124.

1920-1951) بعد لورنس، ورابع مستشار لعبد العزيز آل سعود، انـا بريطـاني ومازلت مسلما على سنة الله ورسوله، انا اب لولد وثلاث بنات من زوجتي البريطانية، واب لولدين من زوجتي الإيرانية التي اختارها لي المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود[1].

4- آراءه بقيام الدولة السعودية وعلاقته بملكها:

ولعل من المفيد ان نطلع على تفسير فيلبي لظروف نشوء الدولة السعودية وتطورها في مراحلها المتقدمة عبر قرابة الثلاثة قرون من الزمن، إذ يقول: "ان الدولة السعودية الأولى التي انتهت بتدمير الدرعية على يد القوات المصرية عام 1818، قامت على أساس الحماس الديني، تلاها عهد الامامين تركي وفيصل، الذي قام على أساس التفاهم السياسي مع المصريين والعثمانيين، اما بناء الدولة الثالثة (عهد الإمام عبد العزيز) فقد عاد آل سعود إلى استخدام الدافع الديني كما جرى في الدولة الأولى"[2].

ويمكننا تلمس نشاط فيلبي السياسي بعد انتهاء وظيفته كممثل للحكومة البريطانية وانتقاله للعمل في السعودية بصفة تاجر أو وسيط للتجارة، أو عبر نشاطه السياسي مع الدولة السعودية بوصفه أحد الاشخاص الذين يذكرهم المؤرخون وهم يتناولون تأريخ الجزيرة العربية، والإشارة إلى مؤسساتها الادارية والدبلوماسية، فيشيرون الى: "وجود الشعبة السياسية، فضلا عن الديوان الملكي بشعبتيه الداخلية والخارجية، ووجدت الشعبة السياسية المؤلفة من رجال بارزين من بلدان عربية مختلفة، عددهم نحو ثمانية رجال كان منهم: المستشار حافظ وهبة من مصر، وخالد الحكيم من سوريا، ويوسف ياسين من سوريا ايضا، وفؤاد حمزة من لبنان، وهو السكرتير الأول لوزير الخارجية الأمير فيصل، وعبد الله فيلبي (الإنكليزي الاصل) واخو الملك الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، والشيخ عبد الله السليمان الذي تولى عمليا وزارة المالية إلى ما بعد وفاة عبد العزيز"[3].

1- نقلا عن: ناصر الدين النشاشيبي، المصدر السابق، ص 160.
2- جبران شامية، المصدر السابق، ص 154.
3- المصدر نفسه، ص 141.

وعلينا ان نشير إلى تمكن فيلبي ان يصبح صديقا لابن سعود بعد ان نال ثقته واعتنق الاسلام عن طواعية عام 1930 وصار اسمه عبد الله، متخذا من السعودية موطنا له وأصبح من مستشاريه- إذا صح التعبير[1]- وفي محاضرة له ألقاها في جمعية آسيا الوسطى في لندن عام 1929 تحدث فيلبي عن شخصية ابن سعود، ومدى اهتمامه بشؤون الرعية، ومما قاله ذات الصلة بموضوع الدراسة: "ان جلالة الملك ابن سعود حاكم مثقف...، وهو يعتمد في حكومته على تأييد الشعب وحماسته، وقد خيل إليه ان هناك من يمنع الاتصال به، فقرر وضع صندوق للشكايات احتفظ بمفتاحه يفتحه بنفسه يوميا ليطلع على مظالم رعاياه"[2].

اما أمين المميز[3] الوزير المفوض للعراق في السعودية والذي كان معاصرا لتلك التطورات فقد إلتقى فيلبي، وبهذا الخصوص ينقل الينا ما اورده الأخير من معلومات عن ابن سعود ومدى الرعاية التي تلقاها من الأخير طيلة اقامته في السعودية، فضلا عن مدح فيلبي للذهنية العراقية في الاداء والحكم ووصفها بانها خير ما وجد في الاقطار العربية، وفيما يأتي نص قوله عن ابن سعود المتعلق بموضوع البحث: "انه كان حقا رجلا عظيما وكان يرعاه ويعطف عليه كثيرا وذكر انه ما زال يتمتع بالامتيازات التي كان يتمتع بها في عهد الملك الراحل فالحكومة السعودية تدفع ايجار الدار التي يسكنها وتدفع له ولعائلته (زوجته الاعرابية وولديه خالد وفارس) مخصصات المعيشة وتعفيه من ضريبة الدخل وان سيارته لا تخضع للتسجيل ومعفاة من الرسوم"[4].

ولا بد لنا من ايراد آراء فيلبي في الدولة السعودية وتطورها التي عاش اطول فترة من حياته في ربوعها، ان لم نقل نصف حياته فيها، مرافقا ملكها، وحاضرا مجالسها، وجائلا في بواديها وقفارها، إذ كان يؤمن منذ بدا اتصاله بدنيا العرب،

1- جان جاك بيربي، المصدر السابق، ص 140.
2- عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، مطبعة المعارف، بغداد، 1954، ص 412.
3- من الشخصيات السياسية العراقية المعروفة، عمل وزيرا مفوضا للعراق في جدة في عقد الخمسينيات من القرن العشرين، ألف كتابا عن السعودية عنوانه (المملكة العربية السعودية كما عرفتها، بيروت، 1963).
4- أمين المميز، المصدر السابق، ص 279.

بقيام امبراطورية في الوطن العربي، تخلف الحكم العثماني وتسيطر عليه، وكان يؤمن بقدرة ابن سعود على تحقيق ذلك، وقد عبر فيلبي عن مشاعره هذه في السطور الآتية كما وردت على لسانه: "لقد عرفت ابن سعود ستة وثلاثين عاما، هي نصف حياة هذا الملك العظيم، وكنت طيلة الثلاثة والعشرين عاما الأخيرة منها على اتصال دائم به، لا انقطع عن مرافقته، متمتعا بعطفه وصداقته، رغم الاجواء المسمومة التي كانت تحيط بنا، من كل جانب، لقد كنت ارى فيه وحدة الفنار والمشعل المضيء الذي يحمل الأمل لبلاده، بعظمته وثباته واستقرار رأيه وصموده للحدثان وبساطته في حياته الشخصية والعامة، وتقواه وطاعته لله وخوفه منه، وكرمه الذي لا حد له"[1].

يمكننا القول في ضوء استعراض ما احتوته الصفحات السابقة من معلومات بالقول ان نشاط فيلبي السياسي في الجزيرة العربية في ظل اشتداد النزاع بين أمير نجد وشريف الحجاز، لم يكن بمعزل عن مخططات السياسة البريطانية وأهدافها في المنطقة، هذا من جهة، ويلاحظ ميل فيلبي إلى اعتماد الوسائل السلمية وانهاء النزاع بشكل ودي ودون اراقة للدماء من الجانبين، وهو الامر الذي جعله يؤدي دور الوسيط بين ابن سعود والحسين بن علي، للحيلولة دون دخول قوات الأول مكة المكرمة عام 1924، عن طريق العمليات العسكرية، الذي اوضحنا مجريات وقائعه، ومدى الدور الذي اداه فيلبي منفردا، أو مع اشخاص آخرين في مهمة اعتماد طريق المفاوضات بدل اللجوء إلى الحرب.

5- مغادرة فيلبي المملكة العربية السعودية عام 1955:

ولا بد لنا ونحن نختم دراستنا عن فيلبي والتطورات الداخلية في السعودية وعلاقاتها الخارجية، بالإشارة إلى استمرار علاقته الطيبة بالحكومة السعودية، وقد تميزت احاديث فيلبي عن الجزيرة العربية ومكانة السعودية الإقليمية والدولية بالإشارة إلى دور الاسرة السعودية في بقاء المملكة والجهود السياسية والعسكرية التي بذلها ابن سعود (1902-1953) في تدعيم مرتكزاتها في شتى المجالات، واستمر على ذلك المنوال حتى أواخر سنوات حكم ابن سعود، واستشهدت أحد المصادر

1- نقلا عن: خيري حماد، عبد الله فيلبي، ص 293-294.

التأريخية إلى قول نسب إلى فيلبـي بشأن ذلك عام 1953 في السطور الآتيـة: "ان هذه المملكة كبلد اسلامي عربـي بارز على المسرح الدولي لا تمكنها سياسـتها الخارجية إلا أن تتجاذب وتحتل مركز الصدارة بين الدول التي تجاورها"[1].

الا ان التطورات التي حصلت في اعقاب ذلك والانتقـادات الـتي وجههـا فيلبـي إلى الدولة السعودية المطالبة بادخال اصلاحات سياسية واقتصادية ونشـر ذلك علنا بشكل محاضرات ألقيت، أو مقالات نشرت في مجلات عالمية، اثار استياء الاوساط الرسمية السعودية، وهي ترى في ذلك تدخلا في شؤون البلاد الداخليـة، ودفعتها إلى الطلب من فيلبـي مغادرة السعودية، وتفصيل ما جرى، ان الأخـير ألقى في شباط 1955 بوصفه ضيفا على شركة (ارامكو) النفطيـة سلسـلة مـن المحاضرات، نوقشت فيها المعضلات السياسية والاقتصادية الـتي كانـت تواجـه السعودية بحرية في التعبير، تبررها دون ريب سعة الخدمات التي قدمها إلى الاسـرة الحاكمة، ثم ساء الموقف اكثر حين نشر فيلبـي قسم من هذه المحاضرات في مجلـة الشؤون الخارجية الصادرة في لندن، ولم يطل رد الفعل السعودي إزاء ذلـك، إذ طلب من فيلبـي استدراك ما كتبه وتحويل كتاباته إلى المراقبة أو ترك البلاد، ممـا أدى بمغادرته الرياض في 15 نيسان 1955[2].

وفي مساء يوم 14 أيار 1956 اذاع راديو مكة المكرمة الرد التالي على ما نقلته اذاعة بغداد ذات الصلة بالموضوع نفسه وعلى النحو الآتي: "اذاعت بغـداد عـن وصول المستر فيلبـي إلى بيروت، بعد ان صدر امر بابعاده عن المملكـة العربيـة السعودية، كما اذاعت تصريحات نسبت للمذكور قال فيها ان سبب ابعاده هـو استياء بعض الجهات المتنفذة من الانتقادات التي كان يوجهها على سياسة البـذخ والاسراف ووشاية بعض ذوي النفوذ عند الملك وذلك مما حمل الملك على ابعـاده من البلاد، وان فيلبـي كان يناشد المسؤولين في المملكة العربية السعودية ادخـال اصلاحات واسعة النطاق في البلاد، وان اذاعة المملكة تأسف ان تقوم بغداد باذاعة هذه الاخبار الملفقة عن فيلبـي إذ كانت صدرت عنه"[3].

1- جان جاك بيربـي، المصدر السابق، ص 105.
2- بنوا ميشان، المصدر السابق، ص 627.
3- أمين المميز، المصدر السابق، ص 349.

الا ان قرارا قد صدر من الملك سعود بن عبد العزيز (1953-1964) في 30 آيار 1955 بالغاء امر النفي لفيلبي، الذي عاد إلى منزله في الرياض، وكرس ما بقي من سنوات حياته الأخيرة لكتابة مذكراته، وقد توفي في بيروت في الأول من تشرين الأول 1960، عن عمر ناهز الخامسة والسبعين سنة، بعد عودته من رحلة إلى أوربا، في مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت، وشيعت جنازته باشتراك ولده وزوجته واربعة حمالين نقلوا النعش إلى مثواه الأخير ودفن في مقبرة الباشورة ولازال قبره قائما حتى الآن[1].

وعلى كل حال فقد اسهمت عوامل عدة في خروج فيلبي من المملكة العربية السعودية، وسلط البحث الضوء على بعضها. وعلى ما يبدو فإن فيلبي لم يكن موفقا في ايصال ما كان يريده من آراء إلى السلطات السعودية، وربما لتأخذ أو لتدرس تلك الافكار إذا كانت تصب في مصلحة البلاد، فضلا عن وجود منافسين أو آخرين راصدين لتحركاته، وهؤلاء راحوا ينتهزون الفرصة للايقاع به، وهو الامر الذي أشار إليه فيلبي في اكثر من مناسبة، وعلى العموم فقد كان على الرجل البريطاني الذي خطيّ بمكانة طيبة في السعودية -عبر ما وثقته دراستنا المتواضعة هذه من معلومات بشأن نشاطه السياسي والتجاري، ان يعي ما يقول، ويدرك معنى كل كلمة ينطق بها في ظل أوضاع البلاد السعودية الداخلية وعلاقاتها الخارجية.

6- مؤلفات فيلبي:

1- الكتب المترجمة إلى اللغة العربية:

- هـ. سنت جون فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الاهلية، بيروت، (د.ت).
- ________، أيام فيلبي في العراق، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، 1950.
- ________، أرض مدين، ترجمة عمر الديراوي، بيروت، 1965.

1- ناصر الدين النشاشيبي، المصدر السابق، ص 165؛ بنوا ميشان، المصدر السابق، ص 631.

2- الكتب باللغة الإنكليزية:

- The heart of Arabia; a record of travel & exploration (London Constable) 1922.
- Arabia of the Wahhabis.(London; Constable) 1928.
- Arabia (London; Ernest Benn) 1930.
- The empty quarter; being a description of the great south desert of Arabia Known as Rub al Khali (London: Conatable & Company Ltd) 1933 Harun al Rashid (London: P. Davies) 1933.
- Routes in south-west Arabia [map]: from surveys made in 1936 (Methuen & Co Ltd) 1936.
- Sheba's daughters: being a record of travels in southern Arabia (London: Methuen & Co Ltd) 1939.
- A Pilgrim in Arabia (London: The Golden Cockerel Press), [1943.[

  The Background of Islam: being a sketh of Arabia History in preIslamic times (Alexandra: Whitehead Morris) 1947.
- Arabian Days, an autobiobraphy (London: R. Hale) 1948.
- Arabin Highlands (Ithaca, N.Y: Cornell University Press) 1952.
- Arabian Jubilee (London: Hale) [1952.[
- Sa'udi Arabia (London) 1955, New impression: Librairi du Liban, Beirut, 1968.
- Forty Years in the Wilderness (London: R. Hale) 1957.

  Arabian oil Ventures (Washington: Middle East Institute) 1964.

7- الخاتمة:

يمكننا القول بالتوصل إلى نتائج بهذه الدراسة اهمها:

اولا: استطاع فيلبي وبدعم من الاسرة السعودية ان يقوم برحلات استكشافية في بلاد الجزيرة العربية، ابتدأها من عام 1917، حينما وصل المملكة موفدا من الحكومة البريطانية للتباحث مع عاهلها بشأن قضايا كثيرة، اضفى عليها الطابع السياسي، مرورا بنجاحه في اجتياز الربع الخالي عام 1932 المنطقة المقفرة والصحراوية، قاطعا مسافة قرابة الـ (400) ميلا. مدونا ملاحظاته حول طبيعة

الأرض ونباتها، والمعالم الاثرية والجغرافية فيها، مما عد ذلك مصدرا مهما لدراسة تلك المنطقة من نواحي عدة، وانتهاءً برحلته عام 1936 التي اوصلته إلى مناطق نائية على الحدود السعودية- اليمنية، مقدما للسلطات السعودية خرائط على درجة من الدقة للإفادة منها لترسيم الحدود بين البلدين.

ثانيا: اتضح من صفحات البحث مدى اسهام فيلبي في أوضاع الجزيرة العربية السياسية، من خلال دوره موفدا من الحكومة البريطانية لاشاعة اجواء الاستقرار في المنطقة، ولا سيما العمل على تهدئة العلاقات المتوترة بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة، ومملكة الحجاز من جهة أخرى، التي تحولت إلى نزاع عسكري، كان لفيلبي مشاركة منفردا في احيان أو ضمن جماعة في احيان أخرى، وعلى ما يبدو فإن فيلبي كان تواقا إلى أن يرى وجود دولة واحدة تتولى شؤون بلاد الجزيرة العربية متمثلة بالدولة السعودية، حتى يمكن الانصراف إلى بناء مرتكزاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد اشر البحث بعض استشهادات المؤرخين والشخصيات العربية التي عملت مع فيلبي بهذا المجال، مع بيان حقيقة وجود علاقة طيبة جمعت بين الأخير وابن سعود تضمنتها صفحات الدراسة التي استمرت إلى منتصف عقد الخمسينيات من القرن العشرين.

ثالثا: ومع الاقرار بكل تلك الأمور، يلاحظ حدوث افتراق بين فيلبي والحكومة السعودية، لا سيما بعد التطورات التي حصلت في البلاد الداعية إلى ادخال اصطلاحات في شتى مجالات الحياة، عبر عنها فيلبي نفسه بصراحة بشكل محاضرات ألقاها، أو مقالات نشرت في مجلات عالمية، مما كان سببا مباشرا، فضلا عن عوامل أخرى يمكن ملاحظتها ورصدها من احاديث فيلبي نفسه، في اتخاذ السلطات السعودية قرارا بتركه البلاد، لعدم التزامه بتعليماتها الخاصة بمراقبة والاطلاع على ما ينشر في الصحف والمجلات، وبذلك اسدل الستار على هذه الشخصية البريطانية التي كان لها نصيب في تاريخ الجزيرة العربية عامة والمملكة العربية السعودية بخاصة.

رابعا- يعد فيلبي رحالة والعالم الجغرافي الذي زود المكتبة الإنسانية بانفس المراجع عن الجزيرة العربية في حاضرها الجغرافي والحياتي والعلمي، وعلى الجهات الرسمية السعودية ان تستفيد من الملاحظات والمعلومات التي ذكرها فيلبي عن

مناطق الجزيرة العربية بأثناء رحلاته تلك، لاحتواءها على معلومات جغرافية وأمور حياتية عن تلك المناطق وتعمل على مقارنتها بواقع السعودية بالجوانب المـذكورة، للإفادة من تلك المعلومات في اجراء دراسات علمية والمقارنة بينها.

8- المصادر:

- الوثائق البريطانية المنشورة:

- نجدة فتحي صفوة، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، المجلد الرابـع 1919، ط2، دار الساقي، بيروت، 2010.

-الرسائل الجامعية:

- معد صابر رجب، دور عبد العزيز آل سعود في توحيد الجزيرة العربية وبنـاء الدولة الحديثة 1902-1953، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحـوث والدراسات العربية، 1990.

- الكتب العربية والمعربة:

- انتوني ناتنغ، لويل ثوماس، لورانس لغز الجزيرة العربية، تقـديم د. الحسـيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربـي، القاهرة، 2010.
- أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، بيروت، 1928.
- أمين المميز، المملكة العربية السعودية كما عرفتها، بيروت، 1963.
- بنوا ميشان، ابن سعود ولادة مملكة، تعريب رمضان لاوند، دار اسود للنشر، بيروت، 1976.
- جان جاك بيربـي، الخليج العربـي، تعريب نجدة هاجر، سعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 1959.
- جبران شامية، آل سعود في ماضيهم وحاضرهم، ريـاض الـريس، لنـدن، 1986.
- خيري حماد، عبد الله فيلبـي قطعة من تاريخ العـرب الحـديث، المكتـب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1961.

- عبد الكريم محمود غرايبه، مقدمة تـــاريخ العــرب الحــديث 1500-1918، جـــ1، مطبعة جامعة دمشق، 1960.
- عبد المنعم الغلامي، الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيـــز آل ســـعود، مطبعة المعارف، بغداد، 1954.
- ناصر الدين النشاشيبـــي، ماذا جرى في الشرق الاوسط، ط5، دار الحكمة، لندن، 2002.

- البحوث المنشورة:

- يعقوب كولدبرك، فيلبـــي كمرجع في تاريخ المملكة العربيـــة الســـعودية في بداية القرن العشرين، تعريب جهاد صالح العمر، مجلة الخليج العربـــي، مركز دراسات الخليج العربـــي بجامعة البصرة، العدد4، المجلد العشرون، 1988.

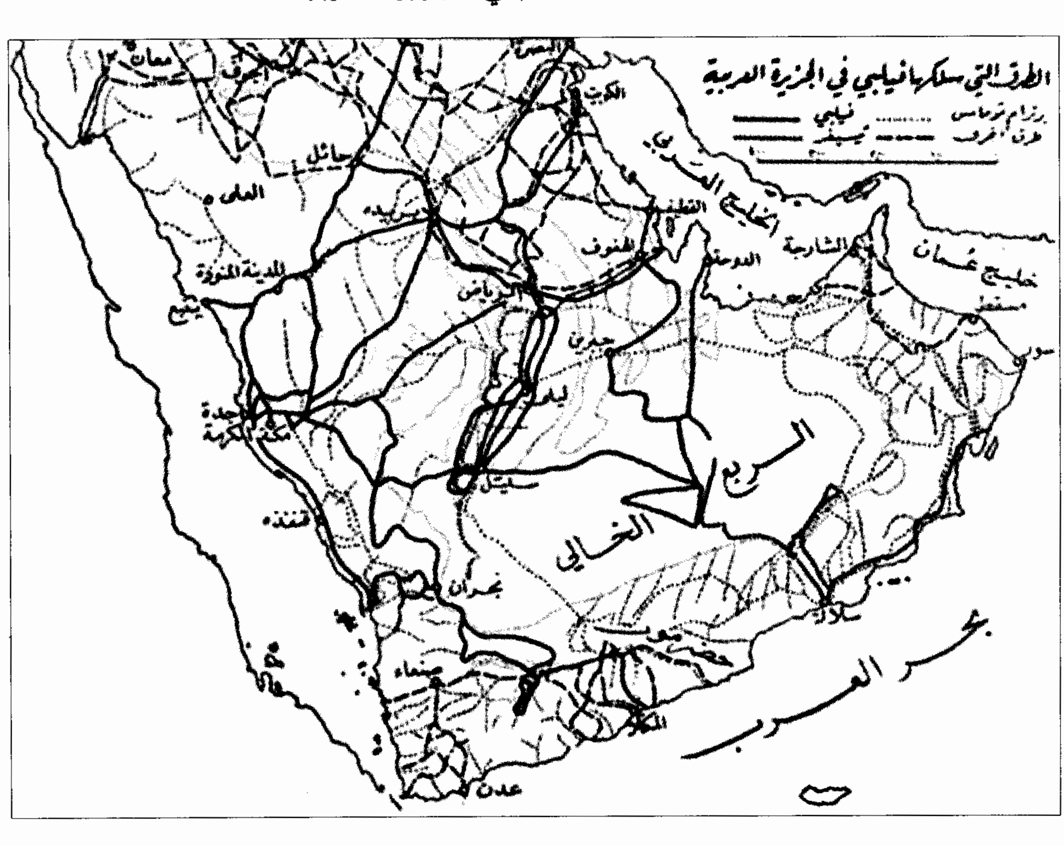


الملاحق



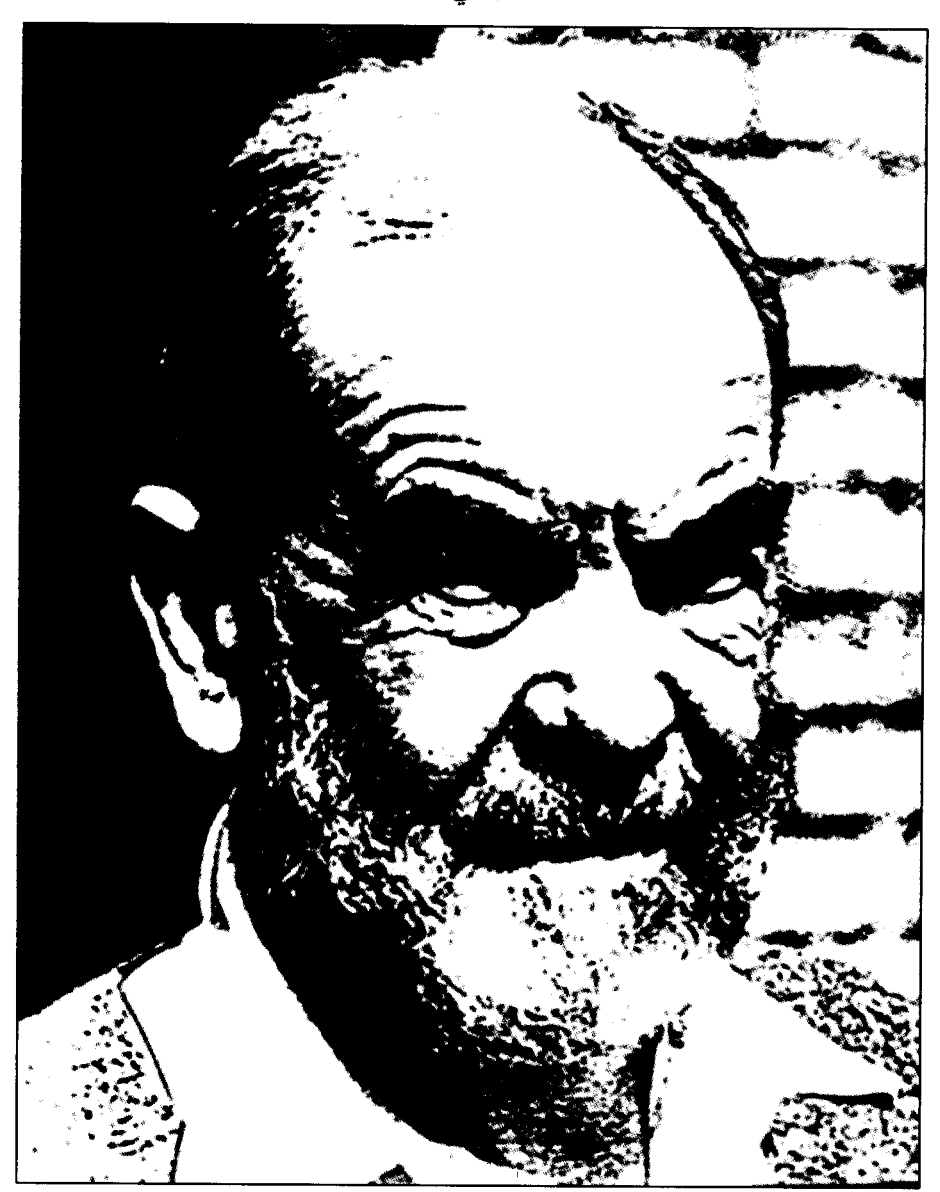
ملحق رقم (1)

خريطة تبين الطرق التي سلكها فيلبي وغيره
من الرحالين الأجانب في الجزيرة العربية



ملحق رقم (2)

فيلبي



ملحق رقم (3)

فيلبي وهو يدون ملاحظاته



ملحق رقم (4)

فيلبي بالملابس العربية بعد اعتناقه الإسلام



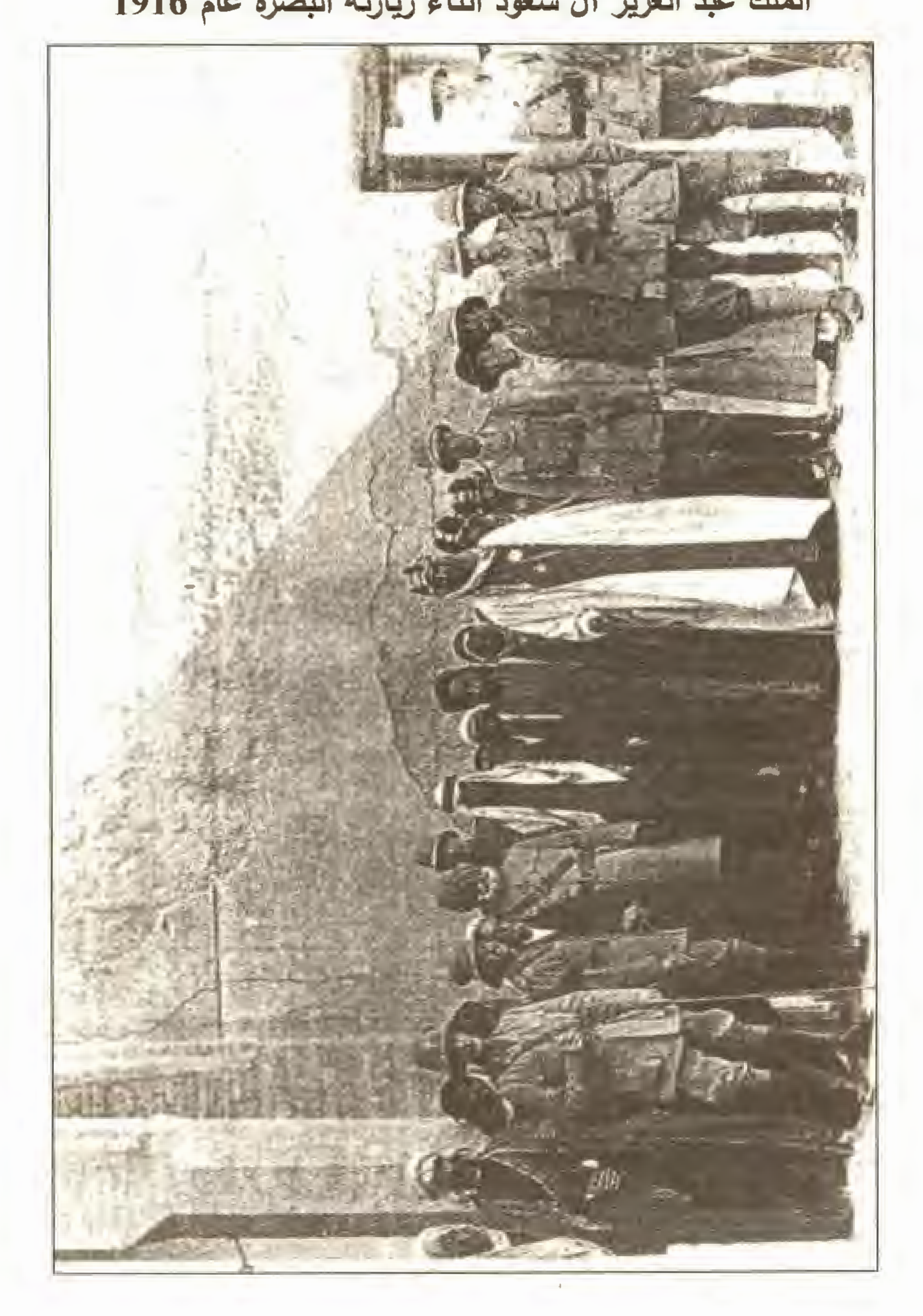
ملحق رقم (5)

فيلبي في ملابسه العسكرية في عام 1919
في الإسكندرية مع صهره



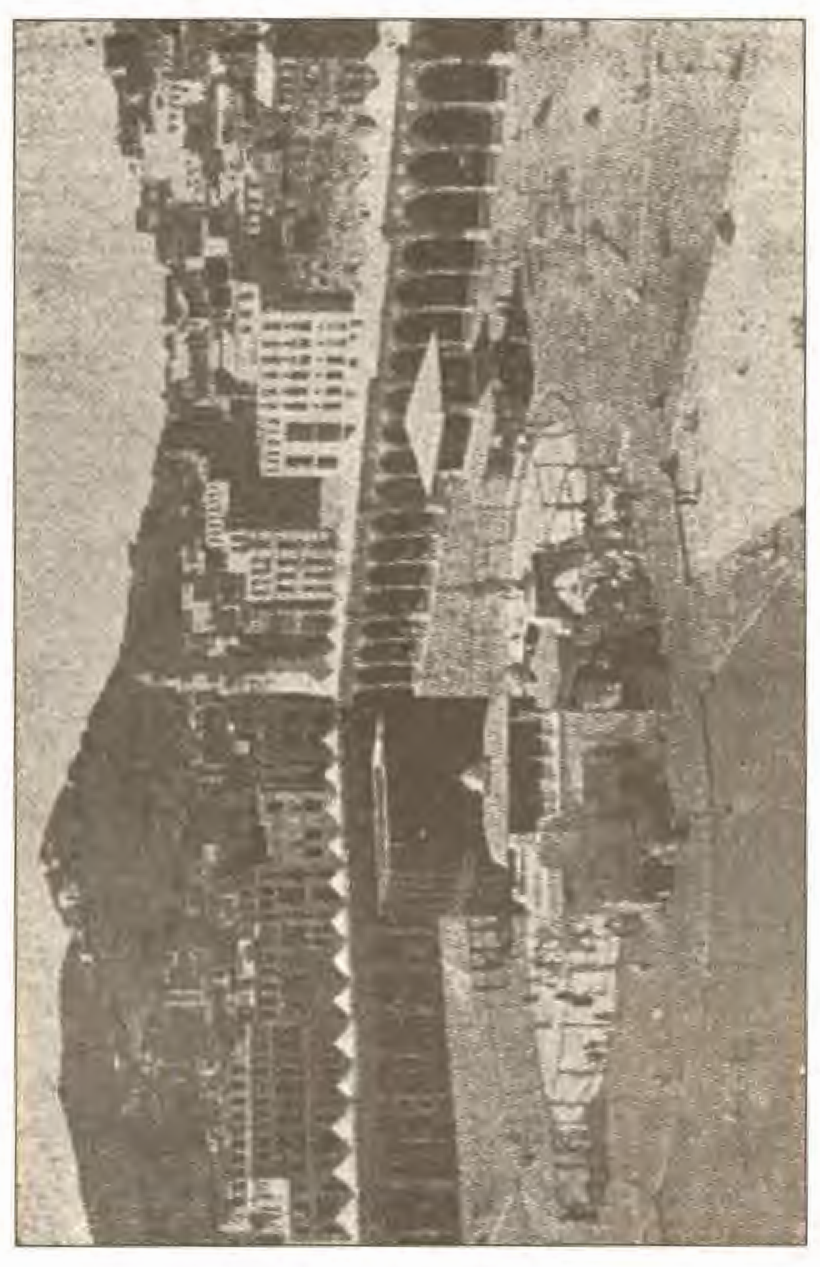
ملحق رقم (6)

الملك عبد العزيز آل سعود أثناء زيارته البصرة عام 1916



ملحق رقم (7)

صورة الكعبة المشرفة – ويبدو فيها الحجر الأسود، ومن ورائها بيوت مكة كما ظهرت في عام 1930 عندما دخل فيلبي جنة الإسلام



ملحق رقم (8)

بقايا نعبد الشمس في منقا عثر عليها فيلبي
على حدود عسير الجنوبية (التصوير لفيلبي)



ملحق رقم (9)

كتابات حميرية قديمة في (حميس مشيت)

عثر عليها فيلبي أثناء رحلاته إلى نجران (التصوير لفيلبي)



ملحق رقم (10)

FO 371/3389(10203) (برقية)

من فيلبي (في بغداد)

(بواسطة السير ب. كوكس)

إلى السكرتير السياسي، وزارة الهند – لندن

حول الوضع الفعلي في بلاد العرب الوسطى

وقوة ابن الرشيد وقلق ابن سعود من مطامع الشريف

الرقم: 387 التاريخ: 14 كانون الثاني/يناير 1918

ما يأتي من فيلبي رقم م ٢٢ بتاريخ ٩ كانون الثاني/ يناير.

أقترح بكل تواضع أن برقية الخارجية (رقم ١٧ س) تدل على شيء من سوء الفهم للوضع الفعلي في وسط الجزيرة العربية، كما توقعت إلى حدّ ما في الرسالتين الأخيرتين، الأولى أن مقدرة ابن الرشيد على إيقاع الأذى لا تزال كما كانت حين غادرت البعثة بغداد لتحريض ابن سعود على العمل ضد حائل، بينما الأتراك، بالرغم من الانتصارات (البريطانية) في فلسطين، لم يقض عليهم بأية صورة، ولا أرى دليلاً فورياً على الانهيار. ولذلك فإن احتلال حائل في الأشهر الثلاثة القادمة سيكون ضربة شديدة يحتمل أن تؤدي إلى نتائج قوية في جميع النواحي. الثانية من الخطأ التصوُّر أن ابن الرشيد يتيح الاحتلال لابن سعود.

لقد سبق أن أشرت إلى أن ابن سعود لم يتحرّك بعد، والواقع أنه أكثر قلقاً بسبب مطامح الشريف، ولا يرغب في التصرّف بصورة تخدم مصالحه بإحراج وضع ابن الرشيد إلاّ بعمل يكون لفائدته الشخصية بصورة واضحة، مثلاً احتلال حائل بنفسه. لا أظنه غير مهتم تماماً بالأمر، أو أنه يحكم حصار القصيم إلاّ إذا كان يتوقع شيئاً مهماً يكسبه.

ثالثاً، أتجاسر فأنتقص بشدة فكرة الاحتفاظ بعدو صريح مثل ابن الرشيد لحفظ توازن القوى بين حليفينا(؟) إن هذا الوضع سوف يطيل الصراع في بلاد العرب الوسطى ويحتمل أن يدخلنا في مساعدة مسلحة لابن سعود بموجب ما تفرضه معاهدتنا ضد الاعتداء عليه من جانب ابن الرشيد بإيحاء محتمل من الشريف.

وعلينا أن نقدّر دائماً أن ابن الرشيد والشريف كليهما معاديان لابن سعود.

رابعاً، أن إنشاء دولتين قويتين ترتبطان بمعاهدة معنا وإن كانتا متعاديتين، هي طريقة أسلم ولو أنها تمثل طريقة جسورة. فلا تستطيع إحداهما الهجوم على الأخرى دون أن تتحمّل غضبنا ونتائجه، وعلينا أن نكون في موقف قوي لإرغام حصول التحكيم في كل المنازعات. الخطر الأكبر للسلام المقبل في بلاد العرب يكون في تنازلنا عن الثقة القوية الحالية في بريطانية العظمى لدى الملك وابن سعود كليهما. وفيما يتعلق بابن سعود فإن ذلك ينتج فوراً فشل البعثة لتحقيق(؟) جواب عملي من قبل الحكومة لتعهده النهائي بخدمة أهدافنا العسكرية.

وفي هذه الأحوال لا أتوقع أنه يبرهن على أي عداء فوري للشريف، لكن حصار القصيم يفقد فعاليته ولا نستطيع أن نتوقع استمرار الصلات الودية الحاضرة بعد أن يُخفق في إقناع الوهابيين (كلمات لا يمكن حلّها) بالفرصة السانحة للفائدة العملية الكبيرة للحلف البريطاني.

النتيجة سوف تنسب بلا ريب إلى مكائد الشريف. وفيما يتعلق بالشريف فإن الثقة تزول إذا كان اتفاقنا معه، الذي لا أعلم محتوياته، قد تضمن الوعد بأية وسيلة لمساعدته على الاندفاع إلى نجد أو حائل. لا قضية للشريف في حائل، ولكن يظهر أن له مطامع فيها. وإذا كان افتراضي صحيحاً فإنه لا يستطيع ولا يثير فعلاً أي اعتراض علنيَ على معالجة مشكلة حائل حسب استحقاقها العسكري.

وأخيراً حسب رأيي إن الاعتبارات السياسية المقبلة والعسكرية الحاضرة، تجتمع لتأكيد ملاءمة القيام بهجوم فوري على حائل من قبل ابن سعود بمساعدتنا. وكل قرار غير هذا يؤثر تأثيراً سيئاً في وضعنا في نجد، بينما القرار الملائم يعد بتحقيق أحد أهدافنا العسكرية ـ مع عائق واحد صغير وهو خيبة أمل للشريف لا يتجاسر على ذكرها علناً ولا يتمكن من تبريرها بصورة جدية.

هوغارث لديه نسخة (انتهى).

معنونة إلى الخارجية ومكررة إلى سكرتير الدولة للهند.

ملحق رقم (11)

مراسلات فيلبي

37

Telegram, Code, (Calcutta), (Register)
From. Political Kuwait.
To. Political Baghdad repeated Basrah.
No. 1196.
Dated August 8th, 1918.

Your 6484 AAA When Philby wrote his memo 110 he had not I think received copy of my memo 98 C to you AAA Shaikh has taken over our system of checking land exports so that Bin Sa'ud will still receive passes AAA Najd caravans if stated by Nafisi to be genuine may buy what they like and copy of export permit countersigned by Nafisi is to be given to me AAA I do not think friction should be caused as Nafisi can at any time tell me if any sort of obstruction takes place para

Present trade arrangements are as follows para

Nothing is to be exported from India to Kuwait without pass signed by Macollum or myself AAA Political Officers at Gulf ports are taking such executive action as possible to prevent unduly large exports to Kuwait AAA Our permits are issued one monthly up to requirements of Kuwait and its tribes and on production of receipt from Basrah or other Customs showing that goods exported by sea from Kuwait have actually arrived there on voucher from Nafisi that caravan of Bin Sa'ud has taken such and such quantities from us and merchants desiring to import new stocks on their giving acceptable guarantee to produce evidence of arrival at unobjectionable destination para

No exports are allowed by land except by Shaikh for Kuwait tribes or to Najd caravans vouched for by Nafisi and to caravans if any bearing pass signed by Iraq Political Officers which has to be presented to me para

Arrangement is based on trust of Shaikh and course in view of fright Shaikh and Kuwait public have received over turning away of caravans and Zayani cases is likely to work satisfactorily for the present AAA If arrangement fails diversion of Najd traffic to Bahrain might be carried out in addition to any other positive action Government might decide to take but I would deprecate doing so till then para

I understand Bin Sa'ud's suspicions both of Shaikh and of us but it must be remembered that had he exercised effective control over his eastern territory from the beginning our task here would have been a [illegible] comparatively light one AAA At the same

من: الوكيل السياسي في الكويت.

إلى: الوكيل السياسي في بغداد، وتكرر إلى البصرة.

رقم: ١١٩٦.

تاريخ: ٨ أغسطس ١٩١٨.

خطابكم المرقم ٦٤٨٤ - لم يكن فلبي - حين كتب مذكرته المرقمة ١١٠ قد استلم - على ما أظن - نسخة من مذكرتي المرقمة ٩٨ سي والمرسلة لك. يتولى الشيخ نظامنا الهادف لضبط الصادرات البرية وسيظل ابن سعود يتلقى الأذونات. إذا عرف النفيسي قوافل نجد على أنها غير مشكوك فيها فيمكن أن تشتري ما تريد، وستقدم لنا نسخة من إذن التصدير مصدقة من النفيسي. لا أظن أن ذلك سيسبب احتكاكاً، ويستطيع النفيسي - في أي وقت - اطلاعنا على أي نوع من الإعاقة إذا ما حصلت.

الترتيبات التجارية الحالية كما يلي:

لن يصدر أي شيء من الهند إلى الكويت بدون رخصة يوقعها ماكولم أو أنا. ويتخذ الضباط السياسيون في موانيء الخليج إجراء تنفيذياً مماثلاً كي يمنعوا قدر الإمكان التصدير الواسع غير المرغوب فيه إلى الكويت. إن تلك الرخص ستمنح شهرياً طبقاً لحاجة الكويت وقبائلها، وحين نستلم من البصرة أو الجمارك الأخرى ما يثبت أن البضائع التي شحنت بحراً من الكويت قد وصلت فعلاً، وعند وصول مستند من النفيسي يفيد بأن قوافل ابن سعود قد حملت بكذا وكذا من الكميات، وللتجار الراغبين باستيراد مخزونات جديدة عند إعطائهم تأكيدات مقبولة بضمان عدم وصولها إلى أطراف غير موثوقة.

لن يسمح بأية صادرات برية إلا عن طريق الشيخ لقبائل الكويت، أو لقوافل نجد التي تحمل مستنداً من النفيسي، أو لأي من القوافل التي تحمل رخصة موقعة من ضباط العراق السياسيين بعد عرضها علينا.

ملحق رقم (12)

مراسلات فيلبي

Telegram ...
From. Political Basrah.
To. Political Kuwait.
No. 4619.
Dated and received August 18th, 1918.

[illegible]

من: الوكيل السياسي في البصرة.
إلى: الوكيل السياسي في الكويت.
الرقم: ٤٦١٩.

أبرقت واستلمت في الثامن عشر من أغسطس ١٩١٨.

الإشارة، كويت ١٢٢٠ - الغزو في الصحراء ليس لعباً. إذا كان العجمان قد عبروا أراضي الكويت ليهاجموا أعداءهم من مطير وسبيع وبني هاجر، والتي هي قبائل تابعة لابن سعود، فإن تلك القبائل فعلت الشيء نفسه حديثاً. ووصلت في الشمال لنقطة أقرب ما تكون من «كابده» و «الرميلة»، حيث هاجمت شمر والظفير والأسلم والعجمان، وفي إحدى المناسبات أطلقت مطير عدة عيارات نارية على محطة قطار الرميلة. إن شيئاً كهذا يحدث عند بداية كل فصل ترتفع فيه درجة الحرارة ومن المستحيل القول من هو الذي بدأ ذلك الفصل الذي يقترب الآن من نهايته، حيث ستبدد المتاعب حالما يعود الطقس إلى البرودة.

إذا ما قطعنا علاقاتنا الودية مع العجمان فسيلتحقون بابن رشيد حال إحساسهم بأنهم معرضون لخطر حقيقي من ابن سعود، وربما سيعجل ذلك بالصدام الذي يرغب فلبي بحدوثه، ولكنه لن يقلل بالتأكيد من الغزو.

. . . .

. . . .

أقترح بأن يكون المطلوب عملاً متناغماً بين السلطات المختلفة التي تتعامل مع قبائل البادية، إذا وضع ليشمان عقبة أمام تحركات عنزة، وفلبي أمام تحركات قبائل ابن سعود ولوخ أمام مدني الكويت إن وجدوا فنستطيع نحن السيطرة على العجمان. ويجب أن يشترط لنيل المساعدات المالية والمبايلة التعهد بعدم القيام

ملحق رقم (13)

مراسلات فيلبي

بغارات ضد القبائل الصديقة وإعلان الهدنة في تاريخ محدد، ويجب أخذ سندات بهذا المعنى في كل الجوانب بما يتضمن وضع العجمان على قدم المساواة مع فرق أخرى معانة مالياً، لكن دون نفقة أخرى.

معنونة لوكيل بغداد بالإشارة لمرسله رقم ٦٧٤٠ ومكررة للكويت.

السياسي.

نسخة للسيد فلبي

كويت

بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩١٨.

الكابتن

الوكيل السياسي - الكويت

Telegram P.

From Cox Kuwait

To Foreign repeated Sec. of State [illegible] Baghdad H.C.Cairo

No. 8 08

Dated 20.8.18 (1140)

Reference [illegible] telegram No.6405, dated August 17th.

There are two separate questions at issue affecting Shaikh of Kuwait firstly that of [illegible] raids by Ajman etc. through Kuwait territory. After discussion with P.A. and Shaikh I offer following observations.

In first connection protest and complaint of Philby on behalf of Bin Sa'ud were evidently based on misunderstanding of wording of Political Agent's letter to Shaikh of Kuwait of July 4th in which he spoke of "removal of Blockade". Blockade measures have never ceased, the change was that permits instead of being issued by British Officer were to be issued by Shaikh but subject to general supervision by of British Officer. This was explained to Philby by P.A. in subsequent letter. Arrangement has been working satisfactorily and no permit has yet been applied for by any Najd caravan, so that it is not possible that any specific cause of complaint can have arisen.

However in order to give Bin Sa'ud no handle for [illegible] arrangements Shaikh has agreed to Blockade Officer scrutinising and signing all permits for Najd. Thus the only exports now allowed from Kuwait will be - One. To Najd on permits signed by Blockade Officer on receipt and demand of Bin Sa'ud's agent. Two. To Iraq tribes on production of permits from their Political Officers. Three. To tribes of Shaikh of Kuwait [illegible] for by him if strictly on basis of minimum requirements.

This arrangement is practically indistinguishable from former arrangement which Philby extolled as being effective and appreciated in Najd. As regards suggested despatch of troops. Shaikh made the [illegible] a friendly communication on July 4th regarding Blockade and no case of illicit export or raiding having occurred since that date there can be no logical reason for occupying [illegible] now at all [illegible] for no blockade be [illegible]



ملحق رقم (14)

مراسلات فيلبي

برقية.

من: كوكس، الكويت.

إلى: الخارجية، مكررة لوزارة الدولة، وسياسي بغداد، والمندوب السامي القاهرة.

رقم: ب ٩٥.

بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٨ (١١٠٠).

بالإشارة لبرقية بغداد المرقمة ٦٤٠٢ بتاريخ ١٧ أغسطس. هنالك مسألتان منفصلتان في الخلاف تؤثران بشيخ الكويت. الأول هو الحصار والثاني هو الغزوات من قبل العجمان وعبرهم عبر مقاطعة الكويت. وبعد المناقشة مع الوكيل السياسي والشيخ فإني أعرض الملاحظات التالية:

فيما يتعلق بالأمر الأول فإن احتجاج وشكوى فلبي بالنيابة عن ابن سعود كانا بصورة جلية مبنيين على سوء فهم لصياغة رسالة الوكيل السياسي إلى شيخ الكويت المؤرخة في ٤ يوليه والتي تحدث فيها عن «إنهاء الحصار». إن إجراءات الحصار لم تلغ أبداً، فالتغير الذي تم هو أن الرخص بدلاً من إصدارها من قبل الضابط البريطاني ستصدر من ابن الشيخ تحت إشراف عام لضابط بريطاني. ولقد شرح الوكيل السياسي ذلك لفلبي في رسالة لاحقة. الترتيب الذي وضع يعمل بشكل مرض، ولم تطلب أية رخصة بعد لقافلة نجدية، ولذلك فمن غير الممكن أن يثور سبب دقيق للشكوى.

ومن اجل عدم إعطاء ابن سعود - على أية حال - أية فرصة للطعن في الترتيبات، فقد وافق الشيخ لضابط الحصار على أن يصدر ويوقع كل رخص نجد. وهكذا فإن الصادرات المسموح بها الآن من الكويت ستكون فقط: «أولاً» لنجد بناءً على أذونات موقعة من ضابط الحصار وبمستند وطلب من وكيل ابن سعود. «ثانياً» لقبائل العراق بإصدار رخص من ضباطهم السياسيين. «ثالثاً» لقبائل شيخ الكويت بمستند منه شخصياً مع تأكيد صارم على أن يكون الطلب بأقل الكميات بشكل صارم.

20.

Telegram P.

From Pol. Av. Kuwait.

To Civil Commissioner, Baghdad.

No. 475-C.

Dated 5th and recd. 6th July 1920.

Extract from Treaty with Bin Saud of December 26th 1915.

* * * * * * *

VI.

Ibn Saud undertakes, as his fathers did before him,

ادعاء ابن سعود بالخرمة من النواحي الدينية والإقليمية والعشائرية والتاريخية والإدارية

(مقتبس من مذكرة للمستر فيلبي مؤرخة في ١٣ آب/أغسطس ١٩١٨).

يدعي ابن سعود بدون أي شك بأن الخرمة تدخل ضمن سيادته ـ وهو يفعل ذلك ليس لأسباب دينية وإقليمية فقط ولكن لأسباب تأريخية وإدارية وعشائرية أيضاً. ولذلك يرى عمل الشريف عدوانياً ومعادياً لشخصه. وهذه كما سبق لي القول، هي النقطة الرئيسية في موضوع النزاع بين الطرفين، وقد أكد ابن سعود مرة بعد أخرى قبوله لقيام الحكومة البريطانية بالتحكيم في النزاع على أساس مزاياه. ومن المستحسن إعطاء مزيد من التفصيل لأسس ادعاء ابن سعود.

(أ) **من الناحية الدينية**: كل أهالي الخرمة والأشراف والسبيع والحضر هم على المذهب الوهابي، وأكثر من ذلك قد انضموا إلى الأخوة الداخلية للمذهب وهي «الاخوان». وعلى هذه الصورة يرون غير الوهابيين جميعهم مشركين وكفّاراً، وينظرون إلى ابن سعود إماماً لهم وحاكماً زمنياً. وحسبما استطعت أن أتأكده أنهم كانوا وهابيين (أو حنابلة) دائماً ـ وأصبحوا «إخواناً» على الخصوص في الدفاع عن أنفسهم ضد اعتداء الشريف الذي يعود إلى بعض سنوات سابقة، وخصوصاً منذ حاول الشريف في السنة الماضية فرض قاض عليهم لأجل نقض ميولهم الوهابية. وبصفتهم وهابيين وإخواناً فإنهم يدعون دينياً أن من واجبهم حماية أهالي نجد وابن سعود.

(ب) **من الناحية الإقليمية**: يشير المندوب السامي إلى أن الخرمة لا تبعد سوى ٨٠ ميلاً بخط مستقيم عن الطائف. وقد يكون هذا صحيحاً، إلاّ أنه لا يثبت أن الخرمة هي في الحجاز. أعتقد أنني الأوروبي الوحيد الذي شاهد الخرمة والمناطق التي حولها. ولذلك أنا أتكلم، بشعور كامل بمسؤوليتي، وحسب رأيي الذي توصلت إليه بعد تأمل وتفكير، بأن حدود الحجاز في أوسع معاني هذه الكلمة تجري (في البقعة موضوع النظر) على طول الحافة الشرقية لشعيب نحو الجنوب الغربي إلى تربة. وهذه هي بلا ريب الحدود المعترف بها بين عشائر البقوم والسبيع، والرجوع إلى خريطة طريقي توضّح أنها تكون إلى نحو ١٠ أميال من الخرمة. هذا هو رأيي، بينما ابن سعود والآخرون الذين أتيحت لي الفرصة لبحث الأمر معهم يرجعون الحدود إلى الوراء ٥٠ ميلاً إلى جهة الغرب حتى وادي العقيق. أعتقد أن

هذه الحدود الأخيرة يمكن إثباتها بالرجوع إلى دليل الوثائق التركية، لأن خط العقيق تمت الموافقة عليه في سنوات السبعين بين السلطات التركية وابن رشيد باعتباره يمثل الحدود الطبيعية بين الحجاز ونجد. ولكن أراني أميل إلى عدم الأخذ بهذا الدليل لأن البقوم والشلاسة هم، في رأيي، بلا ريب من عشائر الحجاز. وفي رأيي، بناء على ذلك، أن شعيب شابا هو الحد الطبيعي الوحيد الممكن، وإذا قبل هذا الرأي فالخرمة (وإن كانت تبعد ١٠ أميال فقط عن حدود الحجاز) فإنها تقع في نجد.

(ج) **من الناحية العشائرية**: إن صقع الخرمة تسكنه كله عشيرة السبيع، وهي أساساً عشيرة نجدية، ويمتد من السمّان إلى وادي السبيع. وبالنظر إلى ذلك يدّعي ابن سعود السيادة على سبيع الخرمة، لكنه مستعد للتنازل عن إدعائه إذا أعرب رجال السبيع أنفسهم عن تفضيلهم لحكم الشريف. لكنه ليس مستعداً لتركهم لرحمة الشريف ما داموا يطالبون بحمايته ويعترفون بحكمه.

(د) **من الناحية التاريخية والإدارية**: يمكن النظر في هذه الأسس معاً. وقيل للمندوب السامي إن خالداً [بن لؤي] عيّن أميراً للخرمة قبل أربع سنوات من قبل الشريف. هذا غير محتمل في ظاهره، لأن خالداً حسب معلوماتي خلف ابن عمه غالب عند وفاته بطريقة الإرث الاعتيادية. ومثل سائر أمراء نجد، قام بزيارته السنوية المنتظمة للرياض لتسلّم إعانته وهداياه مثلما فعل سلفه قبله. وعلى كل حال إذا حصل أي تعيّن رسمي من جانب الشريف واعترف به خالد نفسه، فيجدر به أن يستطيع تقديم دليل وثائقي. وما يعنيه (الشريف) في كل احتمال (قالباً الوضع ليلائم مطالبه الخاصة الحاضرة) هو أنه حين توفي غالب سجّل خلفه خالد رسمياً في السجلات التركية كالمتسلم الصحيح لصرّة الحج التي تدفعها الحكومة التركية إلى كل العشائر التي تستطيع إزعاج قوافل الحج السنوية. وهذا أمر مخالف تماماً ولا يثبت شيئاً لأن صفحات (رحلة) داوتي فيها الكفاية لتدل على أن الصرّة كانت تدفع إلى العشائر تحت حكم ابن رشيد المقبول ـ وفي الحقيقة إلى كل العشائر التي يحتمل أن تسبب إزعاجاً. ومن الجهة الثانية، إذا عدنا إلى الوراء أكثر من ذلك، ليس من شك أن الخرمة كانت تحت الحكم الفعلي لآل سعود في أيام عزّها الأولى، ويدعي ابن سعود أن الإعفاء الطويل الأمد من الضريبة الذي تمتع به أهالي الخرمة ولا زالوا يتمتعون به، منحه لهم سعود الأول (أو على المحتمل سعود الكبير، أي سعود الثاني، المؤسس الفعلي للامبراطورية الوهابية). ومن المحقق تماماً أن لا الشريف ولا الأتراك جبوا في يوم ما فلساً واحداً بصفة ضريبة من أهالي الخرمة ـ وتلك حقيقة

تؤكد ادعاءهم بالاستقلال. فإذا قبل ذلك فلا يمكن لوم أهالي الخرمة إذا اختاروا وضع أنفسهم تحت حكم دولة يثقون بها ويتصلون بها بروابط الدين والجغرافية والجنس وغيرها. ومقاومة أي ادعاء بالسيادة من جانب حاكم أوضح كل الوضوح أنه لا يسمح بأداء مراسيم دينهم وفقاً لما يرونه هم.

إن الملاحظات السالفة، كما أعتقد فيها الكفاية لتدل على أن هناك على كل حال أساساً طيباً للتحقيق، وأن الرأي من جانب واحد لا يستطيع حسم الأمر بصورة مرضية. إن الفشلين اللذين منيت بهما أهداف الشريف واللذين أخبرت عنهما كانا دون ريب مؤذيين لنفوذه، لكن يجدر به أن لا يلوم أحداً في ذلك سوى نفسه. وألاحظ أن المندوب السامي يرتأي أن الشريف يرى الخرمة من جملة أراضيه «بدون سبب حسب الظاهر» وأنه لا يشكّ في صدق تأكيداته بأن شاكر [بن زيد] لن يتقدم إلى شرقيّ الخرمة لمهاجمة رعايا ابن سعود، إذا كان المقصود بهذه الملاحظات أن تدل على أنه لا يجري، ولم يحدث، عمل ما لمنع توسع حركات الشريف، وأن حكومة صاحب الجلالة توافق على ترك الأمور تجري مجراها، فليس لي سوى القول بأنني أنظر إلى الوضع بقلق شديد جداً. ولكن إلى أن تسوء الأمور كل السوء فإنني لا أستطيع الاعتقاد بأن حكومة صاحب الجلالة، بعد إنذارها المحايد إلى كلا الحاكمين بالامتناع عن أي عمل استفزازي، تسمح لأحد المتسلّمين للإنذار بصرف النظر عنه في نفس القضية التي أصدر بشأنها. إن إصدار ذلك الإنذار كان له، كما ذكر آنفاً، أطيب وقع لدى ابن سعود، لكنه يفترض، كما أعتقد أنه يحق له ذلك، أن يكون له الأثر نفسه على الشريف.

* * *

وأخيراً لا بدّ من قول كلمة عن «نشاط الوكلاء من الاخوان الذين هم في الحقيقة أساس القلاقل». حسب اعتقادي أن التهمة الغامضة نوعاً ما والمستعادة كثيراً بأن الوكلاء من الاخوان صاروا في المدة الأخيرة يعملون على نسف نفوذ الشريف لم تؤكّد قط. وعلى كل حال أنها قلما يمكن تطبيقها في قضية الخرمة التي كان أهاليها على بكرة أبيهم وفي جميع الأوقات وهابيين وهم كلهم من الاخوان، ولذلك لا يحتاجون إلى تطويع. إن الحملة الفاشلة لتعيين القاضي الشريفي، من الجهة الأخرى، تقوم دليلاً واضحاً على أن الشريف هو المذنب في التدخل في الحرية الدينية لأهالي الخرمة. وهذه ليست تهمة غامضة موضوعة على أساس أخبار من الوهابيين، بل هي مثبتة بدليل رسائل ابن الملك، عبد الله، التي سبق لي إرسال

ترجمات منها. وأذكر على سبيل المثال أن القاضي الوهابي الحالي في الخرمة وأباه من قبله شغلا هذا المنصب بدون انقطاع لمدة ستين سنة، وكان الأب قد عيّن من قبل فيصل (آل سعود).

ملحق رقم (16)

(تقرير) L/P&S/10/390

عن عمليات بعثة نجد من 29 تشرين الأول/أكتوبر 1917 إلى 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1918

كتبه سنت جون فيلبي رئيس بعثة نجد للتعامل مع الامام عبد العزيز آل سعود في أمور معينه ذات اهمية متبادلة عملا بتعليمات الحكومة البريطانية يحتوي على العناوين الفرعية التالية

خلاصة المحتويات

الفقرة

L/P&S/10/390

إلى ـ اللفتنانت كرنل أي. ئي. ويلسن
القائم بأعمال المفوض المدني للمناطق المحتلة في العراق

الرقم: ٢١٨ التاريخ: ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨

سيدي،

أتشرف بتقديم تقرير عن عمليات البعثة التي كان لي شرف رئاستها إلى وسط الجزيرة العربية للتعامل مع سعادة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (K.C.I.E) حاكم نجد وملحقاته، في أمور معينة ذات أهمية متبادلة، بالنسبة له وللحكومة البريطانية، وذلك عملاً بتعليمات حكومة جلالته المبلّغة إلى السير برسي كوكس ببرقية وزير الهند المؤرخة في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧.

إن تقريري يغطي فترة سنة تقويمية كاملة تقريباً، تبتدىء بمغادرة البعثة بغداد في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، وتنتهي في أول تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨، يوم وصلت بغداد عائداً من وسط الجزيرة العربية لدى انتهاء عمليات البعثة.

وقد وجدت من الأفضل التخلي عن محاولة عرض أعمال البعثة بالتسلسل

التاريخي، مفضلاً مناقشة كاملة ومستقلة للمشاكل المختلفة التي استوجبت النظر فيها خلال الفترة التي يغطيها التقرير. إضافة إلى ذلك، منعتني اعتبارات حجم التقرير من أن أدخل في هذا العرض أي وصف تفصيلي لرحلاتي في الجزيرة العربية، أو للنتائج الجغرافية أو العرضية الأخرى التي حصلنا عليها خلالها، إلا بمقدار ما كان ضرورياً لإيضاح الأمور التي كانت البعثة معنية بها بصورة مباشرة. وقد سبق لي أن كتبت أوصافاً مختصرة لبعض رحلاتي لتنشر في «النشرة العربية»، وإنني لأتطلع إلى فترة راحة وفراغ لكي أعدّ للنشر أكداس الملاحظات التي جمعتها عن موضوعات مختلفة مثيرة للاهتمام خلال إقامتي الطويلة في الجزيرة العربية.

٢ ـ العلاقات السابقة بين بريطانية ونجد

لم تكن هنالك قبل نشوب الحرب العظمى اتصالات كثيرة بين السلطات البريطانية وحكام نجد، وذلك لأسباب واضحة. ففضلاً عن عدم ترحيب الشعب نفسه، بسبب تعصبه وانطوائه على نفسه، فإن الصداقة القائمة منذ زمن طويل بين بريطانية وتركية حالت دون أي نوع من الاعتراف السياسي من جانب بريطانية بتلك المنطقة الثائرة والمستقلة في تركية.

والواقع أن المناسبة الأولى التي قام فيها موظف بريطاني بزيارة نجد بصفة رسمية تمت قبل ٩٩ عاماً، حينما اجتاز الملازم سادلير، موفداً من حكومة الهند، المناطق المدمرة للإمبراطورية الوهابية، ليقدم إلى من قام بتدميرها تهاني الحكومة على ما أنجزه، وليحثه على اتخاذ الاحتياطات الشديدة ضد إعادة إحياء السلطة الوهابية. ولحسن الحظ لم يكن إبراهيم باشا والذين يعمل نيابة عنهم ممن يقبل النصيحة الجيدة، وإذا كان هدف بعثة الملازم سادلير أصبح معروفاً في الجزيرة العربية، فإنه قد أصبح منسياً بالتأكيد عند زيارة البعثة البريطانية التالية للرياض.

كان ذلك في سنة ١٨٦٥، حينما عهد إلى الكرنل لويس بيلي (Lewis Pelly) بوصفه مقيماً سياسياً في الخليج، بمعالجة الأمور الناجمة عن القرصنة والاتجار بالرقيق على الساحل العربي من الخليج، وقد قرر بمبادرة منه أن يزور السلطان الوهابي مع بعثة صغيرة حسنة الاطلاع. وكان استقباله من جانب فيصل بن سعود ووزيره غير مشجع. وعادت البعثة البريطانية إلى الساحل وهي تدرك أنه على الرغم من أنها تعلمت الكثير، فلم ينجز غير القليل في اتجاه تأسيس علاقات ودية دائمة مع البلاط الوهابي.

وأعقب ذلك انقطاع طويل في التعامل الرسمي بين بريطانية ونجد التي كانت شؤونها خلال تلك الفترة قد تعرضت لهزة قاسية بنتيجة عدوان سلالة آل الرشيد التي ظهرت في حائل حديثاً. وقد احتل محمد بن الرشيد الرياض وجميع المناطق التابعة لها، ولجأ آل سعود إلى الكويت وإلى أماكن أخرى على الساحل حيث ظلوا في المنفى حتى سنة ١٩٠٢، وقد أعقبت وفاة محمد بن الرشيد في سنة ١٨٩٨ واستعادة الرياض والمناطق التابعة لها على يد الحاكم الحالي، فترة من التعزيز والتوحيد اتجهت خلالها مطامح ابن سعود نحو الأحساء، وجعلته الصعوبات التي واجهها مع الأتراك ينظر نظرة الود إلى الدولة التي كان قد عرف أنها حامية الكويت، ولم يجد الكابتن و. هـ. س. شكسبير، المعتمد السياسي في الكويت، صعوبة كبيرة في تأسيس علاقات صداقة شخصية مع حاكم نجد بسلسلة من الزيارات إلى منطقته، توجت برحلة عن طريق الرياض والقصيم عبر الجزيرة العربية إلى السويس في الشهور الأولى من سنة ١٩١٤، ولذلك فلما نشبت الحرب كان السبيل ممهداً لاستئناف العلاقات الرسمية بين السلطات البريطانية وابن سعود، واعتمد شكسبير لدى البلاط الوهابي. إن تاريخ عملياته، وما ترتب عليها، مدون بتفاصيل كافية حتى نهاية سنة ١٩١٦ «خلاصة عن علاقات الحكومة البريطانية وابن سعود» قدمت إلى الحكومة البريطانية صحبة مذكرة السير برسي كوكس المرقمة (٢) والمؤرخة في ١٢ كانون الثاني/ يناير ١٩١٧، ولا بد لي في هذا المقام أن أقوم بأكثر من إضافة شهادتي الشخصية عن الخسارة العظيمة التي لحقت بالحكومة البريطانية بنتيجة وفاة الكابتن شكسبير. إن اسمه يذكر ويقدر بأعلى مراتب الشرف في الجزيرة العربية من جانب كل من اتصل به، ولا يخامرني شك في أنه لو كتب له أن يعيش لسقطت حائل منذ مدة طويلة، ولقام ابن سعود، بمساعدة منا على نطاق أسخى مما كان مألوفاً خلال الأيام الأولى من الحرب، في العمليات ضد العدو بدور أبرز مما كان ممكناً، أو ضرورياً له أن يقوم به.

إن إشارة إلى المذكرة المقتبس عنها أعلاه ستظهر أن موت الكابتن شكسبير في كانون الثاني/يناير ١٩١٥ في معركة جراب، حيث كانت قوات ابن سعود قد جُندت لأجل قضيتنا، ضد قوات ابن الرشيد التي أعلنت انحيازها إلى تركية، وحيث سارت الأمور على غير ما يرام بالنسبة لحليفنا، قد تبعته فترة من عدم الفعالية من جانب ابن سعود. ومع ذلك فقد مرت هذه الفترة بصورة نافعة في تعزيز علاقاتنا معه، وأسفرت عن معاهدة مرضية جداً بالنسبة لكلا الطرفين في

اجتماع للحكام في الكويت، حيث قلد السير برسي كوكس ابن سعود وسام فارس الإمبراطورية الهندية (K.C.I.E)، ثم في زيارة قام بها ابن سعود إلى البصرة، وأتيحت له خلالها كل فرصة ليس للاطلاع بنفسه على معدات الحرب الحديثة ونتائج الاحتلال البريطاني للبصرة فقط، بل للحصول على إضافة مستحبة لأسلحته، ومعونة مالية شهرية منتظمة تمكّنه من تجديد العمليات الفعالة ضد عدوه وعدونا ابن الرشيد.

وهكذا أسفرت سنة ١٩١٧ عن فجر أمل باهر للمستقبل، وكانت ضرورة إرسال موظف يمثله في نجد محل اهتمام جدّي من السير برسي كوكس. ولكن الفرصة لتحقيق خططه في هذا الشأن لم تسنح إلاّ في أيار/مايو وكان المستر (الآن السير) رونالد ستورز قد وصل إلى بغداد بزيارة نيابة عن المندوب السامي في مصر، وقد تقرر، بموافقة الأخير الفورية، أن يعود إلى مصر عبر الجزيرة العربية، ويزور بطريقه ابن سعود في القصيم، لكي يوفر للسير برسي كوكس المعلومات المباشرة عن قوة ابن سعود وإمكاناته، مما هو ضروري لتمكينه من اتخاذ قراره بشأن النهج الذي يجب اتباعه لجعل العمليات في وسط الجزيرة العربية مساهمة أساسية في الفعاليات العامة لقواتنا العسكرية في ساحة الحرب مع تركية. وكان على المستر ستورز، بهذه المناسبة، أن يحاول تحقيق ما يمكن تحقيقه من تحسين العلاقات بين ملك الحجاز والحاكم الوهابي، اللذين كانت الشكوك وعدم الثقة المتبادلة بينهما تصبح ظاهرة بدرجة متزايدة.

وبعد إعداد الترتيبات الضرورية غادر المستر ستورز الكويت في ٩ حزيران/ يونيو ١٩١٧ مع إحدى القوافل، ولكنه عاد إلى الكويت بعد أربعة أيام إذ أصيب في اليوم الثالث من رحلته بضربة شمس. ولم يكن بإمكانه أن يفكر في تكرار المغامرة والعودة إلى الصحراء في مثل هذا الموسم، فعاد إلى مصر بحراً.

والآن أصبح من غير العملي بصورة واضحة تجديد محاولة الاتصال بابن سعود حتى اعتدال الجوّ، واستمرت حرارة الجو، وإذا بابن سعود يتظاهر بشبه محاولة نوعاً ما لتهديد حائل من القصيم حتى حلول رمضان، حين ترك تركي، ابنه البكر، في قيادة القوات التي لم تتفرق وعاد إلى الرياض للصيام. وفي هذا الوقت أصبح الوضع في الجزيرة العربية الوسطى مبهماً بصورة متزايدة، ولم تظهر علامات لسقوط المدينة في أيدي جيش الشريف، والأتراك ما زالوا مسيطرين على سكة حديد الحجاز ويقومون بإصلاح الخلل فيها عند حدوثه، بينما كانت الصلات بين

حليفينا العربيين الرئيسيين، الشريف وابن سعود، آخذة بالتوتر والتعسّر بسرعة، وتوقف نشاط ابن سعود يعطي الشريف حججاً لاتهامه بالفتور في تعهد قضيتنا وحتى بالتزام حياد ضمني ذي طبيعة خيرية نحو ابن الرشيد والأتراك.

وفي هذه الظروف في نهاية أيلول/سبتمبر ١٩١٧ جدّد السير برسي كوكس مشروع إرسال بعثة إلى ابن سعود. وبما أنه تمّ الاتفاق عموماً على وجوب بذل مجهود جدي للقضاء على ابن الرشيد أو دفعه إلى الحياد في سبيل إمكان تسهيل عمليات الشريف وإزالة أسباب الاحتكاك القائم بينه وبين ابن سعود، فقد وافقت حكومة صاحب الجلالة على إيفاد بعثة ذات حجم أكبر مما كان في الإمكان خلال حرارة الجو السابقة. والحقيقة أنه ارتُئي أن تكون البعثة ممثلة إلى درجة كافية لجميع المصالح لكي تستطيع إنهاء الخلافات السياسية والتحاسد بين حلفائنا العرب المختلفين، وأن تكون في الوقت نفسه ذات صفة شبه عسكرية لكي تبدو المقترحات التي قد تقدمها حول المساعدة العسكرية المطلوبة من ابن سعود ذات وزن نافذ، ولكي يكون من المحتمل، في حالة تقرر القيام بعمل وإتمام تنفيذه، أن تتولى مهمة المستشار للزعماء الوهابيين.

وافقت حكومة صاحب الجلالة على إيفاد البعثة ببرقية مؤرخة في ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، وذهبت البعثة من بغداد بعد تسعة أيام.

٣ ـ أشخاص البعثة

إن المقترحات التي قدمها السير برسي كوكس في بادىء الأمر إلى حكومة صاحب الجلالة ارتأت تشكيلاً أعظم طموحاً وأشمل تمثيلاً للبعثة مما حقّق فعلاً. كان المؤمل أن المندوب السامي في مصر وعظمة ملك الحجاز يستطيعان إرسال ممثلين للاشتراك في مداولاتها. وارتُئي أن اللفتنانت كرنل ر. ئي. آ. هاملتن، الوكيل السياسي في الكويت، الذي كان في ذلك الوقت في طريقه إلى نجد لشأن آخر، يكون قادراً على الخدمة في البعثة لتمثيل مصالح الشيخ سالم، شيخ الكويت. وكان الأمل إضافة إلى ذلك أن يكون طبيب موجوداً. وأخيراً، لما كان غرض البعثة أساساً ذا صبغة عسكرية، كان المفهوم أن ضابطاً عسكرياً مسؤولاً يوفد من جانب القائد العام لحملة العراق لفحص الوضع العسكري في جزيرة العرب الوسطى وتقديم تقريره. وختاماً كان المعتقد من الضروري، في سبيل مساعدة عمل البعثة وتسريعه، أن تلحق بها مفرزة لاسلكي صغيرة إذا وجدت.

هذا المشروع الطموح نوعاً ما، كما ذكرنا آنفاً، لم يتحقق. وقد أوفد اللفتنانت كرنل ف. كنليف أوين CMG من مدفعية الميدان الملكية) لتمثيل القائد العام، ورافقني من بغداد إلى الرياض حيث بقي، خلال مدة غيابي الطويلة في جدة والقاهرة، مسؤولاً عن عمل البعثة المحلي إلى شباط/فبراير ١٩١٨، وفي هذا التاريخ عاد إلى الساحل وذهب في إجازة قصيرة قبل استئناف واجباته العسكرية. وقد تفضل اللفتنانت كرنل ر. ئي. هاملتن، الذي كان في الرياض عند وصول البعثة، فبقي عدة أيام لإعطائي آراءه ومشورته قبل العودة إلى عمله في الكويت.

وعدا هذين الاستثناءين كانت هيئة بعثة نجد طيلة المدة التي يتناول هذا التقرير تتألّف منّي فقط. ولدى إعادة النظر في تلك المدة إنني أميل إلى التفكير بأن هيئة الموظفين التي ارتُئي تأليفها مبدئياً كانت شديد الطموح. ومع أن وجود التركيبات اللاسلكية مفيد فإن وجود عدد كبير من العاملين البريطانيين في هذا البلد الماحل والمتعصب كان مصدر قلق دائم. ووجود طبيب كان بلا ريب ذا قيمة كبيرة في المساعدة للتخفيف من الموقف المتعصب للأهلين تجاه كل الأشياء الأجنبية عدا تجهيزات الطعام والأقمشة والأسلحة والأدوية، وقد أبديت لكم مؤخراً أن المستحسن معالجة هذا النقص المحسوس. إن هذه القضية، ولو أنها أصبحت الآن ذات قيمة نظرية لا غير فيما يتعلق بالبعثة نفسها، لا بدّ أن تؤخذ بنظر الاعتبار بصورة جدية في حالة تعيين ممثل سياسي دائم لدى البلاط الوهابي فيما بعد. ولكن بالنظر إلى التفكير في وقت ما بأن الممثل الطبي للبعثة التبشيرية الأميركية في الخليج الفارسي [العربي] قد يحمل على ملء الفراغ، مع عدم القول بوجود ميل لا شك فيه إلى جهة قيام سلطات البعثة بتمديد نشاط التبشير في جزيرة العرب، أرى من الضروري تحذير الحكومة من أن جلب طبيب من هذا المصدر لا يكون مقبولاً لدى ابن سعود ورعاياه، ويجب بذل أقصى الجهود لعدم تشجيع تقديم الخدمات الطبية في أقاليمه من جانب البعثة الأميركية. ومن الإنصاف لابن سعود أن أقول إنه وجّه دعوة ودية جداً إلى الدكتور هاريسن التابع لتلك البعثة لزيارة الرياض للعمل الطبي في صيف ١٩١٧ وإن عمله إنما أنهي بصورة مفاجئة بسبب خطئه هو نفسه. وليس من الضروري أبداً تغليف حبوب الدواء بكراريس الدعاية المسيحية.

وختاماً بالنظر إلى موقف الشريف من ابن سعود فإنه لم تكن هناك أية فائدة من إيفاد رسول شريفي للتعاون مع البعثة، لكن الكلمات لا تعبّر بصورة كافية عن

أسفي لأن الظروف حرمتني من التعاون مع ممثل المندوب السامي في مصر ـ وخصوصاً مع شخص كالمستر (الآن كرنل) ر. ستورز CMG الذي ليس هنالك شخص آخر يكون مقبولاً لدى ابن سعود أكثر منه، بالنظر إلى زيارته المزمعة لنجد قبل هذه السنة كممثل للسير برسي كوكس. إنني أعلق أهمية كبرى على هذه النقطة، ويجب أن ندرك بأنني، **من وجهة نظر ابن سعود،** ذهبت إلى مصر كمدافع عن قضيته، وعدت مدحوراً من جانب المدافعين عن الشريف. وعلينا أن نصف الوضع بصورة مختلفة نوعاً ما، لكن النتيجة هي واحدة لابن سعود ولنا.

٤ ـ أهداف البعثة

لاحظ السير برسي كوكس، وهو يلخص الوضع فيما يتعلق بشؤون ابن سعود في برقيته المرقمة ٤٠٣٥ والمؤرّخة في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩١٧، أنه كان يأمل «أن بعثة المستر ستورز المزمعة في شهر حزيران/يونيو السابق ومجيئه إلى الشريف يرافقه رسول من ابن سعود كان سيؤدي إلى تبديد جوّ عدم الثقة السائد في المحافل الشريفية، وتمكيننا في الوقت نفسه أن نقرّر فيما إذا كان في وسعنا أن نجعل ابن سعود مفيداً بصورة فعّالة أكثر».

وفي نهاية البرقية نفسها، بينما أعرب عن رأيه، بأننا إذا كنا نريد أن نستعين بابن سعود عسكرياً بدرجة أكبر، «فعلينا في الحقيقة أن نبحث في الموضوع جدّياً ونعيره بطارية هندية أو مصرية»، تساءل السير برسي كوكس عن قيمة مثل هذه التجربة إلاّ إذا رغبت السلطات المصرية في ذلك. لكنه ارتأى في كل حال أن تزور نجداً بعثة مختلطة تمثل القائد العام والمندوب السامي وهو نفسه «لتقديم مقترحات تتفق مع الإمكانيات العملية».

ولدى قيام المندوب السامي بمصر بتبليغ خبر البعثة المقترحة إلى ملك الحجاز «أكد قصداً صفة البعثة العسكرية ودورها في الإشارة على ابن سعود حول الإجراءات التي تتخذ ضدّ الأتراك وابن الرشيد». وفي الوقت نفسه، مع ملاحظة «الوضع الذهني المتصلّب» للملك حسين والتخفيف من أية محاولة سابقة لأوانها لتسوية المسائل السياسية الواسعة القائمة بينه وبين ابن سعود، فإنه عبّر عن أمله «بأن الوقت ونجاح البعثة الذي ينتج، كما يؤمّل، قيام ابن سعود، بهجوم فعّال على العدوّ، سوف يثبت للملك سخافة سياسته الحاضرة المبنية على الريبة، وحكمة التصالح مع جاره القريب القويّ».

وأخيراً بعد مباحثات شفهية لا نهاية لها عن الوضع العربي وعلاقته بعمل البعثة المقترح، لخّص السير برسي كوكس تعليماته لي في مذكرة تحريرية مؤرّخة في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، وخلاصتها كما يلي بإيجاز:

١) «غرض البعثة الأساسي والرئيسي» هو المباحثة الكلّية مع ابن سعود وتكوين الرأي عما إذا كان يستطيع اتخاذ أي عمل آخر بصورة مفيدة لدعم القضية المشتركة ضد العدو، وفي حالة الإيجاب ما هو هذا العمل؟

٢) «محاولة تصفية الجوّ السائد في علاقات ابن سعود مع الشريف وشيخ الكويت».

٣) «إيجاد حل دائمي أو مؤقت لقضية العجمان».

٤) «المباحثة مع ابن سعود حول طلبه الحاضر للسماح له بضرب نقد نحاسي لنجد».

٥) «البحث في قضية تعيين معتمد سياسي بريطاني دائم في نجد».

وإضافة إلى تلك الأمور طلب إليّ السير برسي كوكس البحث في شؤون منها تقييد المتاجرة بالنظر إلى مستلزمات الحرب، واستحالة تقديم تسهيلات شحن بحري لموانىء الأحساء خلال الحرب، وتقييد تنقلات الحجّ. تلك حرفية التعليمات وروحيتها التي مضت البعثة بموجبها بحراً لأداء مهمتها. وفيما يتعلّق بشخصي لم أغفل قط حقيقة أن الهدف الأساسي والأولي للبعثة هو دعم القضية المشتركة ضد العدوّ بعمل ناجح ضدّ ابن الرشيد.

٥ ـ برنامج البعثة

غادرت البعثة بغداد بعد ظهر ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ ماضية بزورق بخاري إلى البصرة حيث وصلت في منتصف ليلة ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧. قضت ثمانية أيام في البصرة في جمع التجهيزات واللوازم، وقد انتهزت الفرصة خلال هذه المدة من وجود عدد من زعماء عشائر البادية المجاورة في الزبير لأطلع على شؤونهم في سلسلة مقابلات شخصية معهم.

وفي صباح ١١ تشرين الثاني/نوفمبر كان كل شيء جاهزاً للبدء بالسفر، وغادرت البعثة على ظهر الباخرة الملكية «لورنس» التي تفضل بوضعها تحت

تصرفها وكيل الأميرال سي. ست. ويك .C.B آمر القوات البحرية في الخليج الفارسي [العربي] والعراق.

وفي ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر وصلنا إلى البحرين حيث وجدنا أن الوكيل السياسي كابتن بي. جي. لوخ (من الجيش الهندي) قد تفضّل باتخاذ الترتيبات لرحلة البعثة إلى العقير بسفينة شراعية محلية (ضوّ).

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ركبت البعثة السفينة، رافعة علم ابن سعود. ولما كان الكابتن كروزير (من الباخرة الملكية لورنس) قد تلطف فوضع زورقه البخاري تحت تصرّفنا لسحبنا في جزء من الطريق لغياب الريح، فقد تقدمنا بصورة جيدة إلى فم مضيق البحرين.

إن الرحلة من البحرين إلى العقير تمتدّ عادة سبع ساعات أو ثمان، بالسفينة الشراعية، لكن بعد ترك الزورق البخاري انجرفنا بيسر بقية ذلك اليوم، وفي اليوم التالي عند مغيب الشمس رسونا على رصيف العقير في ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧.

من العقير، حيث استقبلنا بالنيابة عن ابن سعود الأمير المحلي عبدالرحمن بن خير الله، ذهبنا إلى الأحساء وبلغنا الهدف في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر. استضافنا هنا بالنيابة عن ابن سعود عبدالله بن جلوي حاكم الأحساء، ثم غادرنا الهفوف في ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر إلى الداخل ووصلنا إلى الرياض حوالى ظهر يوم ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر.

في الرياض، كما ذكرت سالفاً، استقبلنا اللفتنانت كرنل ر. ني. أي. هاملتن المعتمد السياسي في الكويت، وقابلنا بكل ودّ سعادة عبدالعزيز بن سعود وأبوه الإمام عبدالرحمن بن فيصل.

خلال الأيام التالية انشغلت البعثة في المباحثة عن أهداف زيارتها مع ابن سعود. وقد وجدت فيه رجل عمل لا يتعب، وعلى الرغم من ميله إلى الخروج عن نقطة نقاشه ببلاغته القرآنية، رأيته ذا مقدرة عملية طيبة، ومطلعاً بصورة معتدلة على الشؤون العالمية، متفهماً تماماً لتعقيدات السياسة العربية، ولو أنه لم يكن مشاهداً غير منحاز لها، وفوق كل شيء معتقداً حقاً ضرورة التحالف مع بريطانية باعتباره الضامن الوحيد لمصالح بلاده وشعبه الآن وفيما بعد.

وفي منتصف ليلة ٥ كانون الأول/ديسمبر، بعد أن قضيت ما لا يقل عن ٢٤ ساعة من الـ ١٣٢ ساعة التي مرّت منذ وصولي، في مباحثات مع ابن سعود، دون ذكر مقابلات ثانوية مع ابن عمه أحمد بن ثنيان الذي ظهر أنه يحوز ثقته التامة، وكان في كثير من الأحيان يرسل لتمهيد السبيل لبحث موضوعات دقيقة يحتمل أن تثار خلال المقابلات التالية، شعرت أنني مطلع بصورة كافية على حقائق الوضع الأساسية بحيث أستطيع شرح مقترحات نهائية تكون محلّ نظر الحكومة.

وفي الوقت نفسه ظهر جلياً أن ملك الحجاز يبذل قصارى جهده لإحباط عمل البعثة، بالحيلولة دون وصول ممثل عن المندوب السامي في مصر إلى نجد. وقد اتفقنا، أنا وابن سعود، على أن حضور مثل هذا المندوب ليرى بنفسه أحوال هذه البلاد ضروريّ في مصلحة جميع من يتعلق بهم الأمر. وعلى هذا، حين بلغني الخبر بأن الملك قد رفض نهائياً منح خطّ أمان للمستر ستورز بحجة أن الطرق من الحجاز إلى حائل - ربّما قصد بريدة - لم تكن آمنة، قرّرت بموافقة ابن سعود الآنية ضمان إعادة النظر في القرار، بإثبات أن الخطر المزعوم لم يكن موجوداً إلاّ في مخيّلة الملك.

وعلى ذلك قصدت الطائف في ٩ كانون الأول/ديسمبر تاركاً اللفتنانت كرنل «كنليف أوين» مسؤولاً عن أعمال البعثة وواثقاً من عدم إمكان إصدار أوامر نهائية عن مقترحاتي الرئيسية وتبليغها إلى الرياض قبل عودتي.

وصلت إلى البلد المقصود عصر يوم عيد الميلاد، فكنت مذعوراً نوعاً ما لأنني لم أجد المستر ستورز هناك ليقابلني، وليس ذلك فحسب بل وجدت أنه لم يبلغ الملك بوصولي المتوقع. وكان ذلك بلا ريب مقلقاً حقاً. ولا شك عندي أن الملك افترض أن وصولي بدون إعلان، هو نتيجة مؤامرة لإحباط معارضته لمفاوضاتنا مع ابن سعود. ولا أعلم هل اقتنع بعد ذلك أن الإغفال السيء الحظ لإبلاغه لم يكن سوى أمر عارض. وأنا نفسي لا أعلم هل كان ذلك عارضاً.

ومهما يكن الأمر فقد أحسن الشريف حمد وكيل أمير الطائف ضيافتي إلى ٢٨ كانون الأول/ديسمبر حين وردتني دعوة لطيفة من الشريف فغادرت إلى جدّة، لكنني احتطت بترك نصف قافلتي وكل حقائبي الثقيلة في الطائف.

وفي آخر يوم من السنة ركبت إلى داخل جدّة حيث تفضل اللفتنانت كرنل «باسيت» وضباط البعثة العسكرية البريطانية بإسكاني واستضافتي خلال الأسبوعين

التاليين. وبعد أيام قليلة قدم الكوماندر د. ج. هوغارث (من الأسطول الملكي) إلى جدة، ليرأس بصفته الممثل الخاص للمندوب السامي بعض المؤتمرات مع الملك ـ تلك المؤتمرات التي كان الكرنل باسيت يحاول ترتيبها. وأخيراً جاء الملك إلى جدة بعد أن ترك الأمر مشكوكاً عن مجيئه أو عدمه، وذلك بعد يومين من قدوم الكوماندر هوغارث. وخلال الأيام التالية حضرت سلسلة محادثات كان موضوعها الرئيسي العلاقات بين ابن سعود والملك. وحسبي أن أقول هنا إنه حالما ظهر أنه لم تبق فائدة في مواصلة البحث في هذا الموضوع، بالنظر إلى موقف الملك العدائي المتصلّب، قرّرت بموافقة الكوماندر هوغارث والكرنل باسيت أن أستأذن صاحب العظمة بالذهاب. وهناك بعض الدلائل التي أعدّتني سلفاً لما تبع ذلك، وهو رفض الملك الحاسم السماح لي بالعودة برّاً. وكانت جهود الكوماندر هوغارث والكرنل باسيت للضغط على الملك عبثاً، ولم يبق لي إلاّ العودة إلى عملي بحراً.

وقد انتهزت الفرصة بموافقة السير برسي كوكس لقبول دعوة المندوب السامي اللطيفة لزيارة القاهرة في طريقي، وعلى ذلك رافقت الكوماندر هوغارث عند عودته على ظهر البارجة «هاردنغ» التي أبحرت من جدة في ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩١٨. مررنا بينبع والوجه والعقبة في طريقنا ووصلنا إلى السويس في ٢٠ كانون الثاني/يناير. وفي نفس المساء وصلت إلى القاهرة حيث بقيت، بعد فاصلة قصيرة رافقت خلالها الكوماندر هوغارث في زيارة لفلسطين والقدس، حتى ١٦ شباط/فبراير، وكنت أبحث الشؤون العربية فيما يتعلق بعمل البعثة مع المندوب السامي والضباط المسؤولين عن المكتب العربي.

في ١٦ شباط/فبراير، وقد سارت الأمور في طريقها إلى الحلّ النهائي، غادرت القاهرة عائداً إلى البصرة عن طريق السويس وكراتشي وبومبي ووصلت البلد الذي أقصده في ٢٤ آذار/مارس ١٩١٨.

وفي هذا الوقت كان السير برسي كوكس قد سافر في طريقه إلى مصر وإنكلترة، فقرّرت البقاء في البصرة حتى وصول أوامر حكومة صاحب الجلالة بشأن المقترحات النهائية المقدمة في برقيته المرقمة ب ـ ٢٩ والمؤرّخة في ٩ آذار/مارس ١٩١٨ من مسقط.

في ٢٦ آذار/مارس تسلّمت برقية منكم تخبرونني بأن مقترحات السير برسي كوكس حظيت بموافقة حكومة صاحب الجلالة، وهكذا أصبحت حراً للعودة إلى

ابن سعود لإبلاغه بنتيجة مفاوضاتي.

كانت نيتي الأصلية أن أعود إلى ابن سعود، الذي قيل إنه كان آنذاك في الأحساء، عن طريق الكويت. لكن وصول رسل من ضاري بن طوالة المقيم آنئذ في الحفر، وفقاً لتعليماتي السابقة، حملني على السفر إلى البطين شمالاً إلى مخيم ضاري ومن ثمّ جنوباً إلى ابن سعود.

واستناداً إلى ذلك سافرت في ٢٨ آذار/مارس ١٩١٨ بالقطار إلى الزبير، وفي صباح اليوم التالي توغلت إلى الداخل. وصلت إلى مخيم ضاري قرب الحفر في ٢ نيسان/أبريل فاسترحت هناك في اليومين التاليين باحثاً في شؤون البادية، وفي ٥ نيسان/أبريل استأنفت سفري يرافقني ضاري نفسه جنوباً إلى ابن سعود.

وصلت إلى شعيب شوقي على هضبة الأرما (؟) في ١١ نيسان/أبريل ووجدت أن ابن سعود وصلها في اليوم نفسه قادماً من الأحساء. وهنا بقيت إلى ١٦ نيسان/أبريل أبحث في الأمور مع ابن سعود، ثم رافقته إلى الرياض التي وصلناها في ١٩ نيسان/أبريل.

كانت نتيجة مباحثاتي مع ابن سعود صدور تعهد من جانبه بالتحرك للعمل ضد ابن الرشيد في شهر رمضان القادم (حزيران/يونيو - تموز/يوليو)، وصرف المدة الباقية في إحضار التجهيزات اللازمة وعمل الاستحضارات الأخرى لعملياته العسكرية.

إن توقع البقاء بلا عمل في الرياض إلى منتصف تموز/يوليو لم يكن جذاباً، وكنت سعيد الحظ في الحصول على موافقة ابن سعود الفاترة شيئاً ما لأن أقضي قسماً على الأقل من هذه الفترة في زيارة لحدود نجد الجنوبية. وعلى ذلك خرجت من الرياض في ١٦ أيار/مايو عن طريق الحائر والخرج والأفلاج وسليّل إلى وادي الدواسر، ومن هناك رحلت عن طريق هضبة طويق وزرت الحذّار والحمر وستارة والغيل والحوطة، ثم عدت إلى الرياض في ٢٤ حزيران/يونيو بعد غياب ٥٠ يوماً تماماً.

وفي ٥ آب/أغسطس (وقد سبق لتركي الابن البكر لابن سعود أن قام بمحاولة غير ناجحة لافتتاح الهجوم على شمّر) كان كل شيء جاهزاً لبدء الحملة الرئيسية. وقد رافقت ابن سعود من الرياض عن طريق وادي حنيفة والوشم والصرّ والمذنّب وعنيزة إلى بريدة، فوصلناها في ٢٥ آب/أغسطس ١٩١٨.

وهنا نشأ تأخير آخر إذ تجمعت الفصائل المختلفة لقوات ابن سعود الضاربة، ولم يكن إلاّ في ٩ أيلول/سبتمبر ١٩١٨ أن قام ابن سعود نفسه، وقد رفض السماح لي بمرافقته لأسباب سيأتي ذكرها، بالمضيّ للهجوم على حائل. وقد بقيت خلال مدة غيابه في عنيزة، ثم التحقت به في قصيبة بعد عودته من حائل في ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩١٨.

ولما كان تكرار الهجوم فوراً على حائل غير عملي، فقد عدنا مع كل القوة البالغة نحو ٥٠٠٠ رجل إلى الطرفيّة ومنها إلى بريدة، حيث تسلمت فيها في ٤ تشرين الأول/أكتوبر التعليمات المزعجة نوعاً ما من حكومة صاحب الجلالة لغلق العمليات، فقررت بهذا الخصوص المضيّ إلى الساحل، ووصلت الكويت عن طريق الشماسية والزلفى وديجاني والقرعة في ١٦ تشرين الأول/أكتوبر.

لقد قضيت في كل حال نحو تسعة أشهر من المدة التي يتناولها التقرير على الأرض العربية فعلاً، وفي خلال تلك المدة اجتزت زهاء ٢٦٠٠ ميل[١] في السفر. وكان القسم الأكبر من سفري[٢] من الرياض إلى وادي الدواسر والعودة (إلى الرياض) قد مرّ خلال بلاد لم يسبق لأوروبي أن زارها ـ كما أعتقد ـ بينما مكّنتني ظروف سفري، حتى في أراضٍ معروفة أكثر كالوشم والصرّ والقصيم نفسها، من زيارة قرى تقع خارج الطريق الذي سلكه الرحالون السابقون. وقد قام اللفتنانت كرنل «سي رايدر» مدير المساحة في الحملة العراقية بوضع تخطيطات لجزء من خريطتي.

٦ ـ شيوخ منطقة الزبير الداخلية

عند وصول البعثة إلى البصرة حيث كان التأخير القصير ضرورياً لغرض تجميع المؤن والتجهيزات، وجدت أن دعوات قد أصدرت إلى الأصدقاء من شيوخ منطقة الزبير الخلفية لحضور سباق خيل نظّم ليقام في البصرة خلال الأسبوع الأول من تشرين الثاني/نوفمبر.

---

(١) وفقاً لحسابي التقريبي على أساس ٣ أميال للساعة على الأرض الصالحة و٢/١ ٢ إلى ٤/٣ ٢ ميل للساعة في الأراضي الوعرة أو الصعبة المرور.

(٢) عدا منطقة الخرج التي زارها اللفتنانت كرنل كنليف أوين في كانون الثاني/يناير ١٩١٨ خلال مدة غيابي عن الرياض.

بدت الفرصة ملائمة للبحث معهم في شؤون البادية القريبة وعشائرها كمقدمة للأعمال التي قد تدعى البعثة إلى إجرائها في الداخل، وخصوصاً أن المراسلات بين البصرة وبغداد دلّت في حين مضى من الوقت على ضرورة تدقيق مزايا رؤساء شمر والظفير المختلفين الذين يظهرون العواطف الودية والذين تمتعوا زمناً طويلاً بهباتنا السخيّة دون أن يقدموا مقابلاً كافياً في عمل ضد أعدائنا المشتركين.

كان رئيس هؤلاء الشيوخ سعود بن صالح السبهان الذي ترك ابن الرشيد قبل نحو اثني عشر شهراً وانضمّ إلينا فلقي ترحيباً حاراً كحليف، وأُعطي إعانة سخيّة قدرها ٥٠٠٠ روبية شهرياً إضافة إلى السلاح والعتاد والتجهيزات بأمل أن يثبت نفسه مفيداً في قطع طريق القوافل التي تقصد حائل وسائر أماكن العدو. وقد أشيع في وقت ما أنه يعبث بنا ولم يكن ثمّة ريب أنه لم يعمل شيئاً حتى الآن ليستحق الإعانة المقتوحة له والتي خفضت إلى ٣٠٠٠ روبية شهرياً قبل أمد قصير من مغادرة البعثة لبغداد.

ويأتي بعد سعود الصالح في الأهمية ضاري بن طوالة شيخ الأسلم (شمّر) الذي يقبض إعانة ١٠٠٠ روبية شهرياً. وقد كان يسير بسرعة للحلول محل سعود في تقدير الضباط المتعاملين مع البادية، وقد وردت الأخبار مؤخراً فقط بأن سخاءه نحو أتباعه قد أدّى إلى حصوله على أتباع أكثر عدداً تحت إمرته، وأدعى إلى الثقة من منافسه.

وثالث الشيوخ المحليين حمود بن سويط شيخ الظفير الذي كان يتسلم إعانة حكومية أيضاً، وقد عهد إليه بواجب مراقبة سكة حديد البصرة ـ الناصرية من جهة البادية ومنع خروج المهربين من تلك الناحية وتسلّل الأعداء.

في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر رافقت جماعة نظمها المستر (الآن لفتنانت كرنل) ثي.بي. هاويل نائب المفوض المدني في البصرة إلى الزبير حيث تولى ضيافتنا الشيخ إبراهيم. وقد تم تعريفي إلى ضاري بن طوالة وحمود بن سويط ومحمد بن سبهان الأخ الأصغر لسعود الصالح، الذي ربما كان شاعراً بنواقصه السابقة، فأرسل اعتذاراً من حضور السباق شخصياً بحجة المرض. لقد كانت لي مع هؤلاء الشيوخ محادثة أولية عن موضوعات ذات فائدة متقابلة ورتّبت معهم أن يأتوا إلى البصرة للقيام بمحادثات أطول في أحد الأيام في المستقبل القريب. وفي الوقت نفسه

التمست من محمّد أن يوفد رسولاً خاصاً إلى أخيه للتأكيد عليه بأن من المستحسن قدومه شخصياً.

في ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر جاء ضاري وحمود ومحمد إلى البصرة يرافقهم ابراهيم شيخ الزبير، وكان لي مقابلات مطوّلة مع كل واحد منهم بدوره، عدا محمد الذي أخبرته بأنني أحتفظ بالمباحثة عن شؤون أخيه حتى يأتي بنفسه. والحقيقة أن سعود الصالح لم يأتِ قطّ.

كان الشيخ عظيم الفائدة لي في البحث بصورة سرية في مزايا الأشخاص المختلفين الذين أتعامل معهم. وقد كان متحمساً للشيخ ضاري وتوقع الاستعانة به على وجه مفيد لدعم مصالح الحكومة البريطانية. لكنه كان مناوئاً لسعود الصالح الذي وصفه كدجّال لا رغبة له في خدمة أحد بأمانة سوى نفسه. أما بشأن حمود فقد وقف موقفاً مشوباً بعدم الاهتمام لأن رئيس الظفير الحالي لا قيمة شخصية له وهو خلف قليل الأهمية لسلسلة شيوخ جعلوا اسم ابن سويط محترماً ومهيباً في الماضي.

بعد مباحثة تامة وحرة مع إبراهيم وضاري وحمود وبالتشاور مع المستر هاويل انتهيت إلى الاستنتاجات التالية، وهي:

(١) إن سعود الصالح لا يحتمل أن يكون ذا خدمة فعلية لنا ويجب وقف الإعانة التي نعطيها له بدون فائدة أو إنقاصها إلى مستوى شخصي بسيط يدفع بشرط إقامته في مكان واقع في منطقة تابعة لرقاباتنا الفعالة.

(٢) بما أن الظفير الذين يقيمون منذ القديم في قسم البادية الذي يجتازه خط السكة الحديد الآن، فإن حمود بن سويط ورجال عشيرته يمكن استخدامهم بمزيد الفائدة في محل سكناهم ولا يمكن دفعهم لأية غاية مفيدة للقيام بعمليات في الداخل.

(٣) إن ضاري الذي أخذت خلال معرفتي القصيرة له أعلى الانطباع عنه قد يمكن استخدامه بمزيد الفائدة فيما يتعلق بنشاطات بعثة نجد.

وعلى ذلك أبرقت في ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر بالمآل المتقدم مقترحاً:

(١) خفض إعانة سعود إلى ٥٠٠ روبية شهرياً وسحب الأسلحة المقدمة له

قبلاً وإصدار التعليمات إليه شخصياً بالإقامة في الزبير أو البصرة أو المحمرة.

(٢) ترك حمود على وضعه في أداء المهمة المعهودة إليه.

(٣) وزيادة إعانة ضاري من ١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ روبية شهرياً ووضع خدماته منذ الآن تحت تصرّف البعثة النجدية ـ وتسليم البنادق المسحوبة من سعود إليه.

نظراً إلى احتمال قيام عجيمي (السعدون) بأعمال عدائية ضد خط السماوة ـ الخميسية، وحقيقة كون سعود الصالح لا يزال في نظر العدو عاملاً ذا قيمة في جانبنا، فإن السير برسي كوكس لم يكن في وسعه قبول مقترحاتي بشأنه، وقد قرر إرجاء النظر في الأمر إلى فرصة أكثر ملاءمة.

أما مقترحاتي الأخرى فقد حظيت بالموافقة. وقبل مغادرة البعثة للبصرة كانت لي عدة مقابلات طويلة مع ضاري بن طوالة، ورتبت معه أخيراً أن ينتقل جنوباً مع أتباعه خلال مدة تقارب الشهر إلى جوار حفر الباطن، وأن يرسل من هناك رسولاً إليّ إما إلى الرياض أو بريدة لتلقي أوامر جديدة. وقد دفعت إلى إصدار هذه التعليمات بالرغبة في أن يكون ضاري ورجال عشائره على مقربة من مخيّمي في حالة حصول إمكان، بعد محادثة جازمة مع ابن سعود، لدمجهم في مخطط عمل عام قد يقرر تنفيذه. وفي الوقت نفسه يقوم (ضاري) بقطع كل المواصلات بين حائل والشرق والغارة على أية قافلة قد تحاول التسلّل هناك.

إن الأحداث التي جاءت بعد ذلك حالت دون اتصالي بضاري خلال أشهر الشتاء، ولكن حين وصلت البصرة مرة أخرى في آذار/مارس ١٩١٨، وجدت رسولين قدما للبحث عني وقبض متأخر إعانة ضاري الشهرية. وقد رافقتهما إلى مخيم ضاري فوجدته قد نفذ أوامري تماماً حتى إنه، وأنا أيضاً، قد رأينا عدداً كبيراً من أتباع شمّر قد نصبوا خيامهم خلال بضعة الأشهر الماضية على مقربة من آبار الحفر. لم أستطع الحكم على أعماله الفاترة في قضية القوافل المستولى عليها أو التي غزيت: هل كانت تعزى إلى (عدم حصول) الفرص المعقولة أو فتور الإرادة. وأخشى أن يكون الأمر الأخير، ولو أنه حتى هذا التاريخ (ابتداء شهر نيسان/ أبريل) يستحق أن يحسم الشك لصالحه نظراً لفقدان الدليل على أية خيانة من جانبه.

والحق أن الانطباع الحسن الذي أخذته عنه عند أول التعرّف عليه قد زاد في المدة القصيرة التي قضيتها في مخيّمه، وخلال الرحلة التالية إلى شعيب شوقي التي رافقني فيها، وكانت لي الفرصة الكافية للتآلف معه. وقد خاب أملي شيئاً ما حين وجدت أنه لم يكن أقلّ بخلاً من سائر أمثاله، لكنني فكرت في تحويل هذا النقص إلى فائدة.

وبعد أن دفعت له مؤخر إعانته المستحقة له لما يقارب الأشهر الخمسة الماضية، وافقت أن أدفع له سلفاً مخصصات الأشهر الثلاثة التالية استناداً إلى التفاهم بأن يبقى في الحفر وأن يقوم بحملة واسعة ضد كسر الحصار. وبالإضافة إلى ذلك وزعت هدايا سخية إلى ضاري نفسه والرؤساء المختلفين لفروع العشائر المقيمين في مخيّمه وإلى جميع أعضاء الجماعة المرافقة التي لم يكن لكثرتها لزوم والتي ارتأى ضرورة لمرافقتها إياي.

لما وصلت إلى شعيب شوقي استشرت ابن سعود حول استخدام ضاري لدعم القضية المشتركة، ومع أنه كان شاكاً نوعاً ما في حسن نيّته فقد وافق على أن التجربة تستحق الاختبار وأن الحفر تكون أفضل مركز للقيام بعمليّاته. خلال الأيام القليلة التي بقي فيها ضاري في مخيّم ابن سعود انتهزت كل فرصة سانحة للتأكيد عليه بأن استمرار معاملة الحكومة السخيّة له تتوقف تماماً على جهوده لدعم قضيتنا المشتركة، وأسرّ إليه ابن سعود نفسه ببعض مخططاته للهجوم على شمّر المعادية في رمضان، وأنه في تلك الحالة يتوقع من ضاري أن يقطع خط انسحاب العدو. وبعد هذه المعاملة السخيّة التي عومل بها والتعليمات الصادرة إليه بدقة عن «الدور» الذي سيقوم به، عاد ضاري إلى الحفر معرباً بكل حرارة عن شكره وعزمه على التنفيذ بإخلاص للترتيب المتفق عليه.

خلال شهر من وصوله إلى الحفر غادر مركزه وانتقل إلى صفوان حيث استقبل حسب الظاهر بالترحاب ودون سؤال ما. وبعد مدة قصيرة، عملاً بخبر من الوكيل السياسي في الكويت عن كوني مقطوع الاتصال به، نقل من منطقة عملي بدون الاستفسار مني. وفي الوقت المناسب وصل إلى حائل نحو ٥٠٠ بعير محملة ببضائع من الزبير أو الكويت ومارّة عن طريق ضاري ـ والدليل الذي لديّ على ذلك لا يترك مجالاً للشك.

ولم يكن ذلك فحسب، بل إنه حين هجم تركي نجل ابن سعود على شمّر قرب

آبار عجيبة حسب المنهاج المقرر سابقاً، انسحب العدو سالماً إلى آبار بعيدة، إذ إن آبار الحفر كانت في ذلك الوقت مشغولة بالنيابة عن ضاري من جانب فرع الوهاب من شمّر، وهم معادون لابن سعود، ولم يعارضوا إخوانهم المنسحبين.

ومن الواضح تماماً أن ضاري، وقد علم الآن أن هجوم ابن سعود المزمع سوف يرغمه على التنازع مع إخوانه الشمّريين، قرّر التحرّك من منطقة الخطر دون تأخير. وجريمته لا يمكن اغتفارها، وهي تمثل عبث وضع الثقة في شمّر التي كان تضامنها القبلي مشهوراً في كل أنحاء الجزيرة العربية.

على أي أساس أخبر الوكيل السياسي في الكويت أن اتصالي كان مقطوعاً مع ضاري؟ ذلك ما لا أعلمه. لقد جاء لا يحمل أي دليل على مجيئه بإذن مني، فكيف سمح له بالنزول في صفوان والمضيّ إلى أسواق الزبير والكويت؟ أنا لا أفهم ذلك. ومهما يكن من الأمر فإنه، وقد خسر ثقتي بعمل خياني، لم يجد صعوبة في الحصول على ثقة السلطات في البصرة. ومن ذلك الحين، في مركزه الآمن في صفوان، قام بالاتفاق مع العجمان المقيمين في الكويبدة تحت الحماية البريطانية، وبذلك مصونين من هجوم ابن سعود المباشر، باتخاذ موقف مؤذ لشعب نجد، وأصبح أخوه سطام بن طوالة شخصاً بارزاً ومتزعماً لعدة غارات من شمّر عجمان على أقاليم ابن سعود خلال الأشهر التالية.

إن احتجاجاتي في هذا الموضوع لم تؤثر في إعادة النظر في الأوامر التي صدرت، بل أدت إلى خفض راتب ضاري من ٣٠٠٠ روبية إلى ١٠٠٠ روبية شهرياً. وبعد بضعة أشهر وجد الصقافة ليكتب إليّ محتجاً على تخفيض مخصصاته وطالباً تدخلي في الموضوع، لكنه لم يتسلّم أي جواب. وهذه القضية مثل قضايا أخرى كثيرة لا أهمية لها إلاّ من الناحية الأدبية، لكنني وجدت من الضروري ذكرها ببعض التفصيل، نظراً إلى أثرها السيء على الرأي العام في نجد في وقت كانت فيه الإشاعات الكاذبة المختلفة بكثرة في الكويت تثير الشكوك في مصير الحرب النهائي. وكان يقال بحرية إننا كنا نخاف أن نتخذ عملاً شديداً ضد الأعداء المحتملين، وعلى استعداد لاسترضائهم بأية صورة كانت. ومغزى ذلك واضح: فإن سياسة ابن سعود المتّسمة بالصبر على احتمال الإهانات وحتى التهجمات أصبح موضع الانتقاد وعدم القبول علناً.

إن تعاملنا مع شمّر لم يرفعنا حقاً في تقدير الشعب النجدي. ولعلّ ذلك قد

أوحت به ضرورة الاعتبارات العسكرية، لكن هذا الأمر في نفسه يعتبر اعترافاً بضعف من الخطر إظهاره أمام شعب جاهل ومعاد عموماً.

وقد قال الإمام عبد الرحمن نفسه وأيّد كلامه المرجع الوهابي الأعلى: «إما أن الحكومة البريطانية تستطيع ولكن لا تساعدنا، أو إنها تريد ولا تستطيع - وفي كلا الحالين يجب أن نكون مستعدين لمساعدة أنفسنا».

٧ - عناصر شمّرية أخرى

في القسم السابق تحدثت طويلاً عن ضاري بن طوالة الذي قام، مع سعود الصالح السبهان، بتجميع عناصر كثيرة من شمّر على مقربة من الزبير وصفوان حيث كوّنوا تهديداً دائماً لابن سعود، وعلى كل حال مصدر تجهيز صعب لإخوانهم من رجال العشائر في حائل وحواليها. ولكن، من وجهة نظر هجوم ابن سعود المرتقب ضد حائل، دفعوا إلى الحياد عدداً كبيراً من الناس المحتمل انضمامهم إلى قضية ابن الرشيد.

وعناصر شمّرية أخرى، مثل فروع العبدة وتومان، ممن لم يكن لي اتصال مباشر بهم، شغلوا وضعاً مماثلاً في أهوار الفرات إلى الشمال وهناك أصبحوا تحت إشراف وكيل اللفتنانت كرنل جي.ئي ليتشمان الضابط السياسي في البادية.

عبّر ابن سعود من حين إلى آخر عن خوفه من أن هذه العناصر، بينما تستفيد من قبولها في أسواق العراق، هي في الحقيقة تنتظر الوقت المناسب للانضمام إلى ابن الرشيد حالما يتقدم هجومه. وقد وجدت من الصعب نوعاً ما تبرير سياستنا في هذا الموضوع له. ومع أنني شرحت له الفائدة الفورية والواضحة لتحييد ابن عجيل وأتباعه من العبدة بالسماح لهم بالدخول إلى أسواقنا على مستوى ضيّق جداً، فقد كنت أحثّه على الهجوم بينما أولئك بعيدون، أملاً في أن الكرنل ليتشمان يستطيع تقييد نشاطهم في حالة فتح الهجوم.

في الوقت نفسه كان ابن سعود نفسه يغازل فرع سنجارة تحت رئاسة عدوان وغضبان بن رمال اللذين أظهرا علامات استطلاعية لقبول عرضه ملجأ لهما في البادية بين الكويت والدهناء.

وعلى كل حال خلال بضعة الأشهر الأخيرة للمدة التي يتناولها هذا التقرير بقي وضع شمّر غامضاً ومعقداً، ولم يكن في المستطاع تكوين تقدير لعدد رجال العشائر

الذين يحتمل تجمّعهم للدفاع عن حائل في حالة قيام ابن سعود ببدء الهجوم والمحافظة عليه.

وفي الظروف المتغيّرة لا فائدة الآن من تخمين ما قد كان يمكن حدوثه ـ وكل ما نستطيع قوله بصورة أكيدة هو أنه، حين قام ابن سعود أخيراً بتوجيه ضربته الأولى ضد ابن الرشيد، وجد الميدان خالياً من العناصر المعادية وأن مواصلة المعارك أصبحت لا لزوم لها قبل أن يعلم الجواب الذي تقدمه العناصر الشمّرية على حدود العراق لدعوة ابن الرشيد العامة إلى السلاح للدفاع عن حصنها العشائري.

٨ ـ العلاقات بين نجد والكويت

كما قلت قبل هذا، إن اللفتنانت كرنل هاملتن، الوكيل السياسي في الكويت، كان في الرياض منذ نحو ثلاثة أسابيع قبل مجيء البعثة. لقد ترك الكويت حوالى أوائل تشرين الأول/أكتوبر في مطاردة قافلة شمّرية كبيرة حصلت على تجهيزات واتجهت إلى حائل خلال غيابه الوقتي في بغداد. وقد فرّت القافلة، ومضى الكرنل هاملتن إلى القصيم حيث كان تركي، أكبر أبناء ابن سعود، غلاماً في التاسعة عشرة تقريباً، يقود القوات النجدية مهدداً جبل شمّر، ورحل من هناك إلى الرياض.

عند وصول البعثة إلى الرياض أتيحت للكرنل هاملتن ولي فرص كثيرة للمباحثة في كل الأمور التي كانت موضع جدال بين ابن سعود وسالم شيخ الكويت، وبناء على طلبي بقي في الرياض لكي تفيد البعثة من خبرته ومشورته حتى حصول تسوية نهائية للصعوبات الموقوفة بين الحاكمين، أي إلى ٥ كانون الأول/ديسمبر، حين عاد إلى الكويت.

كان واضحاً منذ البداية أن إحدى المسائل ـ مشكلة العُجمان ـ كانت ذات أهمية شديدة وأن البعثة ـ سواء لأسباب عسكرية وسياسية ـ لا تكاد تأمل النجاح في مهمتها الرئيسية، وهي حثّ ابن سعود على القيام بعمليات عسكرية كبيرة ضدّ ابن الرشيد وجبل شمّر ما لم تحل هذه المشكلة، وحتى يتم ذلك بصورة مرضية. وفي الوقت نفسه كان مما يبعث على الارتياح أن نلاحظ خلال مقابلاتنا الدائمة والمطوّلة مع ابن سعود، أنه كان يميل إلى المجيء إلى أكثر من نصف الطريق للاتفاق معنا في تسوية القضايا الصغرى، وهي فرض حصار فعّال على حائل، وحق فرض الضريبة على عشيرة العوازم ـ إذا تمكن من حلّ المشكلة الرئيسية بصورة مرضية له.

وهذا كان الأسهل لنا لأنه على فرض أن عداء عشيرة العجمان لابن سعود شديد ومتصلب كعدائه لها، فإن الاعتبارات العسكرية وحدها جعلت من الضروري إزاحة القبيلة من أي وضع يتيح لها تهديد جناحه أو مواصلاته في حالة تجريده حملة للحرب ضد حائل.

قبل البدء ببحث هذه المشاكل المختلفة يكون من الصواب محاولة ذكر موجز عن العلاقات القائمة بين أسرتي ابن سعود وابن صباح حتى هذا الحين.

خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، حين خضعت بلاد الوهابيين لحكم ابن الرشيد، أقامت بقايا آل سعود المشرّدة في المنفى في الموانىء المختلفة لساحل الخليج الفارسي [العربي]. وقد طلب عبد الرحمن أصغر أبناء فيصل آل سعود الكبير، اللجوء إلى الكويت بعد محاولة فاشلة لاستعادة حكمه في بلاد آبائه، فأجيب طلبه فوراً وأكرم مثواه في بلدة الكويت، حيث عاش هو وأسرته النامية تحت حماية محمد أولاً، ثم مبارك بن صباح، ينتظر تبدل الحال الذي لا بدّ من حلوله. ومبارك الذي اعتلى عرش الكويت على اثر قتله أخاه، سرعان ما تم الاعتراف به كقوة يحسب لها حساب في جزيرة العرب. لقد كان سياسياً ودبلوماسياً داهية، وكان كفؤاً لسعدون الكبير ولم يفقه في القوة سوى محمد بن الرشيد الذي كان في ذلك الوقت يحكم جزيرة العرب الوسطى كلها. والتنافس بين هؤلاء الثلاثة أدّى بطبيعة الحال إلى الحرب المستمرة، وقد رأى مبارك بحكمته السياسية في أسرة سعود المنفيّة مصدراً محتملاً للقوة في منازعاته مع منافسيه وخصوصاً مع ابن الرشيد.

وفي بداية هذا القرن، أي في ربيع ١٩٠١، بعد أن دخل مبارك في حلف مع سعدون، خرج ترافقه قوة نجدية بإمرة الإمام عبد الرحمن بن سعود للحرب فصلاً للأمر مع عبد العزيز بن الرشيد الذي ارتقى مؤخراً العرش الذي خلا بموت محمد الكبير. وفي الوقت نفسه سار عبد العزيز بن سعود حاكم نجد الحالي بقوة قدرها ١٥٠٠ رجل لفرض الحصار على الرياض.

خيّم مبارك وحلفاؤه في الطرفيّة بينما نزلت شمّر في الصريف. وكانت المعركة المعروفة بوقعة الصريف، ولو أنها حصلت في الطرفيّة، إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ البدو. وقد هرب مبارك الذي اندحر في معركة دموية مع بقايا قوته، بينما رفع عبد العزيز الحصار عن الرياض بسرعة وعاد مسرعاً إلى الكويت. لكن عبد

العزيز بن الرشيد عجّل مصيره هو نفسه بالفعل الذي فعله بانتصاره، وأتبعه بالعقاب القاسي الذي أنزله بمدن وقرى السدير وسائر أنحاء نجد.

وفي السنة التالية استعاد عبد العزيز بن سعود، ومعه أتباع لا يزيدون على ١٥ رجلاً، الرياض بحركة جريئة حقاً، وخلال سنوات قليلة أعيدت الحدود القديمة للأقاليم الوهابية في جزيرة العرب الوسطى إلى سابق حالتها. وقد لقي عبد العزيز ابن الرشيد مصرعه في معركة مع ابن سعود في روضة المهنا سنة ١٩٠٨ وانقلبت أوضاع ابن الرشيد وابن سعود في جزيرة العرب الوسطى.

هذا التقلب المفاجىء في الحظ وتأسيس حكومة ثابتة وبقوة وسرعة في نجد بيد حاكمها الشاب، لم يكن مستحبّاً لدى مبارك الذي أمّل بلا ريب زيادة نفوذه الشخصي بكسر قوة ابن الرشيد، بينما في الحقيقة أضيف عامل رابع إلى الزعماء العرب الثلاثة السابقين، وأظهر الرابع بسرعة أنه يماثل أيّاً من منافسيه في القوة والثبات.

غير أن مظهر الصداقة الخارجي بين نجد والكويت يبدو أنه حوفظ عليه في حياة مبارك، بينما قال لي ابن سعود إنه في أكثر من مرة طلب الإفادة من خبرة مبارك ومشورته الناضجة خصوصاً فيما يتعلق بالخط الذي يتّبعه نحو الحكومتين البريطانية والتركية. وحدثني عن الفائدة التاريخية فقط ودون شعور عدائي عن المحاولات التي أجراها مبارك أحياناً ليجتذب إلى نفسه ولاء العشائر النجدية بالمكائد السياسية التي كان فيها أستاذاً بارعاً.

وحين خلف جابر مبارك سارت العلاقات بين نجد والكويت سيراً حسناً في أعقاب الأوضاع السابقة. كان الحاكمان ثابتين في صداقتهما للحكومة البريطانية ـ وذلك دافع إضافي لهما للاحتفاظ بالصلات الودية بينهما ـ لكن كان من المعروف أن سالم، أخا جابر، ولي عهد المشيخة لم يكن معادياً فحسب لحاكم الكويت الجديد بل كانت له ميول قوية نحو الأتراك، بينما جعل تعصبه من ابن سعود والوهابيين أعداءه الخصوصيين.

لذلك كان من سوء الحظ لجميع أصحاب العلاقة أن مات جابر فجأة، وخلفه سالم في الكويت. والحقيقة أن هذا الأخير أعلن ولاءه لبريطانية وعزمه الثابت للعمل في سبيل القضية المشتركة، لكن سلوكه منذ البداية جاء مخالفاً لما أعلنه.

إن الكويت التي كانت دائماً وإلى حدّ ما بصورة لا يمكن منعها، منفذاً لتهريب

البضائع إلى أماكن العدوّ، أصبحت بسرعة مشهورة كمصدر التجهيز الرئيسي للعدو. ويجب الاعتراف بأنه على أكثر الاحتمالات يمرّ كثير من المواد التي تصدّر على هذه الصورة خلال القصيم إلى حائل لمنفعة التجار في القصيم. وكانت احتجاجات السلطات البريطانية لدى الشيخ سالم تقابل بالجواب الآني بأن ابن سعود، وليس هو نفسه، المسؤول عن حالة الأمور المؤسفة، بينما الاحتجاجات لابن سعود قوبلت بالجواب بأن الشرّ يجب أن يوقف في مصدره، أي الكويت.

وهكذا كان تعارض المصالح السياسية ـ فضلاً عن المالية ـ قد أثار النهج الذي أعدته الكراهية الدينية، وحل العداء محل الصداقة التقليدية بين آل سعود وآل صباح، وهو عداء حقيقي مهما يكن خفياً، احتراماً لأوامر دولة أقوى من الطرفين ومتحالفة مع الاثنين.

ثم عقبت الاتهامات المضادّة بشأن الحصار أعمال عداوة سياسية مقنّعة. وكانت عشيرة العجمان الهاربة من انتقام ابن سعود قد طلبت اللجوء إلى إقليم الكويت ونالته قبل ارتقاء سالم لسدّة المشيخة بترتيب من الحكومة البريطانية اشترك فيه ابن سعود وجابر، وكان أحد شروطه الأساسية أن تسلك العشيرة مسلكاً حسناً وأن رؤساءها الذين التجأوا إلى حائل أو مع عجيمي بن سعدون لا يسمح لهم بالدخول إلى إقليم الكويت. مع ذلك قام سالم، وقد رأى في هذه المشكلة وسيلة لإزعاج ابن سعود، بإظهار حمايته للعشيرة بصورة علنية لا حاجة لها، ورحب بعودة الرؤساء المبعدين. وردّ ابن سعود على ذلك بفرض الضريبة على عشيرة العوازم التي يدعي ابن صباح حق السلطان الوحيد عليها حين عبرت حدوده بحثاً عن المرعى.

والخلاصة أن البعثة حين وصلت إلى الرياض وجدت العلاقات بين حليفينا على أشدّ ما تكون من التوتر ـ مع سالم في موقف أقوى نوعاً ما في الوقت الحاضر نظراً إلى النفور الطبيعي من جانب السلطات البريطانية لزيادة عدد أعدائها بالإصرار على طرد العجمان من إقليم الكويت إلى محلهم الممكن الوحيد ـ وهو إقليم حائل المعادي، والبادية بينه وبين الفرات.

٩ ـ مشكلة العجمان

لكي نفهم بصورة صحيحة موقف ابن سعود من قبيلة العجمان وأثر المشكلة في السياسة النجدية، لا بدّ من الرجوع إلى سنوات الستين والسبعين من القرن

الماضي، حين تبع وفاة فيصل بن سعود كفاح دمويّ شديد على الحكم بين ولديه الكبيرين عبد الله وسعود، وانتهى بكارثة ليس لسعود الذي سقط قتيلاً في المعركة فحسب ولكن للأسرة السعودية نفسها التي مضت بقاياها إلى المنفى، بعد أن احتل أقاليمها محمد ابن الرشيد حامي عبد الله الاسمي وسيده الفعلي.

سجّل بالكريف (Palgrave) الانطباع الذي حصل لديه في زيارته للرياض سنة ١٨٦٢ عن الكراهية غير المقنّعة القائمة بين الأخوين حين كان فيصل لا يزال حياً، للتفريق بينهما. وقد خلف عبد الله الابن الأكبر أباه، لكن سعود لم يتأخر كثيراً في رفع لواء الثورة فانضمّ إليه أتباع كثيرون، ومعظمهم من العجمان عشيرة أمه.

لا ضرورة هنا لتتبع تقلبات الكفاح الذي انتهى، كما ذكرنا آنفاً، ولكن ليس قبل نجاح سعود في الاستيلاء على الحكم من عبد الله ليحظى به لأمد قصير ـ وتلك ظروف شديدة الأهمية في السياسة النجدية لأن في هذه الفترة المؤقتة التي تولى فيها جدهم الحكم، وكون خط الوراثة في آل سعود يؤول إلى أكبر الأسرة سناً على قيد الحياة ـ ولما كان عبد الله قد مات دون عقب ـ فقد وضع أبناء سعود دعواهم على أساس كونهم أصحاب الحق في حكم نجد. وهذه الدعوى التي عزّزت فعلاً بثورة علنية، ولكنها غير ناجحة، على الحاكم الحالي، في أكثر من مناسبة واحدة.

إن المطالبين بالحكم كانوا دائماً أعضاء فرع سعود الذين ينحدرون من سلالة العجمان من جهة أمهم ـ وهذه الحقيقة تمكنهم من الاعتماد على الدعم المخلص من جانب هذه العشيرة القوية والمحاربة، في كل محاولة يقومون بها ضدّ الفرع الحاكم الحالي، الذي يعتمد حقه في الحكم على ضربة استرجاعه لبلاد آبائه من المتغلب القريب وليس على أقدمية سلالته لأن عبد الرحمن أبا الحاكم الحالي رابع أبناء فيصل.

وأخطر محاولة للسلالة المطالبة بالحكم لاسترجاع «العرش» حدثت في نحو سنة ١٩١٠ حين كان ابن سعود محاطاً بالأعداء فعالج حالة خطيرة ببراعة فائقة. ولا حاجة للقول بأنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بالحرب مع ابن الرشيد الذي طلب بنجاح تعاون شريف مكة. وتقدم الشريف إلى التلال حوالي الكوّى (؟) وفاجأ قوة وهابية صغيرة برئاسة سعد أخي (عبد العزيز) ابن سعود، فأسره قبل أن يستطيع (عبد العزيز) أن يأتي لنجدته. وفي الوقت نفسه هدّد ابن الرشيد القصيم في

الشمال، ووردت الأخبار بسرعة أن المناطق الجنوبية قد أعلنت ولاءها للمطالبين بالحكم من العرايف(*) الذين وجدوا الفرصة ملائمة لضربة جريئة.

كان ابن سعود في وضع خاسر مع الشريف نظراً إلى أن هذا كان يحتفظ بأخيه المفضل سعد أسيراً، فوافق على شروط في غير صالحه، وحصل على إطلاق سراح أخيه، ثم سار لمقابلة ابن الرشيد. وهنا أيضاً جرت المفاوضات التي أدّت إلى الهدنة وأنقذت ابن سعود من الأخطار الفورية، وسمحت له بشنّ معركة قصيرة في المناطق الجنوبية استطاع خلالها دحر المطالبين بالحكم، وإنزال العقاب الشديد على البلدان التي ساعدتهم.

ومرة أخرى في بداية سنة ١٩١٥، حين كان ابن سعود يرافقه الكابتن شكسبير ويتصرف كحليف لنا، قابل ابن الرشيد في معركة جراب. وكان ذلك، كما قال، يعود كلاً أو جزءاً لخيانة فريق العجمان وانشقاقهم في وقت كان دعمهم المستمر يعطيه على كل احتمال نصراً مؤزّراً، فلم يسعه إلاّ الاكتفاء بحرب متكافئة ذهب فخرها بلا ريب إلى ابن الرشيد، ولو أن هذا لم يستطع أن يستفيد منها عملياً.

وهذا يأتي بنا إلى الفصل الأخير من مأساة العجمان، الذي مثّل في الحساسنة سنة ١٩١٦ حيث قاد ابن سعود قواته للانتقام من العشيرة بسبب انشقاقهم الخياني عنه في موقعه جراب وسائر أعمالها العدائية. ووجد العجمان أنفسهم أقلّ عدداً، وطلبوا هدنة، فوافق عليها ابن سعود تكرماً منه، على شرط أن يلتقي الفريقان المتنافسان في الغداة للنظر في ترتيب سلم نهائي. وكان سعد أخو ابن سعود غائباً عند الموافقة على الهدنة، فلما عاد في مساء اليوم نفسه استاء إذ وجد أن المعارك قد أوقفت. وقد اغتاظ من هذا التساهل من جانب أخيه، فوضع مشروعاً لهجوم فجائي على رجال العشيرة الذين لم يخامرهم أي شك واستسلم ابن سعود في ساعة ضعف لإلحاحه الشديد.

حارب العجمان الذين فوجئوا وكانوا قلّة في العدد كالوحوش الضارية المغلوبة على أمرها. وكانت النتيجة أن خيرة قوات ابن سعود تأذت في المعركة. وأكثر من

(*) يعرف أحفاد سعود بن فيصل بهذا اللقب لأنه، بعد معركة روضة المهنا (١٩٠٨) التي اندحر وقتل فيها عبدالعزيز ابن الرشيد من قبل ابن سعود، وقد وجد المنفيون من سلالة ذلك الفرع بين الأسرى المستولى عليهم في المخيّم المتروك. وتستعمل عبارة «عريف» أو «عرافة» عموماً للدلالة على الحيوانات، ولاسيما «الأباعر» المفقودة والتي تسترجع مع العدوّ.

ذلك وجد سعد بين الأموات، وجرح ابن سعود نفسه، في حين أن رجال العشيرة المنتصرين لم يضيعوا وقتهم والتجأوا إلى داخل حدود أراضي الكويت فارين من الانتقام الذي كان سيلحق بهم على وجه التأكيد.

وهذا سبب المشكلة كلها: ولكن لا شك أن العجمان الذين ظهروا إلى آخر الأمر أنهم هم الأنذال في المسرحية كان الحق إلى جانبهم في الحل النهائي، وأن سعداً بتوصيته للقيام بعمل خياني معيب قد استحق القدر الذي أصابه.

مع ذلك لا يمكن أن يتوقع ابن سعود أن يرضى بحكم القدر حكماً نهائياً، ولا نية له أن يفعل ذلك إذا استطاع المرء أن يحكم من الطريقة التي يعرض بها في كل مناسبة علنية أيتام أخيه المحبوب لديه لأنظار العموم، وينطق بخطب مؤثرة عن ضرورة الانتقام للسوء الذي حصل، ليس لهم ولنفسه بحسب، ولكن للشرف أيضاً ـ متناسياً بما عرف عن البدو من الافتقار إلى المنطق، الاعتبار المهمّ بأن مسؤولية هذه المأساة كلها لا تقع على أحد سواه.

ومهما يمكن من أمر فإن مجيء العجمان لاجئين من غضب ابن سعود في داخل حدود الأراضي الكويتية، كان أمراً خطيراً لا تستطيع السلطات البريطانية تجاهله. وقبول الثوار ـ وهذا حقيقة كيانهم ـ بدون شرط في ظل الحماية البريطانية لم يكن إلاّ ليؤثر في علاقاتنا بحليف عربي مهمّ، في حين أن مطالب العدل العام وخصوصاً العرف العربي، كانت تتطلب أن يمنح اللاجئون حق اللجوء، على الأقل بصورة وقتية، حتى يتم النظر في مزايا القضية والمصالح المتداخلة.

وعلى ذلك تذاكر السير برسي كوكس حول الموضوع مع ابن سعود وشيخ الكويت بمناسبة الاجتماع الذي عقد في الكويت في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦. وبالنظر إلى المصالح الكبرى المتداخلة بمناسبة الحلف المبرم حديثاً بين الحاكمين العربيين والحكومة البريطانية لتنشيط الحرب ضدّ العدو المشترك، وضع حلّ وسط وافق عليه ذوو العلاقة جميعهم، وقد تعهد ابن سعود بموجبه بأن لا يضرب العجمان في منازلهم الجديدة بشرط أن يمتنعوا بدورهم عن ضرب عشائر نجد وأن يقطعوا كل صلة مع الفروع التي نزعت إلى حماية العدوّ.

وكان المزمع أن يبقى هذا الاتفاق نافذاً إلى نهاية الحرب، كما كان المؤمل أن يكتفي العجمان بالأمان الذين حصلوا عليه بهذه الصورة تحت حماية الحكومة

البريطانية ويقوموا من جانبهم، بمراعاة الشروط المفروضة عليهم بمزيد الإخلاص.

لكن عدم الاستقرار الفطري للخلق العربي لم يلبث أن جعل الآمال المعقودة على هذا الاتفاق عبثاً. ويصرّح ابن سعود ـ ولا يمكن معرفة مدى صدقه ـ أن حركة مزمعة من جانبه ضد قوات شمّر خلال صيف ١٩١٧ وجب صرف النظر عنها بسبب حركة مفاجئة من العجمان هددت جناح قواته. وليس ثمة من ريب أن العجمان تحرّكوا إلى الجهة التي ذكرها ابن سعود، ولكن ليس هنالك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن عملهم قد سببه دافع سوى ضرورة التحري عن مراع جديدة لقطعانهم وأباعرهم. ومع ذلك كانت تلك الحركة إخلالاً باتفاق تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٦، ولو أن ابن سعود كان آنذاك لا يزمع الهجوم على شمّر فإن حركة العجمان كانت للأسباب العسكرية وحدها، كافية لإيقافه، في حين أن تخلّف الشيخ سالم عن الإصرار على مراعاة ضيوفه للاتفاق عاد على الحكومة البريطانية بتهمة الإخلال بالثقة.

لم يفوّت ابن سعود الفرصة لتقديم احتجاج عن الطريقة التي روعي فيها الاتفاق من جانب الموقعين الآخرين عليه عداه. وحصلت فرصة أخرى بسرعة، في اليوم السابق لمغادرة البعثة من العراق، وذلك بوصول ضيدان بن حثلين، أحد شيوخ العجمان المنفيين بموجب أحكام الاتفاق، إلى الكويت.

ومن الحق أن يقال إن التماسه للّجوء قد أجاب عليه السير برسي كوكس مشترطاً لأجل الموافقة عليه وجوب إبراز كتاب توصية من ابن سعود. لكن على الرغم من ذلك جاء ضيدان وأتباعه للإقامة في الأراضي الكويتية بدون تلك التوصية وبموافقة شيخ الكويت. وترك الأمر للبعثة لتجد الترتيب الذي يمكن التوصل إليه بالتشاور مع ابن سعود.

ولما وصلت البعثة إلى الرياض وجدت أن ابن سعود، على أساس الأسباب الأدبية وحدها، له قضية لا يمكن ردها، لأنه كان في وسعه أن يشير إلى حادثين منفصلين للإخلال بالاتفاق الذي أبرمته الحكومة البريطانية ولم تحاول تنفيذه، بينما قام هو نفسه بمراعاته نصاً وروحاً. يضاف إلى ذلك أن البعثة، ومهمتها الرئيسية حثّ ابن سعود على الهجوم الفعال على العدو، لم يكن في وسعها أن تغضّ النظر عن التأثير المحتمل للوجود الإيجابي أو السلبي لقوة كبيرة معادية إلى جناح جيش

ابن سعود أو وراءه. وقد قررنا، لأسباب عسكرية فقط، أن ابن سعود لا يتمكن من التحرّك طالما بقي العجمان في الأراضي الكويتية. ومن جهة ثالثة، ارتأينا، لأسباب سياسية أقلّ قبولاً، أن من المستحسن استرضاء ابن سعود على حساب عشيرة ليس لها، على كل حال، أي حق على اعتباراتنا الوديّة، إذ إن هذا الاسترضاء كفيل بأوفر النتائج من نواح أخرى. مع ذلك، وقد قررنا لأسباب أدبية وعسكرية وسياسية أن العجمان يجب أن يغادروا الأراضي الكويتية، بذلنا قصارى جهودنا لدى ابن سعود للحصول لهم على أفضل الشروط الممكنة. وفي سبيل هذه الغاية شرحنا له أنه ليس من الحكمة، لأسباب عسكرية فقط، زيادة عدد أعدائنا الفعّالين إذا أمكن تحاشي الأمر بضمان حياد أولئك الذين لا يمكن أن يكونوا أصدقاء لنا ولكنهم لا رغبة لهم في معاداتنا.

وافق ابن سعود على ذلك بعد نقاش طويل، وتقرر أخيراً أن يترك العجمان ليختاروا أحد هذه البدائل، ولكل منها مزية مزدوجة لإخراجهم من الأراضي الكويتية وتقليل أحد المصادر الممكنة للاحتكاك بين ابن سعود وابن صباح، وهي:

(١) أن تنتقل العشيرة بأجمعها إلى الشمال وتنضمّ إلى فهد بن هذال حليفنا زعيم عنزة (العمارات) وتبدي حسن نواياها لقضية الحلفاء بالعمل معه أو البقاء على الحياد الودّي.

(٢) أن يأتي كبار مشايخ العشيرة فيعرضوا الخضوع الرسمي لابن سعود الذي تعهد بالعفو عن جريمتهم السابقة بشرط إقامتهم بسلام في المحل الذي يعيّنه.

(٣) إنه في حالة عدم قبولهم للبديلين السابقين، يجب أن يتحوّلوا فوراً من أية أراض بريطانية أو كويتية يكونون فيها ويعاملوا بعد ذلك معاملة الأعداء حيثما وجدوا.

لقد نقلت هذا الترتيب ببرقيتي المرقمة م ـ ٤ والمؤرخة في ٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٧ وأخبرت السير برسي كوكس في الوقت نفسه بأنه، إذا وافق على ذلك، يعلن الكرنل هاملتن عند عودته إلى الكويت هذه الشروط المفروضة على العشيرة لرجالها.

لست على علم واضح بما تم من تعامل الكرنل هاملتن مع الرؤساء العشائريين، لكن كان جلياً من مذكرة كتبها في أيلول/ سبتمبر ١٩١٨ الكابتن

ب. جي. لوخ، وكان آنذاك الوكيل السياسي في الكويت، أن مفاوضاته انقطعت، وأجريت محاولة أخرى لإيجاد تسوية للمصاعب في شباط/فبراير ١٩١٨ حين وقع اتفاق بين الكرنل هاملتن والشيخ سالم وضيدان بن حثلين كبير شيوخ العجمان (المنفي سابقاً) الآنف ذكره ينص على منح العشيرة ملجأ على مقربة من الزبير وفقاً للشروط الآتية:

(١) أن تقيم العشيرة كلها في داخل الأراضي المحتلة، أي الزبير أو محل آخر يتم تعيينه.

(٢) أن لا تعود العشيرة بأي حال من الأحوال إلى الدخول في حدود الأراضي الكويتية. يضاف إلى ذلك، وإن لم ينصّ على ذلك حرفياً في الاتفاق، أن من الواضح أنه فرض على العجمان بهذه الشروط واجب الامتناع عن كل اعتداء على أراضي ابن سعود أو عشائره - أي أن العشيرة لم تكن تستطيع حقاً أن تغزو نجد دون المرور بالأراضي الكويتية وبذلك تخلّ بالشرط الثاني الوارد أعلاه.

وهكذا دخلت الحكومة البريطانية مرة أخرى في اتفاق مع عشيرة العجمان، وظهر منذ البداية أن الترتيبات مصيرها إلى الإخفاق.

في المحل الأول، بعد التوقيع على الاتفاق، وجد أن العجمان لم يكونوا على عجل للانصياع لشرط الإقامة في الزبير، والشيخ سالم لم يبذل جهوداً قوية لتنفيذ أو تسريع مغادرتها لأراضي الكويت، وقدم ابن سعود شكاوى مستمرة حول استمرار وجودها في الكويت، وقمت أنا بتقديم احتجاجات مماثلة إلى المعتمد السياسي.

وفي الوقت المناسب أخذت العشيرة تظهر بعض العلامات على الجلاء عن أراضي الكويت، ولكنها لم تكد تستقر في محلها الجديد قرب الكويت حتى أقدمت على جعل الإقليم الكويتي ممراً بسلسلة من الغارات على نجد، وجرت هذه الغارات في فترات قصيرة خلال كل شهور الصيف. كانت الغارات الأولى على مضارب (السبيع) في الأحساء، وغزيت أيضاً مخيمات المطير، وفي حوالى نهاية مدة هذا التقرير، بدأ الغزاة يذهبون بعيداً إلى حفر العطش والمبيّض وأماكن أخرى لا تبعد كثيراً عن عاصمة ابن سعود نفسها.

لا ضرورة للبحث بإسهاب في هذه الغارات التي أصابت نجاحاً محدوداً

وسببت، في الوقت المناسب، غارات مقابلة من جانب المطير والسبيع والعشائر الأخرى حتى أصبحت منطقة السمّان بأسرها، في حوالى نهاية مدة هذا التقرير، في اضطراب وهياج. وقد مررت بها عند عودتي إلى الساحل، وحصلت لي الفرصة السانحة لمقابلة الأمن السائد في كل أراضي ابن سعود تقريباً مع الخطر والهياج المنتشر في حدود أراضي الكويت.

وكان ابن سعود خلال كل هذه الأشهر وهو بموجب اتفاقه معنا ممنوع من اتخاذ الخطوات لمعالجة إزعاج العجمان، وكنت أنا أحثه على غض النظر عن كل الشؤون البسيطة في سبيل تنفيذ الهجوم العنيف على حائل، في موقف تبرّم دائم، وكان محقاً نوعاً ما على أي حال، وكنت أبلغ ذلك بانتظام، ولكن بدون نجاح.

كان واضحاً أن نائب المفوض المدني في البصرة الذي كان في نهاية الأمر مسؤولاً عن تنفيذ الاتفاق الرسمي مع العجمان، لم يكن متهيئاً لمعالجة القضية (التي كان يراها جزءاً من اللعبة المنتظمة للغارات العشائرية والغارات المقابلة) بصورة جدية، ولا كان في وضع يمكنه من تنفيذ أجزاء الاتفاق البغيضة إلى العجمان. وفي هذه الأحوال لم تلبث الأمور أن بلغت مأزقاً لا حلّ معقول له حسب الظاهر.

وفي الوقت نفسه كان ابن سعود يستعدّ لبدء هجومه على حائل، وأكّدت على وجوب أخذ رهائن من العجمان للحيلولة دون قيامهم بحركة معادية ممكنة من جانبهم. ولكن حتى هذا الأمر وجد غير عملي، وأخيراً اعترف بأنه لا يستطاع عمل شيء لتنفيذ مراعاة العجمان للشروط المفروضة عليهم. وفي هذه الظروف تقرر ما يلي:

أولاً، أن ينذر العجمان بأنه، في حالة استمرار الغارات، تقطع الإعانات عنهم ويمنع دخولهم إلى الأسواق المحلية.

وثانياً، أن تعطى الحرية لابن سعود للتعامل مع العشيرة بشرط عدم تعريض سلامة السكة الحديد للخطر.

وقد شعرت بالارتياح الشديد في تبليغ ابن سعود بهذه الأوامر. كنت مدركاً أنه لن يكون فوراً في وضع يستطيع فيه الاستفادة من حريته المكتسبة في القضية، في حين أن زوال ظلامة كبيرة سيكون موضع الترحيب في وقت كان وضع الشريف يهدد في أي دقيقة بالتفاقم.

إن مشكلة العجمان قد سببت للحكومة كثيراً من المصاعب والقلق الذي لا لزوم له، وذلك ربما كان يعود إلى رغبة مغلوطة للتساهل إزاء عنصر يحتمل أن يكون معادياً. ولكن في ضوء الخبرة الحاصلة يظهر أن من الصعب تحاشي الاستنتاج بأن كثيراً من الوقت والإزعاج والقلاقل كان يمكن توفيره بقبول الإنذار النهائي الذي قدمته البعثة منذ زمن بعيد، أي في شهر كانون الأول/ديسمبر الماضي، دون تلكؤ، وتبليغه إلى العشيرة. وقد اضطرت الحكومة (البريطانية) أن تعود إلى ذلك الإنذار النهائي بعد عشرة أشهر من البحث الذي لا جدوى منه عن بديل أفضل، وخلال هذه المدة أدّت رغبتها في خدمة مصالح قبيلة غير مستحقة إلى ضياع كثير من السمعة الحسنة في جزيرة العرب الوسطى وزيادة، دون مبرّر، لعدد الأمور التي تهيء لابن سعود التبرّم بحقّ ظاهر.

١٠ ـ مشكلة العوازم

كانت قضية العوازم، خلافاً لمشكلة العجمان، ذات أهمية عابرة ولم تولّد صعوبة كبيرة. اعترف بالعوازم منذ عهد عهيد بأنهم من العشائر التابعة لسلطة الكويت، وفي العهد السابق حين جعلت صداقة مبارك وابن سعود تحديد الحدود بين الكويت ونجد لا لزوم لها، فكانت هذه القبيلة حرة في التنقل بين المراعي على طرفي الحدود بينما هي تدفع الضرائب للكويت وحدها.

لكن الخلافات المؤسفة بين الشيخ سالم وابن سعود، وخصوصاً الحماية التي قدمها شيخ الكويت للعجمان الثائرين، أنهت الوضع السائد، وقام ابن سعود، رداً على استفزاز الشيخ، بالتجديد والتأكيد الفعلي لطلبه المسكوت عنه طويلاً في فرض الضريبة على رعاة العوازم كلما دخلوا أراضيه في البحث عن المرعى، أو بكلمة أخرى سنوياً، لأن الحدود الضيقة لسلطة الكويت لا تهيء مرعى كافياً لسدّ حاجات قبيلة بدوية طوال السنة.

وكان ابن سعود في تنفيذه لهذا الطلب يعمل ضمن حدود الحق الناشيء عن سيادته، وفي الوقت نفسه لم يكن لديه ما يتذمر منه ضد قبيلة العوازم ولا رغبة للضغط عليها بلا مبرر، لأن هذه القبيلة وضعت دون خطأ منها في الوضع المؤسف لدفع ضرائب مضاعفة، وكانت مستعدة تماماً للموافقة على أي ترتيب معقول وحتى صرف النظر عن حقه في فرض الضريبة على العشيرة ـ ولكن بشروط.

كانت تسوية قضية العجمان بطرد العشيرة من أراضي الكويت نهائياً أمراً ضرورياً تمهيداً لإجراء أي ترتيب (في شأن العوازم). وفي الوقت نفسه تعهد ابن سعود، بعد مباحثة مع البعثة، بأنه، إذا كتب الشيخ سالم إليه بعبارات مناسبة مذكّراً بالترتيب الودي الذي كان فيما مضى يعفي العوازم من دفع الضرائب إلى خزانة نجد وطالباً العودة إلى السياسة القديمة، فإنه يقابل ذلك بالجواب بعبارات مماثلة والتنازل عن طلبه فرض الضريبة على العشيرة بعد ذلك.

والحقيقة أن الكتابين المقترحين لم يتم تبادلهما، والشيخ سالم امتنع عن المقابلة بالمثل في قضية العجمان، بينما قامت عناصر من العوازم في أكثر من مناسبة واحدة بتغطية حركات غارات العجمان وشمّر في غزواتهم على الأحساء. مع ذلك فإن مشكلة العوازم حلت نفسها، ويذكر لمفخرة ابن سعود أنه توقف عن فرض الضريبة على قطعان العشيرة وأباعرها دون أن يحصل على شيء مقابل ذلك.

١١ ـ الحصار

على الرغم من أن أعداءنا في هذه الحرب قد تمتعوا بلا ريب بفوائد تاكتيكية منّا ومن حلفائنا من جراء تماسكهم الجغرافي، فإن كونهم واقعين ضمن دائرة حاجز ومحاطين بحلقة كاملة من الأعداء تقريباً، فرض عليهم عجزاً خطيراً إذ انقطعوا عن الاتصال بالأسواق العالمية وأخذوا يعتمدون على حسن نوايا المحايدين وأطماع الآخرين للحصول على تجهيزات عسيرة من المواد الضرورية، التي لم يكن في استطاعتهم إنتاجها بكميات كافية في نفس أراضيهم.

ولأجل جعل التجهيز أكثر صعوبة، وحتى قطعه مرة واحدة، أصبح ذلك بطبيعة الحال في مقدمة أهداف الحلفاء العسكرية، وكانت الأداة المستخدمة لتحقيق ذلك هي الحصار.

أثارت مشكلة الحصار في العراق صعوبات خاصة لأنه كان من أهم مرامي سياستنا الحصول على تعاطف العرب مع قضيّتنا. ولذلك اعتبر دائماً من المهم تقديم كل التسهيلات المعقولة لهم لتجهيز أنفسهم بضروريات المعيشة، وفي الوقت نفسه ضمان عدم وصول هذه الضروريات إلى العدو. لكن العرب أنفسهم، بعدم مقابلتهم لنا بالمثل على الروح التي قابلناهم بها، فرضوا على السلطات البريطانية ضرورة إيجاد وسائل لتنفيذ الحصار بدقة.

لا حاجة بنا هنا لذكر الصعوبات التي تمت مواجهتها في أراضي العراق المحتلة. وحسبنا أن نقول في ضوء الخبرة أنه أمكن إيجاد مشروع حصار فعّال إلى درجة ما، ظهرت آثاره على العدو يوماً بعد يوم.

في سبيل النجاح الكامل للمشروع العراقي الذي يتضمن، فيما تضمّن، حصاراً كاملاً على الجزء الشمالي من جزيرة العرب بإنشاء حزام على طول خط الفرات، كان ضرورياً أن تتسرب التجهيزات عن طريق الأقطار المجاورة المحايدة أو الصديقة التي ليست تحت سيطرتنا، وفي هذا الصدد كانت جزيرة العرب الشرقية والوسطى بمداخلها على ساحل الخليج الفارسي [العربي] لأمد طويل موضع اعتبار خطير.

لا شك أنه من السخافة توقع العرب غير المسيطر عليهم - سواء كانوا من البدو أو الحضر - أن لا يستفيدوا من الأرباح الضخمة التي يمكن استحصالها بالاستجابة لطلبات العدو للتجهيزات. وفي الوقت نفسه لم يكن في الإمكان اتخاذ ذريعة سهلة بمحاصرة موانيء الخليج لأن هذا العمل يؤثر في أصدقائنا تأثيره في أعدائنا. فكانت الطريقة المتخذة اجتذاب التعاون الفعّال للحكام العرب المتحالفين معنا، أي ابن سعود وشيخ الكويت، ليمنع أحدهما تسرب التجهيزات من خلال حدوده إلى العدو، وليوقف الآخر وكلاء شراء العدو من الدخول إلى أسواق الكويت. وتُركت الترتيبات الرامية لتحقيق هذه الأهداف كلياً إلى إرادة الحاكمين نفسها، وفقاً لسياستنا الثابتة في الامتناع عن التدخل في الترتيبات الداخلية للدول المحلية، إلا إذا جعلت الظروف ذلك التدخل ضرورياً تماماً.

لكن التجربة كانت مع الأسف محكومة بالإخفاق منذ البداية، وقد أخفقت - وكانت نتيجتها الفعلية لا تزيد على زيادة شعور المرارة والكراهية الذي كان موجوداً بين ابن سعود وابن صباح.

والواقع أنه قبل سفر البعثة من بغداد بمدة، اتضح من المعلومات الواردة من مصادر متحيّزة وغير متحيّزة أن الكويت أخذت، بنتيجة تشديد حصار العراق، تتمتع باحتكار مربح كمصدر لتجهيز العدو، بينما كان القصيم يربح من التمتع بنفس المزية كمركز توزيع. وقد بلغت القمة حوالى نهاية أيلول/سبتمبر ١٩١٧ حين قدمت إلى الكويت قافلة مؤلفة من ٣٠٠٠ من أباعر العدو عن طريق القصيم تحمل إذناً موقعاً من «تركي» أكبر أبناء ابن سعود، وكان آنذاك قائداً للقوات التي تعمل اسمياً في منع تسرّب التجهيزات إلى العدو. وتمّت الكارثة بالسماح لهذه القافلة

بالخروج محملة بالتجهيزات من الكويت بموافقة الشيخ نفسه أو تواطئه على الرغم من الأوامر الصارمة المبرقة من بغداد بوجوب حجزها إلى حين النظر في الموضوع.

وقد طارد الكرنل هاملتن القافلة دون نتيجة، ولا شك أن العدو تسلم بالترحيب هذه الإضافة لمخزوناته. غير أن الأمور بدت الآن خطيرة حقاً وأظهر حلفاؤنا أنفسهم في غاية الضعف، وعلى ذلك صدرت الأوامر إلى البعثة لبحث موضوع الحصار مع ابن سعود وتقديم مقترحات لتشديد تنفيذها، بينما اتجهت الأنظار إلى قضية إمكان إنشاء مركز ملائم للحصار على خطوط العراق مع الكويت.

وجاءت حادثة قافلة شمّر المشار إليها أعلاه نعمة خفيّة لأنها أعطتني حقيقة ثابتة وبيّنة لأضع على أساسها شكوى فيما يتعلق بالماضي وإنذاراً نهائياً بخصوص المستقبل.

واعترافاً بحق ابن سعود يجب القول إنه لم يحاول جدياً الدفاع عن وضعه الحرج. وفيما يتعلق بعمل تركي قال إن الإذن الممنوح للقافلة لم يكن القصد منه منح تسهيلات للتصدير من الكويت ـ إنه كان صك أمان لا غير للمرور بين العشائر النجدية في الطريق، لكنه لم يستطع أن يفسّر كيف يعطى رعايا العدو حتى مثل هذا الامتياز. ولا شك أن تفسير الشيخ سالم لإمرار القافلة المعادية غير مقنع بنفس الدرجة، وفيما يتعلق بالقافلة نفسها، أقرّ ابن سعود بأنها ذهبت إلى العدو، وبخصوص تجارة العدو عموماً ندّد بشيخ الكويت بقوة معتبراً إياه متداخلاً شخصياً وبعمق في أعمال التهريب التي يحصل منها على الأرباح الوافرة. وأكّد أن معظم تجارة المرور يذهب مباشرة من الكويت إلى حائل أو دمشق مبتعداً عن حدوده نفسها، لكنه اعترف أن تجار القصيم أيضاً لهم دخل في التهريب إلى درجة ما. وعند قولي إن هذا لا يتفق مع تعهداته الوثيقة أقرّ بالتهمة ولم يزد على تبرير نفسه بأنه ما دام التهريب على مستوى واسع يجري في الكويت لمنفعة التجار المحليين، فلا يعقل أن يتوقع منه معاقبة التجار في أراضيه ـ والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك إلاّ بالمجازفة بإغضاب القصيم.

وقد اقترحنا، الكرنل هاملتن وأنا، أن يوضع نظام إجازات تمنح بموجبها تسهيلات التصدير من الكويت فقط للأشخاص الذين يحملون مثل هذه الإجازات، موقعة من ابن سعود أو أمرائه المحليين ومشهود بها أنهم من رعايا ابن

سعود وأشخاص موثوق بهم، وعلى شرط أن ابن سعود نفسه يقبل المسؤولية الشخصية بأن البضائع المصدرة على هذا الوجه لا تخرج من حدود أراضيه.

وقد اعترض قليلاً على ترتيب جديد بالنسبة للأفكار العربية، وعرض بديلاً عن ذلك أن يتعهد بمراقبة حدود الكويت. لكن مثل هذا الترتيب الذي يعني طلب السماح له لإزعاج وإغضاب شيخ الكويت وشعبه بكل حرية، لا يمكن قبوله. ولعدم وجود أي بديل ملائم آخر ألححنا على قبول مقترحاتنا الأولية، فوافق عليها ابن سعود ـ بعد أن تأكد الآن من حصول تسوية مرضية لقضية العُجمان ـ عالماً أن الحكومة البريطانية سوف تتخذ خطوات جدّية لمنع كل تهريب مباشر من الكويت نفسها إلى العدو.

وعلى ذلك تم إجراء الترتيبات كما يلي:

(١) أن يتعهد ابن سعود بفرض حصار شديد على أراضي العدو، ويقبل المسؤولية الشخصية عن أن التجهيزات التي تدخل أراضيه لن تغادرها إلى محل للعدو.

(٢) أن ترتب الحكومة البريطانية نظام حصار فعال في الكويت.

(٣) أن لا تمنح إجازة للتصدير من الكويت لمن لا يحمل إجازة بتوقيع الأمير في محل إقامته.

(٤) أن لا تمنح مثل هذه الإجازة بأية حال من الأحوال حتى إلى عناصر شمّر الودية، ما لم يكونوا مصحوبين بممثل مسؤول لابن سعود نفسه.

وأخيراً

(٥) أن توضع بدون تأخير صيغة إجازة، تم التوصل إليها خلال مباحثاتنا، ويطلب إلى حامل الإجازة أن يقدمها إلى السلطات البريطانية في الكويت لتقوم بتظهيرها مع ذكر الكمية التي تصدّر من كل مادة، وعند وصوله إلى المحل المقصود، يحضر أمام الأمير المحلي الذي يظهّر على الإجازة الكميات من كل مادة التي جلبت إلى المحل المقصود. وهذه الوثيقة تعاد في نهاية الأمر مظهّرة وموقعة على هذه الصورة إلى السلطات البريطانية في الكويت لغرض التسجيل.

لم نكتف بعقد هذا الاتفاق بل إننا لم نفلت الفرصة لنؤكد على ابن سعود أن مصالحه، هي مرهونة (بهذا الترتيب) بدرجة لا تقل عن ارتباط مصالح الحكومة البريطانية بها، وأن منع وصول التجهيزات إلى العدو أمر بالغ الأهمية. وعلى ذلك أرسل كتباً إلى أمرائه، وخصوصاً إلى الذين في القصيم منهم، تشرح لهم الضرورة القصوى لإطاعة أوامره وتنفيذها بشكل صارم ـ مضيفاً إلى ذلك أنه دخل في تعهد رسمي مع الحكومة البريطانية في هذا الخصوص، وأن الفوائد التي سيحصل عليها رعاياه سوف تظهر في الوقت المناسب.

عاد الكرنل هاملتن إلى الكويت لاتخاذ الترتيبات لتنفيذ الخطة المتفق عليها، وحصل بعض التأخير في وضع التفاصيل الضرورية وإزالة الصعوبات التي تكتنف إنشاء مركز حصار في الكويت. وفي الوقت المناسب عيّن ضابط حصار في هذا المركز وأصبح كل شيء حاضراً لتنفيذ مشروع عقد الأمل عليه لإنجاز ضرب نطاق يمنع العدو من أي مدخل إلى أسواق العالم الخارجي.

هكذا كان الوضع حين عدت إلى ابن سعود في نيسان/أبريل ١٩١٨. وحسب العادة انتهزت القوافل الكبيرة من الداخل فرصة الربيع للذهاب إلى الساحل بغية جلب تجهيزات للصيف. وفي حوالى نهاية الشهر وردت الأخبار المقلقة بأن كل القوافل أعيدت فارغة في ظروف تبعث على الذعر. ولا مبالغة في القول إن نجد كلها واجهت على حين غرّة احتمال قضاء الصيف بدون تجهيزات فكانت في حالة غليان. والاحتياطات العسكرية (وبضمنها وضع مدافع رشاشة على سقف مسكن الوكيل السياسي في الشويخ وإنزال فصيل من الجيش) التي اتخذت للحيلولة دون حدوث اضطرابات بخصوص إعادة القوافل، فسّرت عموماً كعمل عدائي تجاه الشعب النجدي، وأصبحت سياسة ابن سعود بالصداقة مع الحكومة البريطانية مثار انتقادات معادية كثيرة.

إن السلطات في الكويت عجزت عن إدراك هذه الناحية من الأمور أو ضرورة إعلامي بعملهم، وكانت النتيجة أن الشكاوى التي تكاثرت على ابن سعود وأحيلت عليّ حسب الأصول، جعلتني غير قادر على تقديم إيضاح عن العمل المتخذ، أو الأسباب الداعية إليه.

ولكن كان واضحاً لديّ أن خطأً ما قد حدث. ونظراً إلى الخطر الذي قد ينشأ من التأخير، فقد شعرت بأن لا سبيل لي سوى إعطاء بعض التعهدات عن المستقبل

بالنيابة عن سلطات الكويت.

وعلى ذلك رتّبت مع ابن سعود بأن جميع القوافل النجدية يحسن أن يرافقها رسل خصوصيون بالنيابة عنه، وأن وكيله في الكويت عبد الله النفيسي يعين ممثله الخاص فيما يتعلق بالجماعات العشائرية التي لم تكن تستطيع أن تأتي للحصول على رسل خاصين، مثلاً العشائر الشرقية كالمطير وسبيع، وأخيراً إن كل قوافل المدن النظامية تحمل إجازات موقعة من الأمراء المحليين. نقلت هذه الترتيبات فوراً إلى الوكيل السياسي في الكويت مؤكداً لابن سعود في الوقت نفسه أن القوافل التي أعيدت تستطيع العودة الآن لجلب التجهيزات، وهذه لن ترفض بشرط أن الترتيبات المتعلقة بالإجازات والرسل تلاحظ بدقة. وأشرت في الوقت نفسه للوكيل السياسي، أولاً، أنه ليس من المعقول تقييد الصادرات إلى الداخل من الكويت على أساس تجارة ما قبل الحرب لأن الداخل في تلك الأيام كان يجلب المؤن من مكة والشام والبصرة وأماكن أخرى، بينما في الظروف الحاضرة، وبتقييد التجارة البحرية إلى موانىء الأحساء، أصبحت الكويت مصدر التجهيز الوحيد لنجد. وثانياً، إنه بالنظر إلى الترتيبات التي أجرتها البعثة مع ابن سعود بالتشاور مع الكرنل هاملتن، صارت مسؤولية سلطات الكويت محدودة لمنع الصادر المحرّم وغير المسموح به فقط، بينما يكون ابن سعود مسؤولاً عن عدم تسرّب أية بضاعة مصدّرة إلى نجد بإجازة صحيحة من أراضيه إلى أي محل للعدو.

وحسبي أن أقول هنا إن الترتيبات التي اقترحتها قُبلت فوراً، وإن إمرار القوافل النجدية التي أعيدت سابقاً خلق انقلاباً مرضياً في الشعور خلال أقاليم ابن سعود جميعها، وإن حادثة سبّبت شعوراً سيّئاً أفادت في تذكير أهالي نجد بما تستطيع الحكومة البريطانية أن تفعله، وقد عملته فعلاً، في حالة إساءة استعمالهم الفوائد المقدمة لهم.

وعليّ، وأنا بصدد هذا الموضوع، أن أذكر أن «كارثة» الكويت نسبت من لدن الجميع في نجد إلى مكائد الشيخ سالم الذي كان، في هذا الوقت، غاضباً بلا ريب لفرض رقابة بريطانية فعالة على الحصار، ولم يكن ليجد سلاحاً أحسن لمعارضتها من جعل الترتيبات تثقل كاهل أهالي نجد الذين لم يمكن الوثوق بالتزامهم الصمت أمام هذه الإثارة. والبيان الذي أصدره ـ كان يظهر بناء على طلب السلطات البريطانية ـ والطريقة غير المستحبّة التي طبّق بها، أيدا التهم التي تفوّه بها النجديون.

ومهما يكن من الأمر فإن قبول مقترحاتي أعاد الثقة في نجد، وأقدم ابن سعود بسرعة على العمل لضمان وقف التهريب من القصيم بصورة فعالة ـ وكان أول عمل في هذا الشأن عزل أمير زلفى، الذي اشتهر باشتراكه في أعمال التهريب، وبمصادفة غريبة لم يكن الشيخ سالم جاهلاً بها، كان المذكور الشخص الوحيد المخوّل بتصدير المؤن من الكويت حين أعيدت بقية القوافل النجدية ـ وكل شيء أصبح جاهزاً لإنشاء حصار فعّال في كل المنطقة.

كان الشخص الوحيد الذي لم يرض بالأمر هو الشيخ سالم، وليس هنا محل الكلام على مكائده لقلب الترتيبات المذكورة أعلاه. وفي ٢٨ حزيران/يونيو كان في وسعي أن أقول إن ابن سعود كان راضياً تماماً عن كون مصالح شعبه في قضية الحصار محافظاً عليها بدقة، وفي الوقت نفسه، عبّرت عن أملي في المحافظة على الحصار الرسمي باعتباره يقدم الأمل الوحيد لقطع المؤن عن العناصر المعادية. والخلاصة كل شيء بدا سائراً سيراً حسناً لحلّ مرض لمشكلة الحصار حين وردتني الأخبار، في أواسط تموز/يوليو أن الحكومة قررت مرة أخرى وضع ثقتها في الشيخ سالم وترك تنفيذ الحصار جميعه في يده، بشرط قبوله خدمات ضابط بريطاني لمساعدة موظفيه المسؤولين عن الحصار. وتقرر في الوقت نفسه تنظيم الواردات إلى الكويت من الهند وسائر الأقطار على أساس اللوازم الشهرية المعقولة للكويت والعشائر التابعة لها. وقام الوكيل السياسي في الكويت في ٤ تموز/يوليو بإرسال كتاب إلى الشيخ سالم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة يبلغه بموافقة الحكومة على هذه الترتيبات.

لا شك أن أخبار هذا التطور في الوضع كانت غير مستحبّة قطعاً لابن سعود، الذي وجد الشيخ سالم مرة أخرى يمنح الحرية لتشجيع التهريب إلى العدوّ وجعل الحصار، على الحالة التي بقي فيها، مزعجاً لأهالي نجد. وقد أبلغت فوراً، حين كانت هذه الترتيبات قيد العمل، أن بعض قوافل العدو كانت حاضرة فعلاً في الكويت، وفي الوقت نفسه بالنظر إلى تنصّل ابن سعود من المسؤولية لتسرّب المؤن، تنبأت بعودة الاحتكاك بين الحاكمين لأن أول من يستفيد من «النظام» الجديد هم أهالي نجد الذين يكون تنفيذ القيود الجديدة ضدهم مثيراً للشكاوي والمراسلات التي لا نهاية لها. وقد انتقدت المشروع بالتفصيل واقترحت أنه، إذا كانت أهمية حفظ العلاقات الحسنة مع شيخ الكويت جعلت الإصرار على المشروع لا محيد عنه، فالأفضل غلق أسواق الكويت نهائياً بوجه جميع النجديين وإجراء

الترتيبات لتجهيز حاجات المناطق الداخلية عن طريق موانيء الأحساء التي يسيطر عليها ابن سعود سيطرة قوية وموحّدة.

وعند عرض هذه المقترحات كنت منطلقاً من سوء الفهم بأن نظام الإجازات قد أوقف، لكن الأمر لم يكن كذلك. وعلى الرغم من هذا بقي الاعتراض من جهة أن قوافل نجد تحتاج إلى طلب الإجازات ليس كما في السابق إلى الموظف البريطاني المسؤول عن الحصار بل إلى ممثل الشيخ سالم. وكان واضحاً لديّ أن هناك احتمالات لا نهاية لها للاحتكاك، وبالنظر إلى تفاقم دقة موقف الشريف (حسين)، فقد كنت على أشد الرغبة لإزالة كل المصادر الصغيرة الممكنة لعدم الرضا في سبيل التمكن من معالجة الشؤون المهمة عند بروزها.

ولا بدّ أن نذكر بأنه في هذا الوقت، بينما كانت قضية الخرمة تهدد السلام في جزيرة العرب بصورة جدّية، كنت أحاول صرف نظر ابن سعود عنها لشنّ الحرب على حائل. وقد واجهتني من كل النواحي سلسلة صعوبات تافهة ذات طبيعة مزعجة، تجعل ابن سعود وشعبه مستائين من السياسة العامة للحكومة البريطانية إزاء الحساسيّات النجدية. كانت سياستنا إزاء شمّر تسبب عدم رضا، وتعرّضنا للتهمة بأننا لم نكن جدّيين في رغبتنا للقضاء عليهم. وتعهداتنا فيما يتعلق بالعُجمان مالت بسرعة إلى الانهيار، وذلك قد أدّى إلى القلاقل وتوتّر الأعصاب في نجد. والآن مرة أخرى وضعت مصالح نجد التجارية تحت رحمة الشيخ سالم، بينما تجمعت الدلائل بسرعة أن مهرّبي شمّر صاروا يحظون بحياة جديدة.

لقد اعترف بقوة مناقشتي العامة، أولاً من جانب الوكيل السياسي نفسه الذي حثّ، وقد وضعت الترتيبات الجديدة مع الشيخ على سياسة الثقة، على إعطاء الشيخ فرصة أخرى لإبراز تمسّكه بالسياسة البريطانية بإخلاص، وأنه إذا فشل ذلك فتتخذ الإجراءات لتحويل تجارة نجد إلى موانيء الأحساء كما اقترحت أنا. وثانياً، من جانب السير برسي كوكس الذي، عند وصوله إلى الكويت في آب/أغسطس ١٩١٨ لدى عودته من إنكلترة، وضع بالتشاور مع السلطات المحلية والشيخ سالم ترتيباً، بأن الإجازات لنجد يجب أن تصدر كالسابق من قبل ضابط الحصار، وأن تحدّد عمليات الحصار التابعة للشيخ للعناصر الأخرى فقط.

إن هذه الترتيبات هي في الحقيقة العودة إلى الترتيب الذي تقرر على أساس احتجاجاتي في شهر أيار/مايو السابق. وفي ٤ أيلول/سبتمبر ١٩١٨ كان في

وسعي أن أذكر أن ابن سعود قد عبّر مرة أخرى عن رضاه الكامل للنظام المعدّل.

ومن هنا إلى نهاية المدة التي يتناولها التقرير، حين أوقف الحصار عملياً، بنتيجة بيان السلام الصادر من القائد العام في بغداد، بقيت مشكلة الحصار ساكنة، ولو أنني استطعت أن أبلغ عن عدد من قضايا التهريب من الكويت حدثت في أيلول/ سبتمبر بعد قبول الشيخ سالم للمسؤولية عن الترتيبات الجديدة، وهذا الشيخ قد استمر على اللعبة المزدوجة في التظاهر بتنفيذ الحصار والمساعدة الفعلية للمهربين من الأعداء.

وعند تلخيص نتائج تلك السنة، أجد من الصعب التخلي عن الاستنتاج بأن ابن سعود، بوجه عام، بذل جهوده بإخلاص وهمّة لغلق أراضيه بوجه عمليات وكلاء الشراء للعدو، وكانت النتيجة أنه باستثناء حادث تهريب بسيط أبلغ لي في تموز/ يوليو، لم يصل إلى سمعي أي حادث مؤكد. ومن الجهة الأخرى أبلغت حوادث كثيرة لمرور قوافل من الكويت إلى حائل بين الحين والحين، وجاءت الدلائل عن تجميع المخزونات في حائل ونقلها بعد ذلك بقوافل قوامها ١٠٠٠ بعير إلى دمشق، بينما كان هناك أخيراً سبب جيد للاعتقاد بأن نوري ابن شعلان الذي كان له اتصال بالعقبة يستفيد من مركزه لجني الأرباح من تجارة التهريب.

إذا أمكن القول، فيما يتعلق بالكويت، بما كان يجوز أن يكون دواء فعالاً لوضع لا يحتمل، فإنني أفكر أن ذلك كان يتم بتحويل تجارة نجد إلى موانىء الأحساء، كما اقترحت. لكن بلا ريب كانت قلة البواخر سبباً لعدم قبول الاقتراح عند تقديمه. وهذا هو شأن آخر وأكثر دواماً يستحق شرحاً موجزاً قبل أن أنتقل من هذا الموضوع.

يجب أن نتذكر أنه منذ عاد ابن سعود لتثبيت نفسه في أراضي آبائه سنة ١٩٠٢ ظل منشغلاً في أعمال الدعم السياسي الذي بلغ قمته في الاستيلاء على الأحساء من الأتراك في ربيع ١٩١٤ حتى لم تبق لديه فرصة من الوقت للنظر في تقدم بلاده تجارياً. وأخيراً في سنة ١٩١٤، حين وجد نفسه في وضع يسمح له بتوجيه اهتمامه إلى هذا الموضوع، وفرضت عليه احتياجاته المالية أن يبحث عن طرق وأساليب لتحسين موارده، التفت بأنظاره إلى موانىء الأحساء وأصبح في مقدمة مطامحه تطوير هذه الموانىء وجعلها المراكز الاعتيادية لتجارة نجد.

وفي هذا الحين نشبت الحرب ونشأ عنها تحديد الشحن البحري فانهارت آماله

واعترف، بكياسة لا بدّ منها، بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع في الوقت الحاضر دعم خططه لتهيئة بواخر الشحن.

لكنه مع ذلك لم يغفل قطّ هذا الأمر، وحين برزت صعوبات الحصار في الكويت، وجد فيها سبباً جيداً لتأكيد مطالبه للاعتراف بموانئه. وفي هذا الوقت كان يمنى بالخسارة في موارده الكمركية ولم يكن في وسعه التخلي عنها. فالبضائع الواردة إلى البحرين لإعادة التصدير إلى نجد تفرض عليها الرسوم الكمركية في هذا الميناء بدون تخفيض أو إعادة الرسوم عند إثبات إعادة التصدير. ومع أن ابن سعود يستوفي رسماً كمركياً قدره ٨ بالمائة عن البضائع التي تنزل في موانيء الأحساء فإن الرسم المزدوج يشكل مانعاً جدياً لاستعمال طريق البحرين. والأمر في الكويت أسوأ فيما يتعلق بابن سعود: فبينما كل البضائع التي تنزل في هذا الميناء، سواء كانت تمرّ في طريقها إلى الداخل أو لا، تدفع رسماً كمركياً لشيخ الكويت، فإنه ليس من الممكن في الظروف الحاضرة، بل حتى في أية ظروف كانت، أن يرتب ابن سعود نطاقاً كمركياً على جهة البرّ لاستيفاء رسوم ـ ولذلك فهو لا يستوفي شيئاً عن البضائع المستوردة إلى أراضيه عن طريق الكويت. ولما كانت هذه البضائع تخضع لتعرفة واحدة، فإن ميناء الكويت يتمتع بفوائد جزيلة تتفوق على موانيء الأحساء فيما يخص التجارة الداخلية.

ومن الواضح أن ابن سعود، بعد الحرب، وقد وطّد حكمه على طول نجد وعرضها بما فيها القصيم، لن يستمر على قبول ضياع واردات وفيرة كهذه بهدوء، والبديل المفتوح لديه هو إمّا أن يقدم رسوماً أوطأ وتسهيلات أخرى عن البضائع التي تستورد رأساً إلى موانيء الأحساء فيدخل إيرادها كله إلى خزائنه، أو تتخذ ترتيبات تعرفة كمركية مرضية بالتقابل مع شيخي البحرين والكويت. وبذلك تدفع له نسبة معقولة من إيراد كمارك تلك الموانيء.

وبالنظر إلى الارتفاع السيريع في مستوى المعيشة في جزيرة العرب الوسطى خلال السنوات الأخيرة التي تدفقت فيها النقود على البلاد، وخصوصاً من الغرب، وإلى الطلبات الوافرة على الأقمشة والأغذية وسائر المواد التي ستتبعها في عهد السلام الآتي، فإن قضية تجارة نجد والتقسيم المعقول للأرباح الناشيء عنها تستحق الاهتمام الجدي لحكومة صاحب الجلالة. وفي هذا المجال لا يمكن عمل أكثر من ذلك لإيضاح المسألة في أبسط مظاهرها.

١٢ ـ عمليات ابن سعود ضد حائل

كان الوضع العسكري في جزيرة العرب الوسطى في نهاية تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧ غامضاً جداً. فمنذ وفاة الكابتن شكسبير في موقعة جراب في كانون الثاني/يناير ١٩١٥ ترك ابن سعود للاعتماد على موارده فقط، فتخلّى عن مواصلة الحرب التي أوقفت في بدايتها. إن الحافز الذي أعطي لهمّته المثبّطة خلال المحادثات سنة ١٩١٦ مدعوماً بمنحه إعانة منتظمة وإضافة كبيرة إلى سلاحه صرف بدون نتيجة تذكر. وكان معلوماً أن ابن الرشيد غادر عاصمته والتحق بالأتراك في الهجر قرب مدائن صالح على سكة حديد الحجاز، بينما كان وكيله المؤتمن ابن ليلى قد ذهب إلى دمشق بحجة مشاورة القيادة التركية العليا حول شؤون سيده. وقد تركت جائل لحراسة حاميتها تحت قيادة عبد موثوق به. وأخيراً كان ابن سعود، حسبما قال هو نفسه، يوالي الضغط على جبل شمّر منتظراً الفرصة للهجوم إلى بداية رمضان، حين عهد بقيادة قواته في القصيم إلى ابنه تركي وعاد إلى عاصمته. لم يعمل تركي شيئاً، ولم يكن من المحتمل أن يعمل.

وفي الوقت نفسه أصبح شجب الشريف لفتور ابن سعود في سبيل قضية الحلفاء يتزايد ويتعاظم يوماً بعد يوم، ولم يكن من الهينّ تكذيبه بالنيابة عن حليفنا. وعبّر المندوب السامي في مصر عن رأي جميع السلطات ذات العلاقة إذ قال: «إن الوقت ونجاح البعثة في مهمتها وما ينتج عن ذلك، كما يؤمل، في هجوم فعال ضد الأتراك من جانب ابن سعود، سوف يثبت للملك (حسين) سخافة سياسة الشك الحاضرة وحكمة التوصل إلى مصالحة مع أقرب جار قوي له».

لذلك كانت المهمة الأولى لبعثة نجد دفع ابن سعود إلى حملة من الهجوم الفعال ضد الأتراك، وقد فسّرتها أنا، لكل الأغراض العملية، أنها تعني معركة ضد ابن الرشيد وهدفها الأساسي احتلال حائل. والمفترض أن الحكومة لم تنوِ أو ترغب في تعهد ابن سعود لهذه المغامرة دون توافر المواد الكافية. وكان حقاً لتحاشي مثل هذا الواقع أن ألحق ضابط عسكري مسؤول بالبعثة لتتمكن من التحدث بخبرة عن الشؤون العسكرية، ولتقدر إذا اقتضى الأمر مقدار المساعدة اللازمة لجعل موارد ابن سعود كافية لأداء المهمة المطلوبة.

فكان مخيّباً للأمل قليلاً أن نجد أخيراً «القطار محملاً» وحاضراً لإطلاق النار،

لكن الحملة المقترحة لم تعتبر مفرطة فحسب، بل أثيرت الشكوك حول قيمة الهدف نفسه. كان واضحاً، والحق يقال، أن تحقيق الهدف المقصود من جانب ابن سعود سوف يؤكد سخافة الملك، ويجعل الصلح بينه وبين أقرب جار قوّى له غير ممكن. وإذا كان الأمر كذلك فالفوائد العسكرية الخالصة التي يحتمل كسبها من احتلال حائل لم تكن من الأهمية بحيث تستلزم جهداً جدياً من جانبنا.

ومهما يكن من الأمر، وجهت الجهود الأولى للبعثة إلى مهمة أخذ فكرة عن القوة النسبية للرئيسين في جزيرة العرب الوسطى في الرجال والسلاح. وفيما يتعلق بابن سعود فقد عملنا منذ البداية أنه كان قبل نحو اثني عشر شهراً، قد تسلم منّا أربعة مدافع جبلية تركية، وأربعة مدافع مكسيم و٣٠٠٠ بندقية مع كميات مناسبة من العتاد. وأربعة من رجاله درّبوا في البصرة في استعمال الرشاشات.

وفي مبدأ رحلتنا، أي في العقير، تعجّبنا كثيراً حين وجدنا كل أفراد الحامية المحلية - نحو ٥٠ رجلاً - مسلحين ببنادق حديثة، وأخبرنا أن الحامية في القطيف قد سلّحت أيضاً من هدية قصد منها غرض آخر. لكن صدمة أسوأ قابلتنا في الهفوف حيث سمح لنا الحاكم المحلي عبد الله بن جلوي، بعد تردّد طويل، أن نفتش الأجهزة العسكرية المخزونة في القلعة. هنا وجدنا أن كل مدافع مكسيم ما زالت في صناديقها التي وصلت بها قبل سنة، مع اثنين من المدافع الجبلية وكمية كبيرة من البنادق[1] والعتاد. ولزيادة خيبة أملنا، أخبرنا أن ثلاثة من الرجال الأربعة الذين دربوا على استعمال الرشاشات في البصرة قد ماتوا، بينما أوضح الرابع، الذي كان حاضراً، بتجربة عملية أجراها أمامنا أنه نسي كل ما تعلمه[2].

إن المعلومات التي حصلت في الهفوف كانت مربكة إلى درجة غير قليلة، وبدت كأنها تدل على أن ابن سعود كان يوفّر موارده العسكرية لمواجهة تطورات ما بعد الحرب. لكنني أعتقد على العموم أن هذا الرأي لم يكن عادلاً بالنسبة لابن سعود، خصوصاً وأننا لم نكن نعلم آنذاك شيئاً يذكر عن الحالة الداخلية لأقاليمه.

---

(١) من المعلومات التي استطعت الحصول عليها، قدّرت العدد الكامل للبنادق الحديثة في الأحساء والقطيف والعقير بـ ٦٠٠ أو ٧٠٠، وأعتقد أن العدد قد يكون أقرب إلى الألف.

(٢) هو وبضعة رجال آخرين أفادوا بعد ذلك من تدريب الكرنل كونليف أوين وأصبحوا مختصين إلى درجة ما باستعمال الرشاشات.

مثلاً، ظهر جلياً بعد ذلك أن الأحساء لم يكن في الإمكان تركها بدون حماية بينما كان العجمان مستمرين على تهديد حدودها الشمالية. على الرغم من ذلك كانت ترتيبات ابن سعود معرضة حقاً للانتقاد بأنه، مهما تكن سياسته، لم يستفد استفادة تامة من الإضافة إلى أسلحته التي تسلّمها منّا. وكان واضحاً أن تقديم هذه الهدايا إليه بدون التعهد باستعمالها بصورة فعالة إنما كان تبديداً للموارد.

لم أدع الفرصة تفوت دون انتقاد ابن سعود على إهماله الموارد الموضوعة تحت تصرفه للغاية المنشودة، كما قلت، وهو تمكينه من بدء الهجوم على العدو المشترك. فأجاب أن هديتنا في السنة السابقة لم يصحبها شرط من هذا القبيل ـ وحسب ما استطعت أن أعلمه منذ ذلك الحين كان على حق في هذا الخصوص ـ لكنه أقرّ بالتهمة العامة وقبل اقتراحي بأن الرشاشات، على كل حال، تكون فعالة أكثر في العمليات الإيجابية ضد العدو مما هي عليه في صناديقها في قلعة الهفوف. وقد وافق أن يرسل في طلبها، فوصلت إلى الرياض وصحبت ابن سعود في الوقت المناسب إلى بريدة، ولكن ليس أبعد من ذلك.

فيما يتعلق بسلاحه عموماً، وجدنا لدى السؤال من ابن سعود وغيره أنه، بالإضافة إلى الرشاشات التي ذكرناها، يوجد ١٠ أو ١٢ مدفعاً من النوع الجبلي التركي (٧ أرطال) تصلح للاستعمال ولكنها غير فعالة لعدم وجود رجال مدربين، ومن هذه نحو ستة في الأحساء أو القطيف. بخصوص البنادق، أي الأسلحة الحديثة، اعترف ابن سعود بأن لديه نحو ٦٠٠٠، بضمنها تلك التي تسلمها منّا، مع كميات كافية من العتاد. لكنني افترضت أن أرقامه هي دون الحقيقة، لأنه، والحق يقال، يربح كثيراً ولا يخسر شيئاً بتقليل موارده وتضخيم موارد عدوه. ولذلك وضعت في تخميني ٨٠٠٠ بندقية حديثة بالإضافة إلى الأسلحة التي هي أقل فعلاً مما تظهر عند الحاجة بأعداد كبيرة.

أما المعلومات الموثوق بها عن أسلحة ابن الرشيد فكانت قليلة. وكان معلوماً أن قلعة حائل تتضمن عدداً من المدافع، غير أن المعلومات التي تمكنت من الحصول عليها وتؤيدها الاحتمالات الصحيحة في الموضوع، حملتني على رفض معلومات ـ صادرة كما أعتقد من مصر ـ مؤدّاها أن حصون البلدة في حالة خراب[1]. وابن

---

(١) تحقق رأيي في الموضوع لأنه، حين وصل ابن سعود بعد ذلك إلى حائل، وجدت التحصينات ماثلة لا يمكن اقتحامها إلا بالاستعانة بالمدفعية.

سعود نفسه نسب إلى ابن الرشيد امتلاكه لأربعة أو خمسة مدافع جبلية تركية ولا أقل من ۲۰۰۰۰ بندقية حديثة. وهذا الرقم الأخير كما يظهر مبالغة واضحة بالنظر إلى أن ابن سعود نفسه قدّر مجموع رجال حائل وعشائرها بـ ١٥,٠٠٠ فقط. وقد ارتأيت من الصواب أن أخفض قوة العدو إلى ۱۲۰۰۰ رجل مسلحين ببنادق حديثة وخمسة مدافع.

وعلى هذا الأساس بدا للبعثة أنه، بينما كان ابن سعود بلا ريب قديراً على قيادة رجال يفوق عددهم كثيراً العدد الذي يستطيع العدو تجنيده، فإنه دونه كثيراً في عدد بنادقه ومساو له على وجه التقريب في المدافع، هذا إذا راعينا حقيقة كونه لا يستطيع المخاطرة بسلام بتجريد كل بلاده من تحصيناتها في حين تكون كل قوة شمّر وسلاحها موجودة للدفاع عن عاصمتها، وذلك دون قول شيء عن أي توسع في القوة قد يستطيع ابن الرشيد بعد ذلك استجلابها من الأتراك في مواجهة تهديد خطير لبلاده.

وبشأن الرجال والسلاح توصلنا إلى الاستنتاج بأنه، لأجل الهجوم على حائل مع احتمال معقول للنجاح أو، على كل حال، بدون خطر وقوع كارثة في حالة الإخفاق، يجب على ابن سعود أن ينزل إلى الميدان مع ما لا يقل عن ١٥٠٠٠ رجل ومدافع أكثر مما لديه. وقد قام الكرنل كونليف أوين، بناء على طلبي، بتقييم الوضع، فاستعرض الدلائل الموجودة لدينا وبيّن ما يرى أنه يلزم عسكرياً بصورة معقولة لابن سعود لكي يتاح له إنجاز المهمة المتوقعة منه.

ولا بدّ بعد ذلك من النظر في المطالب المالية وسائر نواحي الوضع، إذ إن ابن سعود أوضح منذ البداية بأنه، نظراً إلى نقص الشحن وهبوط أسعار التمر بنتيجة ذلك، والتمر يؤلف واحداً من مواد التصدير القليلة في نجد (وخصوصاً الأحساء)، ونظراً إلى أسباب متصلة أخرى، فإن موارده المالية الحاضرة، وفي ضمنها الإعانة التي يتسلمها من الحكومة [البريطانية]، لم تكن كافية للسماح له بالاحتفاظ بقوة كبيرة في الميدان لمدة طويلة. هذه النقطة قدّرتها حق التقدير لأنه من المعلوم أن في صدد الرواتب وحدها، دون أن نقول شيئاً عن المؤن إلخ...، تكلف قوات الشريف ٥ أو ٦ جنيهات لكل رجل شهرياً. وفي الوقت نفسه لاحظت بارتياح أن صعوباته المالية بدت أعظم في عينه من نواقصه في السلاح، وكانت حقاً ذات طبيعة خطيرة ومستعجلة، لأن الضيافة الملكية في القصر سواء في العاصمة أو المخيم والتي تشمل إطعام معدّل لا يقل عن ألف شخص حسب

المحتمل مرتين في اليوم، تضع ابن سعود تحت التزامات تجاه دائنيه، وكان محقاً في شعوره بعدم الارتياح لعجزه عن التسديد. يضاف إلى ذلك أن الإعانات العشائرية كانت تؤلف عبئاً ثقيلاً على موارده ـ وهي أثقل بالنظر إلى المنافسة التي أخذ يشعر بها أخيراً من الشريف.

حسبما استطعت أن أعلم إن معظم موارد ابن سعود تتألف من الإيراد الذي يأتي من مصادر ثلاثة، هي:

(١) الرسوم الكمركية في موانىء جبيل والقطيف والعقير، وقدرها نحو ٤ ألكاك من الروبيات سنوياً[1].

(٢) إيراد الأرض على التمور والحنطة والرز إلخ في مناطق الأحساء والقطيف، وقدره نحو ٦ ألكاك من الروبيات سنوياً.

(٣) الإعانة البريطانية وقدرها ٥٠٠٠ جنيه شهرياً، وهي تساوي ٩ ألكاك من الروبيات سنوياً.

وبالإضافة إلى مصادر الإيراد هذه يقبض إيراداً من ضرائب الأراضي في القصيم، ولم أستطع الاطلاع على التفاصيل الكاملة، بينما تصريحه هو نفسه مآله أن إيراد الضرائب السنوية التي تجبى على الأباعر والأغنام، تقل عمّا يقابلها من الإعانات العشائرية. وقد قبلت ذلك بأنه صحيح حقاً.

قبل مغادرتي البصرة حرصت على التزود بمبلغ كبير من المال، ووجود هذا المبلغ المخزون جزئياً في العقير والرياض نفسها، جاء عاملاً قوياً في المفاوضات التالية مع ابن سعود. وقد أقرضته، كسلفة على ما قد يتوقع الحصول عليه في حالة تعاونه الفعال معنا في العمليات العسكرية، مبلغ ١٠,٠٠٠ باون بضمان الدفعات المقبلة لإعانته، قبل أن أغادر الرياض في سفرتي إلى الطائف.

فإذا جرت المحاولة للقيام بحركات عسكرية جدية، فمن الواضح أن واجب تمويلها لا بدّ أن يقع على عاتق الحكومة البريطانية التي كانت تتحمل من قبل ذلك نفقات الشريف على مقياس باذخ. ولذلك، لكي تؤخذ فكرة عن مقدار المال المطلوب، افترضت أن مبلغاً يكون مطلوباً لشراء دواب الحمل والمؤن مبدئياً للمراحل الأولى من الحرب على كل حال، وأن مخصصات شهرية منتظمة تكون

---

(١) اللك مئة ألف روبية هندية. (ن.ص.).

ضرورية لتمكين ابن سعود من الاحتفاظ بقواته في الميدان. لقد قدّرت المبلغ الأول بـ ٢٠,٠٠٠ باون يصرف نصفه على شراء ألف جمل بمتوسط سعر ١٠ جنيهات للجمل والنصف الآخر على شراء أرز وسائر الأغذية اللازمة. وحسبت المخصصات الشهرية على أساس حدّ أدنى من قوة ١٠,٠٠٠ رجل يكونون دائماً في الميدان بمعدل راتب ٥ باونات للرجل شهرياً لتغطية:

(١) مخصصات العائلة، وبدونها العربي (البدوي) لا يخرج إلى الميدان.

(٢) رواتب القوات.

(٣) كلفة المؤن إلخ.

وبذلك توصلت إلى فكرة واضحة إلى حدّ ما عما يكون مطلوباً حقاً بشأن السلاح والمال للحرب المزمعة، ولم يبق إلاَّ أخذ تعهد نهائي من ابن سعود بأنه يُقدم على القتال إذا منح التخصيصات على المستوى المذكور. وهذا المستوى كان في الحقيقة أقلّ كثيراً مما توقعه ابن سعود، لكنني أكّدت له أن لا فائدة من تقديم اقتراحات أكثر سخاء بالنظر إلى الآمال المعقودة على عمليات الشريف وهجومنا نحن في فلسطين، بينما أكّدت عليه أن التردّد من جانبه في هذه المرحلة قد ينتهي بعدم حصوله على شيء ما.

ويكفي القول إن ابن سعود، بعد تقليب الرأي في القضية، وافق أخيراً على القيام بعمليات فعالة إذا زيدت موارده إلى المستوى الذي توصلنا إلى تحديده. وكنت إذ ذاك في موقف أستطيع به تقديم مقترحاتي إلى السير برسي كوكس للنظر فيها. وهي كما يأتي:

(١) أن يزوّد ابن سعود بمدفعَي حصار ومدفَعي ميدان مع مقدارٍ كافٍ من العتاد والرجال الذين يتيسّر وجودهم، ويحبّذ أن يكونوا أسرى حرب من العرب.

(٢) أن يزوّد بـ ١٠,٠٠٠ بندقية حديثة مع العتاد اللازم لها.

(٣) أن يُعطى إعانة مبدئية قدرها ٢٠,٠٠٠ باون لشراء حيوانات النقل مع إعانة شهرية قدرها ٥٠,٠٠٠ باون لثلاثة أشهر - وهي المدة التي قدرت أن تستمر خلالها الحملة العسكرية.

وعند وصولي إلى جدّة وجدت الوضع العسكري قد تغيّر مادياً بانكسار القوات

التركية في غزة واحتلال القدس، بينما تعقدت الحالة السياسية المحلية بغيرة الشريف الذي كان يبذل جهده، مدفوعاً بالخوف من أننا نقوم بشد أزر منافسه، بتشويه سمعة ابن سعود في نظر الحكومة البريطانية والحيلولة دون تحقيق مخططات البعثة لشن هجوم على حائل.

صرف وقت طويل في المباحثة بين السلطات المختلفة ذات العلاقة، بينما كنت أنا باقياً في القاهرة. ولا ريب أن الهجوم على حائل، الذي كان في مقدمة منهاج البعثة في تشرين الثاني/نوفمبر، قد أصبح قليل الأهمية بأحداث فلسطين. يضاف إلى ذلك حصول الشك فيما إذا كان تنفيذ هذا الهجوم لا ينتهي إلى قطيعة لا يمكن إصلاحها بين ابن سعود والشريف بالنظر إلى موقف هذا الأخير المتصلّب. وكان رأيي أنه، بينما يكون القضاء على ابن الرشيد باحتلال حائل أمراً قد لا يشكل ضرورة عسكرية سريعة، فإن ذلك ينتج فوائد عسكرية جمة في إضعاف وضع الأتراك على سكة الحجاز، وقد يتطور إلى حركة عربية مشتركة كبرى ضد الحدود السورية فيما إذا استلزمت الحالة في أي وقت بذل الجهود في تلك الناحية. يضاف إلى ذلك، وإنه بالنظر إلى عدم التآلف الأكيد والمتنامي المتبادل بين مطامح الشريف وابن سعود، فقد شعرت بالضرورة القصوى لإيجاد عمل فعّال لصرف أفكار ابن سعود عن الوضع الشريفي.

كان المندوب السامي مدفوعاً بالخوف من إمكان ظهور نهضة وهابية للانتقاص من أي عمل يحتمل أن يقوّى ابن سعود، وكانت حكومة صاحب الجلالة تميل نحو هذا الرأي نفسه. وعلى ذلك، تقرر بعد المباحثة التامة بأنه، نظراً إلى عدم اللزوم أو الرغبة في منح ابن سعود مساعدة عسكرية على المستوى الذي اقترحته البعثة، يخوّل السير برسي كوكس أن يرى رأيه للموافقة على منح إعانة تتفق والغاية المقصودة من أشغال ابن سعود انتظاراً للتطورات الآتية في الوضع العسكري. وأضيف إلى ذلك أن السير برسي كوكس يقدر بلا شك أهمية عدم السماح لابن سعود أو غيره أن يرتاب في أن حكومة صاحب الجلالة قد أصبحت فاترة في عدائها لابن الرشيد.

إن البيانات التي قدّمها السير برسي كوكس لإعادة النظر في هذا القرار في ضوء المعلومات الإضافية قوبلت بإعادة تأكيد الأوامر التي سبق إصدارها. وقد أبدت حكومة صاحب الجلالة رأيها بأنه لن يكون من الصعب أن يوضح لابن سعود أننا، مع رغبتنا في إسناده بكل الطرق المعقولة، لم نكن في هذا الوقت في

وضع يسمح لنا بالتعاون معه في الإقدام على عمليات عسكرية موسعة.

أنا أعترف أنني نظرت بشيء من الكراهية وبغير قليل من الخوف إلى المهمة التي كلفت بها لشرح الأمور لابن سعود على الوجه المتقدم. ومع أنه لم تكن ثمة حاجة عسكرية حقيقية الآن للقضاء على ابن الرشيد، فإنه لم يكن هنالك في الوقت نفسه اعتراض عسكري على الاستيلاء على حائل من قبل ابن الرشيد (كذا، والأصح ابن سعود). ومن الصعب إغفال الاستنتاج بأن كفّة الميزان هبطت بابن سعود لاعتبارات تتعلق بالوضع الشريفي ـ الخوف، الذي أراه خيالياً، من إحياء وهابي متطرف وقلق الحكومة التي لا تريد إزعاج الشريف أو إعطاءه حجة للشكوى. وعلى كل حال كنت أعتقد أن ابن سعود يتخذ القرار المتوصل إليه على هذا الوجه ـ ولم أكن مخطئاً في هذه النقطة ـ وتوقعت بقلق شديد النتيجة المحتملة لاستيائه في حالة عدم تمكني من إبقائه عاملاً فعالاً بالوسيلة الضئيلة الموضوعة تحت تصرفي.

لكن أوامر الحكومة كانت نهائية، ونظراً إلى علمي بالضيق المالي لابن سعود، أملت الحصول على أفضل ما يمكن من المعالجة الحكيمة لحرية التصرف المالي المسموح به لي. وعلى ذلك مضيت في طريق العودة إلى ابن سعود لتبليغه بأوامر الحكومة التي كانت كما يلي:

(١) إن حكومة صاحب الجلالة يسرّها أن توافق على جعل مبلغ ١٠,٠٠٠ باون الذي قدّمته إلى ابن سعود كسلفة قبل أن أغادر الرياض، هدية.

(٢) إن حكومة صاحب الجلالة، إذ هي لا تستطيع أن تجهز مدافع وأسلحة خفيفة وموظفين على المستوى المقترح، يسرّها أن تهدي إلى ابن سعود ١٠٠٠ بندقية و١٠٠,٠٠٠ رصاصة.

(٣) إن حكومة صاحب الجلالة، مع اعترافها بأن العمليات على المستوى المزمع القيام به في السابق هي غير ممكنة قطعاً، ترغب أن يستمر ابن سعود بالضغط على شمّر ويفرض الحصار الشديد، وهي لذلك مستعدة لإعطائه مبلغاً مقطوعاً كبيراً من المال ـ والمبلغ الذي ذكرته فعلاً لابن سعود كان ٥٠,٠٠٠ باون ـ ومضاعفة إعانته الحاضرة البالغة ٥٠٠٠ باون شهرياً في حالة استيلائه على حائل بالوسائل التي تحت تصرّفه.

لا جدوى في الزعم أن ابن سعود لم يكن مستاء من هذا التخفيض للمنهاج

الأصلي. وقد نسب تغيير رأي الحكومة البريطانية إلى مكائد الشريف. وقد جاب مرافقي الذي عاد من جدة إلى الرياض بدوني، قصصاً فظيعة ومفرطة عن موقف الشريف من ابن سعود. لكن أهم نقاطه كانت أن حالته المالية لا تمكنه من القيام بعمليات فعالة في الميدان ضد ابن الرشيد، ولذلك فإن قرار الحكومة معناه ترك مخططاتها الأصلية للتعاون الفعال معه ضد العدو. والوعد بمعاملته بسخاء في حالة تنفيذه مهمة لا قبل له بالقيام بها، ولا فائدة عملية له منها، وأوضح بجلاء أنه، إذا كان التبليغ الذي قدمته له يمثل أوامر الحكومة النهائية المقررة، فلا مناص له من قبول قرارها وإبداء الأسف لعدم إمكانه تقديم مساعدة فعلية بعد هذا.

إن موقف ابن سعود لم يفاجئني، لكنني كنت أواجه احتمال إنهاء مهمتي، وأنا شاعر أن ترك ابن سعود إلى شؤونه الخاصة، وهو في مزاج كئيب ومستاء، قد يؤدي إلى نتائج وخيمة فيما إذا أصبحت علاقاته مع الشريف حرجة. فقررت أن أحافظ على مركزي على كل حال حيث كنت، ولهذا الغرض، أخذت المسؤولية على عهدتي لإعطاء ابن سعود قرضاً من المال الموجود في العقير، وقدره نحو ٢١٠٠٠ باون، بشرط قيامه بالتحضيرات لحشد القوات لحرب ضد ابن الرشيد.

هذه الترتيبات ساعدت على تمضية الأشهر الأولى من الصيف ووضعتني في مركز قوي، فإنه ما دام حقي في البقاء مع ابن سعود لا ينكر حين يكون غير قادر على تسديد القرض، فقد كان في وسعي أن أعارض استياءه إزاء استفزاز الشريف والعجمان إلخ بالقول إن دواء كل أدوائه إنما يكون في تنفيذ هجومه بشدة على حائل بعد أن وضعته في وضع يستطيع معه القيام بالهجوم. وقد ساءت الحالة السياسية شيئاً فشيئاً خلال الصيف وأصبح أهالي نجد متململين من جراء هجومين شنهما الشريف على إخوانهم في المذهب في الخرمة وغارات العجمان المتواصلة وصعوبات الحصار إلخ. ولكنني بلغت نهاية مواردي ولم يكن لديّ إلاّ الإصرار على الهجوم على حائل، وفي ذلك شفاء لكل داء. وقد تحقق ابن سعود أن عليه أن يباشر العمل إذا شاء أن يستحق مساعدة جديدة. وفي هذا الوقت أفادت التحضيرات للهجوم التي باشرها بكل همة ونشاط في صرف أنظاره عن الشريف.

بدأ تركي، أكبر أبناء ابن سعود، الهجوم على شمر في شهر تموز/يوليو من آبار «عجيبة»، لكنه لم يظفر بفريسته لأن شمّر انسحبوا قبل تقدمه وأصبحوا خارج قبضته. وقد كان لتخلّف ضاري بن طوالة أثر شديد في مساعدة شمّر على الفرار.

ولم يستطع ابن سعود أن يستعدّ قبل ٥ آب/أغسطس للخروج بقوته الرئيسية، وضربت الضربة الأولى على حائل حوالى نهاية أيلول/سبتمبر حين كان ابن سعود، أول من بلغ أسوار حائل كعدو، من سلالته، وقد فقد بوسائله المعوّقة فرصة ذهبية للقبض على ابن الرشيد ورجاله في العراء، أغار على ضواحي البلدة، ولما لم يستطع الإمساك بابن الرشيد في حصن «عويج البقاع» المحاط بالتلول فقد سقط على رعاة شمر خارج حائل وقتل نحو ثلاثين منهم وعاد بغنيمة كبرى تتضمن ١٥٠٠ بعير و١٠,٠٠٠ رصاصة وكثيراً من غنم ولوازم المخيّمات.

رفض ابن سعود رفضاً باتاً أن يسمح لي بمرافقة الحملة بسبب تعصب قواته المؤلفة كلها عملياً من عناصر الإخوان، ولسبب آخر بلا ريب، وهو شكوكه التي لم يستطع إظهارها حول نتيجة المعركة وتذكره مصير الكابتن شكسبير في آخر مناسبة حاول فيها إنهاء الخصومة مع ابن الرشيد. وقد التحقت به في قصيبة عند عودته من حملة حائل في ٢٥ أيلول/سبتمبر ووجدته واثقاً من نتيجة حملته حتى إنه تخلّى عن كل اعتراض آخر على بقائي معه. وفي هذا الوقت حصلت على موافقتكم ـ بالنظر إلى ضرورة جعل ابن سعود مشغولاً فعلاً ـ لمساعدته بالمال إلى حدّ ١٠,٠٠٠ باون شهرياً. وكان لإبلاغه الخبر أطيب أثر حتى أن ورود خبر في نفس اللحظة تقريباً عن محاولة ثالثة خاسرة للاستيلاء على الخرمة من جانب قوات الشريف لم تخفف من حماسته. وقد كان واثقاً من دحر ابن الرشيد بالجهود التي ينوي الاستمرار عليها بشدة حتى يحقق ذلك الهدف.

ولم يكن يعلم ـ ولا أنا أعلم ـ بخيبة الأمل المقدرة له. وحينما كنّا في طريقنا إلى الطرفية للاستعداد للضربة القادمة على حائل، كانت قوات تركية العسكرية تنهار، وفي الأيام الأولى من تشرين الأول/أكتوبر تسلمت خبراً دون شرح للتغييرات التي حلت آنذاك، بأن حكومة صاحب الجلالة ترغب أن يمتنع ابن سعود عن عملياته، وأنه في هذه الظروف لا تعتزم إعطاءه الـ ١٠٠٠ بندقية الموعود بها بدلاً من عدد مماثل من أسلحة رديئة سلّمت له سابقاً.

جاءت هذه الأوامر بدون شرح فخلقت شعوراً يماثل الذعر. وشك ابن سعود في قيام الشريف بمكائد جديدة ناجحة ضده وأعرب عن خيبة أمله المرة من المعاملة التي عاملته بها الحكومة البريطانية. والهجوم الأخير على الخرمة صار في نظره شيئاً آخر، وأخيراً وردت رسائل من فخري باشا قائد القوات (التركية) في المدينة يهنئه فيها على انتصار الإخوان على الشريف، ويعرض عليه تجهيزه بالسلاح

والعتاد والمال ليقوم بحرب ضد الشريف.

يجب الإقرار بأن الظروف السائدة عند تسلّم هذه الأوامر كانت سيئة كل السوء، وأن الأوامر نفسها بدت وكأنها قطع علاقات رسمي مع ابن سعود الذي شعر بخيبة أمل مرّة لمنع الأسلحة الموعودة عنه وبارتباك من تغيير حكومة صاحب الجلالة خططها تجاه حائل. وقد أعرب عما يمكن عملياً أن يعتبر إنذاراً نهائياً، فقال: «من الذي يثق بكم بعد هذا؟ إن أهالي نجد الذين انتقدوا دائماً سياستي الرامية إلى التحالف معكم قد بررت الحوادث موقفهم. بماذا أجيبهم الآن؟ ليس هناك سوى بديلين مقبولين لديّ ـ ولتقم الحكومة البريطانية باختيار أحدهما: إمّا إعادة حلفنا الفعال ضد العدو، وتقوم حكومة صاحب جلالته بدورها في مساعدتي بالمال والمواد لمواصلة الحرب بشدة أو، إذا رغبت الحكومة البريطانية أن أبقى عاطلاً، فإنني مستعد حقاً لألبّي رغبتها بشرط أن يضمنوا بقائي تجاه هجوم أعدائي الشريف، ابن الرشيد، وشمّر، والعجمان، وشيخ الكويت».

لم أر من الصواب السماح لابن سعود بكتابة هذا الإنذار النهائي والأسباب التي دعته إلى تقديمه، لأنني رأيت من المستحسن أن أمنعه من القيام بأي عمل لا يمكن الرجوع عنه أمام قومه. ولذلك تم الاتفاق بعد مداولة طويلة أن أذهب إلى الساحل فوراً للاحتجاج لدى الحكومة في هذا الشأن. وفي الوقت نفسه أفهمني ابن سعود أن البديلين المشروحين أعلاه يمثلان أدنى مطالبه، وأن الحكومة إذا كانت لا تستطيع تعديل قرارها، فإنه يعتبر نفسه حراً في اتخاذ أي عمل تفرضه الظروف لحماية مصالحه وأنه لا يتوقع مني أن أعود.

لقد انهار عمل سنة كاملة أمامي. ولم يكن لديّ إلاّ القليل من الأمل بأن الحكومة تعدّل إلى درجة محسوسة قراراً بلّغ بعبارات مؤكدة. وقد افترضت أنها ترغب، أو أنها على استعداد، لقطع العلاقات مع ابن سعود كأسوأ خطوة للخروج من مشكلة جزيرة العرب الوسطى. وتنبّأت بنشوب المعارك بسرعة بين جموع الوهابيين المستائين من المنع الطويل الأمد وبين قوات الشريف.

لم أسمع إلاّ عند وصولي إلى الكويت أخبار التغيير العظيم الذي حل فجأة في الوضع الحربي في كل مكان ولا سيما فيما يتعلق بتركية. أصبحت أوامر الحكومة الآن مفهومة لديّ، وورود موافقتكم ـ الصادرة توقعاً لمصادقة حكومة صاحب الجلالة ـ بإطلاق الـ ١٠٠٠ بندقية لإرسالها إلى ابن سعود أزالت مصدر الاستياء.

وقد صرت قادراً على كتابة رسالة تطمين إلى ابن سعود شارحاً الأمور التي بدا أنها كانت في السابق تعطي معنى مختلفاً تماماً. وكنت مقتنعاً فوق كل ذلك أن ابن سعود سيكون أول من يعترف بأن أوامر حكومة صاحب الجلالة كانت النتيجة المحتومة لانتصاراتهم على العدو ولم تعن قط أية رغبة من جانبها في إنهاء العلاقات الودية معه.

١٣ ـ الشريف وابن سعود

تسنّت لي الفرصة في الفصل السابق للإشارة بإيجاز إلى عدم إمكان التوفيق بين مطامح الشريف وابن سعود. ولم يكن الموضوع عظيم الأهمية فيما يخص عمل بعثة نجد خلال المدة التي يتناولها هذا التقرير فحسب، بل يستحق النظر بصورة جدية فيما يتعلق بخطط حكومة صاحب الجلالة لمستقبل العالم العربي.

حين وصلت إلى الرياض في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧ اتضح فوراً أن ابن سعود كان مدفوعاً بحسد أكّال للشريف، وخوف حقيقي من زعم الشريف السافر بأنه السيّد، إذا لم يكن الحاكم الفعلي، لكل الأقطار العربية بحكم وضعه كرئيس ديني أعلى في الواقع للإسلام السنّي، وقد أضفى على ادعاءات الشريف في هذا الخصوص تعبيراً حقيقياً اتخاذه لقب «ملك بلاد العرب». ولم يخف ابن سعود ريبته بأن اتخاذ هذا اللقب يقوم على بعض التفاهم السري مع حكومة صاحب الجلالة، وعدم رغبته في قبول الوضع الذي يستوجبه هذا الادعاء، وقلقه من أن تعهدات حكومة صاحب الجلالة إزاءه هو نفسه، كما عبّر عنها في المعاهدة التي وقعها السير برسي كوكس سنة ١٩١٦، تتأثر تأثراً سيئاً بالترتيبات التي اتخذتها الحكومة مع الملك (حسين). وقد أسرعت فأكدت لابن سعود أن حكومة صاحب الجلالة لا تعتزم أبداً التخلي بأية صورة كانت عن مسؤولياتها الناجمة عن المعاهدة نحوه، وأن اتخاذ الشريف للقب المبحوث عنه لم تسمح به حكومة صاحب الجلالة. وقد كنت قادراً مرة أخرى على تطمين ابن سعود بشأن هذه النقاط عند عودتي من مصر، حيث أتيحت لي الفرصة الكاملة لبحث الموضوع، فأفاد ذلك كثيراً في حمله على الرضا بلا تذمّر بتعديل المقترحات العسكرية لحكومة صاحب الجلالة التي كانت لديّ أوامر لإبلاغها إليه.

وخلال المحادثات مع الشريف في جدة في كانون الثاني/يناير ١٩١٨ أثار اهتمامي كون غيرة ابن سعود من الشريف وارتيابه به، مساوياً لموقف هذا الأخير

المتصلّب نحو ابن سعود الذي كان يرى فيه العقبة الكأداء لتحقيق مطامحه في الرئاسة في كل جزيرة العرب. وهذه هي الحالة التي كان عليها فعلاً، ولا يزال، وسيبقى عليها دائماً. ولكن قد لا يكون من العبث التساؤل ألم يكن بإمكان الشريف في المراحل الأولى من الحرب أن يحصل على اعتراف من ابن سعود بلقبه، لو أنه تبنّى سياسة أكثر ودية؟

كان ابن سعود دائماً في حاجة إلى المساعدة المالية والمادية. وليس من غير الممكن الاعتقاد بأنه مقابل ذلك لا يكون مستعداً لوضع موارده الخاصة تحت تصرف الشريف لإنجاز عملياته ضد العدو المشترك، كما فعل أو حاول أن يفعل بعد ذلك معنا خلال مدة نشاط البعثة. لكن الشريف سار على سياسة تجريد ابن سعود من الموارد وتحطيم سلطته بتقديم السلاح والمال إلى رجال العشائر النجدية كرشوة لحثّهم على التخلّي عن ولائهم لابن سعود. وبهذا العمل أثار غيرته وفاز بكراهيته الدائمة، بينما قام في الوقت نفسه بزيادة قوته زيادة عظيمة بتسليح أناس ما كادوا يحصلون على التجهيزات والمؤن حتى انقلبوا بطبيعة الحال إلى ابن سعود يطلبون إرشاده.

ومرة أخرى كان ابن سعود، الذي صرف كل مدة حكمه في توطيد سلطته في أراضيه، وحصل من حكومة صاحب الجلالة على الاعتراف باستقامته واستقلاله المطلق في داخل تلك الحدود، بشرط تحديد تلك الحدود فيما بعد، حكيماً في الاعتراف بأنه ليست لديه القوة الكافية، ولن تكون له أبداً، وفقاً للأحوال العصرية السائدة لتوسيع حدوده، فأخذ على نفسه أن يوطد حكمه على أساس النظام الوهابي داخل حدود هي واسعة فعلاً. وقد تظاهر الشريف بأنه يجد في سياسة التوطيد هذه تهديداً لأمنه هو نفسه ـ والحقيقة أنها لم تكن، في أسوأ حالاتها، أكثر من ضمانة ضد التهديد الموجه إلى الكيان الوهابي ضمن ادعاءاته ـ . وبدلاً من أن يسعى للعمل على إخماد حركة الإحياء الوهابية باللطف، مضى يهيّج تعصب أهالي نجد باضطهاد الجماعات الوهابية التي في متناول يده ـ مثلاً حادثة الخرمة وإرهاب النجديين المقيمين في الحجاز وغلق أسواق الحجاز بوجه التجارة النجدية.

من الصعب إغفال الاستنتاج بأن الشريف، على الرغم من الفوائد الكثيرة التي تمتع بها بحكم منصبه الديني، والموارد التي وضعتها تحت تصرفه دولة كبرى تميل لمساعدته بكل صورة على تحقيق الوحدة العربية المثالية، قد أظهر في إدارة صلاته

بـ «أقرب جار قويّ له» افتقاراً مؤسفاً للكياسة والمهارة اللتين هما أبرز صفات الملوك. وفي هذا الصدد وبالنظر إلى الخطة العامة للسياسة البريطانية فيما يتعلق بالشؤون العربية، كما أستطيع أن أقدّرها، فليس في إمكاني تلخيص المتاعب التي تبدو وكأنها تكتنف طريق حكومة صاحب الجلالة في تعاملها في المستقبل مع جزيرة العرب بكلمات أكثر معنى وأشدّ تنبُؤاً من تلك التي تظهر على الصفحة ٢٠٣ من كتاب المستر ج. وايمان بيوري «بلاد العرب غير السعيدة»[١]:

«إن أحد المبادىء الأولى لسياسة الدولة في التعامل مع الشرقيين هو عدم منح حاكم واحد تفضيلاً على الآخرين ما لم يكن، بصفاته ووضعه وموارده، مهيئاً لحمل السلطة العليا. ومعنى هذا إذا كان الحاكم لا يستطيع الحكم بدون مساعدة فلا جدوى من محاولة دعمه بقوة ظاهرة بين شعوب محاربة، لأن مجرد وجود مساعدة مسلحة أجنبية تخلق أعداء له حتى يصبح موصل صاعقة نوعاً ما للعواصف السياسية وينال سيّده الصدمة».

إنني أمضي بشيء من التردد لعرض نظرة الشريف إلى الأمور لأني أشعر أنني أراه من خلال نظارات نجدية كمجسّم لمثل أعلى لا يدرك، لكن لي ميزة السماع من نفس شفتيه خططه لإعادة بناء العالم العربي، والحد الأدنى الذي لا سبيل لتخفيضه لمطالب الوضع، وشيئاً من الطرائق التي يأمل أن يحقق بها خلاص العنصر العربي. وفي الوقت نفسه رأيته، من الجهة الثانية للستار، يقيم ضد نفسه، ربما بمحض إرادته وربما بسبب عدم خبرته في الإدارة والسياسة، عقبة كأداء لتحقيق أهدافه. وقد يجوز لي أن أقول فوراً بأنني لا أشارك الرأي بأنه مدفوع برغبة قلبية وغير أنانية لسعادة العنصر العربي والدين الإسلامي أكثر من دوافع الطموحات الشخصية لنفسه وآله. لكن هذا الأمر قليل الأهمية.

إن الشريف، وهو يبحث أصل ثورته في التاريخ والدوافع التي أوحت بها، تكلم بحرية عن بعض الوثائق الغامضة التي بحوزته والتي لم أستطع أن أحصل على معلومات بشأن محتوياتها من مصدر آخر ـ إن مجرد وجودها أو صدقها يبعثان كما يظهر على الشك. وصرّح أن هذه الوثائق تؤلف ميثاق حقوقه، وسوف

---

(١) G. Wayman Bury, *Arabia infelix*, p. 203.

يخرجها في اللحظة النفسانية المناسبة. وهو متأكد أن الحكومة البريطانية لن تتراجع عما تعهدت به.

وقال ما معناه إن هذه الوثائق تعني ضمناً، الاعتراف بادعائه أن يكون ملك الشعوب العربية. وينفذ هذا الادعاء عند تحرير كل الشعوب العربية من النير التركي. وذلك ما يؤثر في وجود الوحدة العربية. واللقب المحدود «ملك الحجاز» الذي اعترفت به علناً الحكومة البريطانية وحدها كان خيالاً لا معنى له وغير مقبول لديه. وأقرّ بأن تعديلات صغيرة للسياسة قد تحدث، وهي في الحقيقة لا محيد عنها، كما في قضية فلسطين التي تم احتلالها مؤخراً. لكنه لن يرضى بأقل من الاعتراف الوافي بمطمحه الرئيسي، وفي حالة إخفاقه في ضمان ذلك فإنه يفضّل الاعتزال بشرف في ظل الحكومة البريطانية على القبول بسيادة محدودة. وفي هذا الوقت أكّد على شيئين: أولاً، علينا بقدر الإمكان الامتناع عن المغازلة مع عناصر عربية أخرى سواه، وعن أي تعامل مع حكام عرب مستقلين كالإدريسي وابن سعود لأن ذلك يجعل من الصعب تحقيق خططه، وهو متأكد أن لديه مشروعاً محكماً لإزالة كل العقبات عن طريقه وطريقنا، حين تترك له نهاية الحرب مع تركية الحرية لتحويل اهتمامه إلى ناحية أخرى. وثانياً، بالنظر إلى أن من الضروري للشعوب العربية المختلفة أن يكون لديها مثل أعلى محسوس للاتحاد، ويجب على هذه الشعوب أن تثقف نفسها لبلوغه، وأن تركز اهتمامها عليه، فإنه يجب أن يعترف رسمياً باللقب الذي اتخذه لنفسه «ملك الديار العربية». والحلقة المفرغة، كما أشار إليها الكوماندر هوغارث بصورة ملائمة، الداخلة في هذه السلسلة من الجدال، تركته فاتراً ـ فقد فكر أنه ليس من الصعب في أن يصبح ملك العرب بمخاطبته بذلك من استحقاقه لحق هذا الخطاب بكونه فعلاً ملك العرب.

ومهما كان الأمر، فإن حكومة جلالته، على الرغم من احتجاجات الملك المتكررة، وجدت نفسها غير قادرة على الموافقة على قضية اللقب، غير أنها، حسب علمي، لم تثر اعتراضاً رسمياً على استمراره في استعمال اللقب غير المسموح به في مراسلاته الرسمية ـ والقضية كانت قليلة الأهمية ـ إلاّ من حيث إن ابن سعود بينما اعترض بصورة مفهومة على لقب «ملك الحجاز» فإنه على الرغم من بياناتي حول الموضوع، اهتم بأن يجيب «شريف مكة» حين خاطبه بلقب «ملك البلاد العربية». أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى، فإن حكومة صاحب الجلالة بتعديلها

أفكارها في موضوع عمليات حائل قد أذعنت بصورة واضحة لادعاءات الملك بأنه المتسلم الوحيد لاحترام الحكومة [البريطانية] السامي وكرمها.

وقد ركز الملك معظم نشاطه على محاولاته للحصول على الاعتراف بمركزه الديني، وحسبما أذكر لم يذكر موضوع الخلافة إلاً قليلاً في المحادثات التي جرت في جدة. فهذا الأمر لم يكن ليجابهه بأية صعوبة، بل يأخذه في طريق سيره. وادعاؤه الروحاني بصفته أعظم الأحياء من سلالة النبيّ لم يكن موضع نقاش. وعلى كل حال لن يرفض منصب الخلافة من جانب المؤمنين لخلف سلطان تركية في دور أكبر دولة إسلامية مستقلة ـ والحقيقة أن اسم الحسين بن علي أخذ منذ هذا الحين في أنحاء مختلفة من العالم يملأ الفراغ الذي كان يشغله السلطان العثماني في خطبة الجمعة الرسمية. ولكن يبدو من الضروري ذكر تحفظ في الموضوع بخصوص العنصر الوهابي في جزيرة العرب الوسطى. لقد صرّح السير برسي كوكس، في مؤتمر عقد في القاهرة في آذار/مارس ١٩١٨ واطلعت على محضره حديثاً بأن من رأيه أن ابن سعود إذا كان لا يعترف أبداً بالشريف رئيساً أو سيداً زمنياً له، فإنه قد يكون مستعداً لقبول ادعائه بالخلافة. هذا صحيح، ولكن بتحفظ مهم. فمع احترامي لرأي السير برسي كوكس، أرى من الضروري ذكر هذا التحفظ. إن ابن سعود، ولو كان يقرّ أن ادعاء الشريف بخلافة المسلمين من السنة يماثل، بل يفضل، ادعاء أي شخص آخر، وحتى سلطان تركية بسبب انحداره المباشر من النبي ـ فإنني في الحقيقة أشك فيما إذا كان الآن، بالنظر إلى ما قد حصل خلال السنة الماضية، يلزم نفسه بهذا الإقرار. فهو يرى الإسلام السنّي نفسه انحرافاً عن سنّة الرسول الصحيحة التي يمثلها المذهب الحنبلي أو الوهابي فقط. ومع أنه لا يعترض على إشغال الشريف أو أي واحد غيره لمنصب الخلافة فإنه لا يقرّ بأية حال بزعامته الروحية عليه وعلى شعبه.

ويبدو لي من المؤكد، بقدر تأكدي من أي شيء إنساني، أن الشريف، ما لم يستعمل القوة، لن ينال السيادة على نجد. وقد أوضحت آنفاً كيف أنه، لو اتخذ سياسة أخرى، لأمكن تغيير تاريخ البلاد إزاءه، ولعلّي قلت ما فيه الكفاية بأن الأمل الأخير للوحدة العربية قد غاب مع الهجوم الشريفي الأول على الخرمة، إن لم يكن قبل ذلك.

وعلى كل حال إنني فهمت أن المثل الأعلى للوحدة العربية تحت حاكم واحد، ذلك المثل الذي برز في المراحل الأولى للمفاوضات مع الشريف، قد صُرف النظر

عنه نهائياً من جانب كل دارسي المشكلة الجدّيين. مع ذلك تبقى الحاجة إلى إيجاد حلّ ما للمشكلة العربية ـ أي أننا إذا لم نكن على استعداد نهائياً لترك الجزيرة العربية إلى وسائلها الخاصة مع احتمال حصول نزاع متواصل وإراقة دماء ـ والمراسلات الحديثة تدل على إحياء المثل الأعلى السابق بشكل معدّل، ملخصاً في صيغة «الأولوية للملك حسين دون إخلال بالحقوق الإقليمية لسائر الرؤساء العرب» ـ تلك الصيغة التي وردت في برقية المندوب السامي المؤرّخة في ١٢ آب/أغسطس ١٩١٨.

لست واثقاً هل أن المقصود بهذه السياسة أن تكون مرادفة لما يسمى «سياسة الرئاسة» كما جاءت من المندوب السامي في كتاب حرّر في أيار/مايو وأرفق به مذكرة طويلة للكرنال سي.ثي. ويلسن، الوكيل البريطاني في جدة، لأنظار حكومة صاحب الجلالة، وقد شرحت في هذه المذكرة تفصيلاً فكرة إقامة الملك حسين رئيساً (سيداً) لكل الحكام العرب وترويض هؤلاء لقبول هذا المشروع.

إن المثل الأعلى للأسبقية والسيادة يعني في الحقيقة شيئاً واحداً. ومهما حدث فلا شك أن الملك حسين، بسبب نشاطه خلال الحرب، والأقاليم التي يسيطر عليها مباشرة كما هو المظنون، والموارد الكبيرة التي تحت تصرفه، ووضعه العالمي في الشؤون الروحية، سوف يكون دائماً أهم رجل في العالم العربي. لكن من الواضح أن المندوب السامي يهدف إلى أكثر من ذلك، كما هو بلا ريب ما يرغب فيه الملك حسين، وهو أن سيادته العامة تفرض الضغط السياسي أو سواه على جميع الحكام الآخرين الذين نستطيع التأثير عليهم.

أنا أعترف بأنني أرى هذا المثل الأعلى طوباوياً ـ مهما يكن مرغوباً فيه من وجهة نظر الملك حسين وحكومة صاحب الجلالة ـ وكلمة المستر بيوري التي ذكرت آنفاً، يجب أن تكون إنذاراً كافياً ضد أية محاولة لفرض تسوية مشكلة الجزيرة العربية بالقوة، إن لم يكن بسبب إلاّ لتفادي إثارة معارضة عظيمة ضد الشريف، بحيث يصبح وضعه غير قابل للدفاع عنه، وتجد الحكومة البريطانية نفسها مدعوّة للمداخلة لحفظ السلام ـ بل وحتى للحفاظ على مكة.

ليس للشريف إلاّ أن يشكر نفسه على المرارة القائمة بينه وبين ابن سعود، فهجومه المتكرر على الخرمة سوف يغور لأمد طويل في صدور أهالي نجد كمثال لأساليبه في المصالحة. وابن سعود، معترفاً بمصلحته الخاصة في المحافظة على

الصلات الودية مع الشريف بسبب وضعه الخاص في تأييدنا له، قد التزم السكوت طويلاً على الرغم من الاستفزاز، وحتى إنه قدم غصن الزيتون بشكل كتاب ودّي كتبه حسب اقتراحي ضد رغبته الصادقة، ولكن في النهاية بصورة عفوية نوعاً ما، أعيد ذلك الكتاب غير مفتوح، وعومل الرسول نفسه بالإهانة وحتى بالتهديد، وتكلم الملك بكلمات شديدة وغير ودية عن ابن سعود.

وإزاء هذا التصرف من جانب الشريف، يبدو لي أن من العبث الادعاء بأن له أقل رغبة في الحفاظ حتى على شكل من العلاقات الودية مع ابن سعود. وليس في الإمكان التفكير في إهانة أكثر علانية وأشد إغاظة، وإن احتمال قبول ابن سعود طوعاً بسيادة الملك أو الاعتراف بمركزه الأعلى بأية صورة كانت، ذلك ما يترك إلى تصوّر السامع.

لهذه الأسباب أرى حتى المثل الأعلى المعدّل لـ «سياسة السيادة» غير قابل للتحقيق، والبديل الآخر لخلق دولة لها سيادة على كل بلاد العرب عدا نجد، أغفله أيضاً باعتباره مبدئياً يثير مصاعب مماثلة. إن ابن الرشيد، بالرغم من كل جهود الشريف وأبنائه لاسترضائه خلال الأشهر القليلة الماضية، أراه أكثر احتمالاً للانضمام إلى ابن سعود لأجل الحماية المتبادلة ضد مطامع الشريف من قبول سيادة هذا الأخير. ومسقط والبحرين ودول الساحل المهادن أقل احتمالاً للاندماج بمحض رغبتها في بلاد عربية موحدة. والإدريسي والإمام لا يكسبان شيئاً بالانضمام إلى الشريف ـ ولنذهب إلى أبعد من ذلك، ليس هناك، حسب خبرتي الشخصية، من سبب للافتراض بأن شعب العراق يخضع لسيادة الشريف إلاّ بالقوة وبتردد كبير.

أنا أعلم حقاً بأن انتقاداتي لها طابع تخريبي خالص، وليس فيها بذور سياسة بناءة، وليس لي إلاّ أن أقول إن مصالح الدول العربية المختلفة التي تؤلف العالم العربي هي مختلفة اختلاف مصالح مقاطعات الهند وأقسامها، وهي مثلها لا يمكن التحامها لتكون وحدة سياسية مؤتلفة إلاّ إذا تمَّ ذلك بنفوذ قوة خارجية شديدة تستطيع على الأقل حفظ السلامة العامة بين طوائف متنافرة ومصالح مختلفة.

إن الوحدة العربية كمثل أعلى في أوسع حدود المعنى مقضي عليها بالاختناق من قلة الحيوية، ونفوذنا وتأثيرنا في بلاد العرب الوسطى قد ابتلي بنقص خطير، ولا أقول متعذر للعلاج، خلال محاولاتنا لمنحه الحياة. أنا لا أستطيع أن أجد حلاً

معقولاً للمشكلة التي تواجهنا إلاَّ بالاعتراف بالدول العربية التي نراها تتمتع باستقلال سياسي، ولا يمكنني أن أتصوَّر دوراً في المستقبل يكون أشرف وأضمن للمطامح البريطانية من السيطرة على مقدرات دول جزيرة العرب المستقلة تحت سيادة سياسية طليقة مسؤولة ـ إذا استثنينا المسؤولية الأدبية لأنفسنا وللدول نفسها لاستثمار مواردها ـ عن جعل النزاعات داخلية محضة وحفظ السلام حيثما تكون مصالح الأكثرية مهدّدة.

أصبحت حكومة صاحب الجلالة خلال السنوات القليلة الماضية معتادة على النظر إلى الشريف كأنه أقوى سلطة في جزيرة العرب ومالت ـ ربما من جراء تواضعها بلا وعي ـ أن تقلل الدور الذي تقوم به، في عمليات الشريف العسكرية الفعلية، القوات والموارد، إذا أغفلنا ذكر خدمات الضباط البريطانيين، الموضوعة تحت تصرّفه. ولذلك فليس من غير الضروري بالمرة استرعاء النظر إلى قوة نجد المتنامية القائمة على أساس التأثير الموحِّد (بكسر الحاء) لعقيدة صارمة ومتعصبة، يوثقها بعد سنوات من الجهد الصابر أمير يشغل اليوم في تقدير العرب المحل الذي كان يشغله بالأمس محمد بن الرشيد. وعلى كل حال يقع على عاتق حكومة صاحب الجلالة أن تمتنع عن استفزاز تلك القوة للعمل، وإن الإنسان ليأمل أن اعتناق مثل هذه السياسة لا يكون على كل حال غير ملائم، مع الاعتراف بالدور الكبير الذي يؤديه الشريف خلال سنوات الحرب هذه.

١٤ ـ بعث الوهابية

أتيحت الفرصة للكرنل هاملتن خلال سفرته إلى الرياض في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٧ أن يمرّ على مسافة رحلة يوم واحد من الأرطاوية أحد مراكز الحركة الوهابية الجديدة التي تسمّى بـ «الإخوان». وقد أعجب كثيراً بما سمع عن عقائد هذه الفرقة المتعصبة وقبل، بدون تحقيق، احتمال صحة تقدير محلي يضع عدد سكان البلدة بـ ٣٥٠٠٠ نفس. وأنا واثق أن تفكيراً قليلاً كان من شأنه أن يمنع الكابتن هاملتن من إبلاغ ما سمعه دون تحقيق آخر، ومن المحتمل أنه لم يتوقع أن يحمل ما أبلغه محمل الجد. ففي المحل الأول أنه لم يكن محتملاً بصورة واضحة أن بلدة تبلغ ضعف أكبر بلدة في جزيرة العرب الوسطى، قد ظهرت في مدة سنوات قليلة، وفي المحل الثاني ـ وهذه النقطة في ذهني نهائية ـ أن التقديرات المحلية للنفوس لا يمكن الاعتماد عليها بدرجة قطيعة، وكان من المفيد في هذه القضية

قبول خطة [الرحالة] داوتي في تخفيض مثل هذه التقديرات بنسبة ٩٠ بالمائة. وقد رأيت البلدة من مسافة حسنة، في تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨، وأنا مقتنع بأن سكانها لا يمكن أن يزيدوا على ١٠,٠٠٠ إلى ١٢,٠٠٠ نفس.

ومهما يكن من الأمر، وجدت عند وصولي إلى جدة والقاهرة أن بلاغ الكرنل هاملتن قد نشر رسمياً وحاز قدراً مزعجاً من التصديق، مسبباً قلقاً غير قليل وحاملاً السلطات المسؤولة عن الشؤون العربية على إعارة أهمية أكبر مما قد تسمح به الحقائق لبلاغات صادرة عن مصادر متحيزة حول نموّ الإحياء الوهابي وأغراضه. وقد نشر تقرير كتبه اللفتنانت كرنل ت.ئي. لورنس، ويدّعي أنه يعبّر عن آراء الشريف فيصل، و«النشرة العربية» (العدد ٧٤ لسنة ١٩١٧). وآراء الشريف عبد الله أعطيت محلاً بارزاً في الوقت المناسب في النشرة نفسها. وقد شعرت أن الموضوع يجري الحكم عليه مسبقاً ـ إذا لم يتم ذلك فعلاً ـ على أساس معلومات ناقصة تماماً. لقد استنكرت إعارة أهمية أكثر من اللزوم لآراء أشخاص متميزين حقاً، وبذلت جهدي للحطّ من قيمة الرأي الخطير الذي ينظر فيه إلى الوضع من جانب السلطات العليا. لكن المحافل الشريفية جسّمت الخطر الموهوم وعرضت إحياء الوهابية كعامل تهديد فوري للسلام والأمن في جزيرة العرب.

حدثت حادثة فريدة ـ لمرة واحدة خلال ١٢ شهراً، حسب علمي، للفوران الفعلي للحركة الوهابية المتطرفة الباعثة على الخوف ـ في هذا الوقت لتأييدالقصص المنتشرة على أفواه أبناء الملك. إذ دخلت جماعة من رجال عشيرة عتيبة، من غير الوهابيين، وبضمنها أحد الشيوخ، في نزاع مع الإخوان في الغطغط حيث ذهبوا حسب الظاهر للغزو أو السرقة ودفعوا حياتهم ثمناً لجرائمهم.

وقد اندفع الأقارب الذين أصابهم الأذى إلى الشريف طالبين دفع ظلامتهم، ورسم هذا الأخير صوراً مقلقة لانتشار دعاة الوهابية بضرورة الحدّ من الحركة في أعلى مراحلها. واتهم ابن سعود بتشجيع الحركة لدعم مطامعه السياسية الشخصية.

ويكفي القول إنه، من هذا الوقت وصاعداً، لعب الخوف من النهضة الوهابية دوراً كبيراً في حمل حكومة صاحب الجلالة على النظر بصورة سلبية في أي اقتراح يحتمل أن يزيد من قوة ابن سعود العسكرية. والأزمة التي خلفها هجوم الشريف المتكرر على رجال العشائر الوهابيين في الخرمة والاحتمال المتزايد لحصول قطيعة علنية بين ابن سعود والملك، ذلك الاحتمال الذي عتّم جوّ القسم الأخير من المدة

التي يتناولها هذا التقرير، ثبّتت الحكومة [البريطانية] في نفورها من تسليح ابن سعود، ولو اعترف بضرورة إبعاد اهتمامه عن شؤون الشريف، باستخدامه بصورة فعالة ضد العدو.

والدراسة التي أجريت للوضع في بلاد العرب الوسطى فيما بعد، حملتني على تثبيت رأيي بأن الخطر الوهابي على هذا الوجه هو خيال الأذهان المتحيّزة. وأصبحت واثقاً أن ابن سعود يسيطر سيطرة تامة على الحركة. وفي الوقت نفسه ظهر بوضوح أن العامل المقلق في الوضع إنما هو عزم الشريف البارز على استفزاز ابن سعود لتحريك قوى الوهابية ضدّه، إما لإقناع حكومة صاحب الجلالة بصدق إنذاره أو، في أسوأ الأحوال، إرغام الحكومة على الاختيار بينه وبين ابن سعود ـ وتلك مشكلة لا يمكن حلها حقاً إلاً باختيار جهة واحدة. وهذه الحقيقة ربما كانت غير معروفة إلى درجة كافية ـ فإصرار الشريف بشأن الخرمة، وهي غير مهمة بحدّ ذاتها، لم يكن له غرض سوى استفزاز ابن سعود ليقوم بعدوان سافر. كان هذا الأمر جلياً لأي عمل يقوم به لتأكيد حقوقه بالقوة، وعزمه على تحاشي اجتذابه إلى النزاع في قضية لم يشعر شعوراً قوياً بأهميتها، كان مساوياً للمصاعب التي عاناها في إقناع رعاياه بوجوب الصبر. ولحسن حظه كان أهالي الخرمة قادرين على مساعدة أنفسهم، فإن اندحارهم أمام قوات الشريف ما كان إلاّ مؤدياً إلى القتال.

ثمة صعوبتان كبريان اعترضتا منذ عهود بعيدة طريق أولئك الذين حاولوا حكم الجزيرة العربية ـ عادات عشائرها الرحالة، وعدم وجود قطب جامع للتآلف. فقد كان آل الرشيد إلى درجةٍ ما قادرين على التغلب على هذه الصعوبات بسبب التكوين الخاص لقبيلة شمّر التي يؤكّد تضامنها بوجود عاصمة مشتركة لها وحاكم تجري دماؤها في عروقه. أما فيما يتعلق بآل سعود فالأمر كان مختلفاً ـ أسرة حاكمة غريبة عنهم، تقيم في مركز خلقته هي نفسها وتحكم مجموعة عشائر مستعدة في أي وقت لخلع ولائها متى وجدته غير ملائم.

والحروب الأهلية، إذا كان لنا أن نستعمل هذه التسمية، لعشرات السنين التي تبعت وفاة فيصل (آل سعود) تمثل حقاً هذه النقطة، وحاكم نجد الحالي لم يكد يلي الحكم في الرياض حتى وجد نفسه مدعواً لمواجهة الصعوبة نفسها، والمطالبون بالحكم من نفس أسرته رفعوا لواء العصيان عليه وحصلوا إضافة إلى ذلك على دعم قويّ، بين عشائر نجد وبلدانها. لكن عبد العزيز بن سعود أثبت أنه رجل صلب البنية ـ وقد قضى السنوات الأولى من حكمه في طرد الغزاة الأجانب من حدوده

البعيدة، ثم عقب ذلك زمان اضطر فيه إلى مواجهة ادعاءات مرشحين منافسين لحكمه، وبعد ذلك قام بجهد ناجح قصير الأمد لتوسيع أراضيه على حساب الإمبراطورية العثمانية. أخيراً جاء عهد الإعمال الذي اتّبع بثبات ولو أخّرته الحرب. والآن أصبحت نجد، كما لم تكن قبلاً، وحدة سياسية متجانسة تعترف بحكم ابن سعود.

وعندما قام عبدالعزيز في مباشرة مهمة التوطيد الذي واجهه، لم يقصّر في التأثر بمثالين من تاريخ جزيرة العرب الوسطى. فمحمد بن الرشيد نال قوته من الخواص التي جعلت شمّر على ما كانوا ولا يزالون عليه ـ قبيلة بدوية مؤسسة على بلدة بدويّة ـ أما جده القديم سعود بن سعود فقد حمل سلاحه المنتصر إلى أبعد أركان جزيرة العرب بفعل مزجه الحكيم للدين والسياسة، وذلك سرّ قوّته.

أما ابن سعود فلم يتبع أياً من المثلين بصورة كلية، بل باشر مزج الاثنين، وكانت النتيجة حركة الإخوان التي تكون خواصّها الأساسية كما يلي:

(١) كانت الحركة قاصرة على البدو الذين، وإن كان معظمهم تابعين للمذهب الحنبلي اسمياً أو، كما أصبحوا يسمّون بعد ذلك، للمذهب الوهابي، فإنهم مقسومون فعلاً في ولائهم بين هذين المذهبين وبين أصول العرف غير المكتوب الذي ينظم حياتهم. وأهل البلدان النجدية الذين يسودهم بقوة طغيان الرأي العام المنظم في شؤون الدين، يعتقد ضمناً أنهم وهابيون أتقياء، ولذلك لا يحتاجون إلى اهتمام خاص.

(٢) «المطوّعون» أو، كما سمّاهم بحق [الرحالة] بالغريف [المتعصبون] [المتحمسون] الذين يعيّنون من بين علماء المدن لغرض خدمة الاحتياجات الدينية للبدو، وتعليمهم مبادىء المذهب الوهابي البسيطة، والإشادة بمزايا حياة تتخذ حياة الرسول قدوة، وشجب شرور عادات المجتمع البدوي، والتبشير بالمباهج المادية في الجنّة، وغرس واجب الشهادة في سبيل الدين في الأذهان باعتباره أضمن طريقة للدخول مباشرة إلى جنة الراحة والهناء. وقد عمل «المطوعة» في البداية بين البدو الرّحل، ثم واظبوا على تمجيد المزايا السياسية للحياة الاجتماعية في خدمة الله.

(٣) هكذا سار العمل لتفتيت الصفات الأساسية للمجتمع البدوي،

واتخذت المواقع المناسبة لإنشاء أماكن استقرار دائمي، وبرز عدد من القرى أو القصبات خلال السنوات الخمس أو الست الأخيرة في أنحاء مختلفة من نجد، وتلك ظاهرة لإحلال رابطة الأخوّة الدينية محل الروابط العائلية ـ وهكذا بينما احتفظ «الإخوان» من المطير بالنسبة إلى نفس رجال عشائرهم من الإخوان بحقوق المجتمع العشائري وامتيازاته، فإنهم حصلوا، مع الإخوان المنتمين إلى عشائر معادية فيما مضى، على كل الحقوق والامتيازات للأخوّة الدينية.

(٤) إن الإخوان، وقد جمّعوا على هذا الوجه في مراكز ملائمة وأصبحوا متحمسين لإيمانهم الجديد، أبدوا فوراً الرغبة في قطع صلاتهم القديمة مع زملائهم العشائريين الذين لم يعتنقوا المذهب، لكن ابن سعود، بفطنته السياسية النادرة، لم يشجع هذا الميل، وبذلك توثقت رابطة قوية من المصالح المشتركة بين أهمّ أفخاذ جميع العشائر النجدية الكبرى. وقد شيَّد ابن سعود على هذا الأساس دعامة سلطته السياسية، معتمداً على العناصر البدوية في مجتمعاته الجديدة إلى جانب الحضريين الذين سبق لهم الاستقرار، وأصبح الآن قادراً على إعفاء هؤلاء إلى درجة بعيدة من الواجب المنهك الذي كانوا يؤدّونه لأمد طويل في الاشتراك في حروب حكامهم.

(٥) بعد توطيد الأمن والسلام في أراضيه بلزوم ترك عادة الغزو القديمة كما هو مفروض على الأخوّة الجديدة، أصبح ابن سعود قادراً على الاستعانة بالطاقة الاحتياطية للإخوان الذين نذروا أنفسهم منذ الآن للقتال في سبيل الدين فقط أو في الدفاع ضد الهجمات، لتكون جيشه الدائم. وعليهم دون غيرهم وزّع الأسلحة والعتاد الذي في حوزته، وعليهم صار اعتماده ليكوّنوا العمود الفقري لجيشه في الحرب. وقد جمع هؤلاء الإخوان صلابة البدو إلى استقرار الحضر، وخدمة المصالح الاقتصادية بدون إضاعة.

والخلاصة يمكننا القول إن غرض ابن سعود في تشجيع حركة الإخوان هو زيادة قوّته العسكرية، بنشر عبء الخدمة العسكرية على عدد أكبر من رعاياه، والتقليل من عناصر الضعف الفطرية في دولة بدوية وجيش بدوي، ولتوفير موارده بإحلال أمل المكافأة محل اعتبارات الارتزاق.

ويجوز التساؤل لأي هدف نهائي خلق ابن سعود هذا النظام وهل هناك ضمان لقدرته على السيطرة على الحركة. أنا أجيب عن السؤال أن دافعه لم يكن سوى الرغبة في خلق دعامة قوية دائمية ضد الاعتداء الخارجي في المستقبل والطموح الغامض لجلب جبل شمّر مرة أخرى تحت حكم أسرته. وفيما يتعلّق بمطامعه في نواح أخرى ـ لأنه لا يمكن أنه لم ينظر في احتمال مدّ الحدود الوهابية مرة أخرى إلى أبعد أنحاء جزيرة العرب ـ فلا يمكن القول أكثر من أنه ينظر إلى الحكومة البريطانية كعقبة كأداء ودائمة لتحقيق مثل هذه الأحلام، وهو مستعد لقبول هذا الوضع.

أما الجواب عن الجانب الآخر من السؤال فهو أشدّ صعوبة، أعتقد أن في الإمكان الجواب إيجاباً بصورة سرية على قدر ما يتعلق بأية سياسة محتملة في المستقبل، ولكن يكون من العسير التوقع من نظام موضوع على أساس التعصب، أن يستطاع السيطرة عليه حسب الإرادة في حالة استفزاز ذلك التعصب بصورة خطيرة بهجوم عدائي. إن هذا الاحتمال، الذي يصبح أشدّ خطراً في حالة غياب ابن سعود نفسه عن المسرح، يجعل من المرغوب فيه لأجل مصلحة السلام المقبل في جزيرة العرب عدم تشجيع أي عمل هجومي من جانب الشريف أو العناصر الأخرى التي تحت سيطرتنا. وقد يمكن النظر إلى «عش الزنابير» الوهابي برباطة جأش ما دام يبقى دون إزعاج، لكن آخر الأخبار من الجزيرة العربية الواردة قبل أيام قليلة فقط، تدل على أن الشريف يهيء هجوماً جدياً على الخرمة.

إن احتمال المصادمات بين ابن سعود والشريف لا يصحّ في الظروف المتغيّرة أن تسبب لنا قلقاً على أنفسنا، لكن يجب أن نشعر، قبل أن يصبح الأوان متأخراً، أن الخرمة ليست سوى حادث في معركة أشدّ تأتي فيما بعد. وعلى حكومة صاحب الجلالة أن تقرّر هل هي مستعدة أو غير مستعدة لترى مكة مهاجَمة ومغلوبة مرة أخرى من جانب الوهابيين. وأنا أميل إلى الاعتقاد، بصورة عامة، بأنه ما دامت الخرمة غير مغلوبة على أمرها، كما تدل على ذلك الأسباب الراهنة، فلا خطر من امتداد النشاط الوهابي بعيداً، لكنني واثق بأن اندحار خالد بن لؤي يكون علامة لانفجار العاصفة.

١٥ ـ حادث الخرمة

حين مررت بقرية الخرمة الصغيرة الواقعة في منخفض وادي سبيع في كانون

الأول/ ديسمبر ١٩١٧ بطريقي إلى الطائف، شعرت بوجود القلاقل، لكن مناورات عشائر السبيع والبقوم لم يكن فيها ما يدلّ على حدوث عاصفة في ذلك المحل الذي هيّء ليكون، إذا أمكن القول، محور السياسة في جزيرة العرب الوسطى. وظروف عمل البقوم تحت إمرة أمير تربة الممثّل الرسمي لملك الحجاز هي وحدها التي خالفت العمليات التي شاهدتها عن الغارات الدائمة لعتيبة وحرب وقحطان في السهل الواسع في الغرب.

وحسب المعلومات التي تمكّنت من جمعها في جزيرة العرب الوسطى إن الخرمة التي كانت جزءاً كسائر بلاد العرب من الإمبراطورية الوهابية الواسعة وحصلت من سعود نفسه على إعفاء من واجب دفع الضرائب إلى الخزينة المركزية، استقرّت تحت رؤسائها من الأشراف الذين سادوا منذ عهد بعيد على الملاكين من السبيع والزراع العبيد في بساتين نخيل القرية ويتمتعون باستقلال ذاتي عملي تحت سيادة نجد الغامضة. وفي تاريخ لاحق انتقلت الخرمة إلى سيادة تركية الغامضة أيضاً، ومورست السلطة بلا ريب باسم السلطان من قبل ممثله شريف مكة. ولكن خلال عشرات السنين الأخيرة من القرن التاسع عشر، حين اعترفت نجد بأسرها بحكم ابن الرشيد، يظهر أن هناك سبباً للاعتقاد بأن ابن الرشيد استحصل من السلطات التركية على اعتراف كبير بسلطته وقبول خط وادي العقيق حدوداً بين أراضيه ومنطقة السلطة التركية المختارة، وهي الحجاز. وبهذا الترتيب تكون الخرمة داخلة ضمناً في أراضي ابن الرشيد، ولدى طرده من نجد، في أوائل القرن الحالي، عاد ابن سعود إلى حكم أقاليم أجداده.

إن الحقائق المهمة للقضية هي أولاً، أن الخرمة، حسبما تمكنت من التحقيق، كانت دائماً فيما مضى لا أهمية لها لتكون موضوع نزاع بين السلطات المختصة أو تذكر بصورة خاصة في أي اتفاق عام. وثانياً، إنها بقيت دائماً تتمتع بحكم ذاتي واستقلال فعلي. وأخيراً، إنها كانت على كل حال تعتمد بصورة طبيعية على نجد بالنظر إلى ولائها للمذهب الوهابي. ويظهر أن هذا الولاء لم تجر أية محاولة للتدخل فيه قط، ولا أرى سبباً للارتياب في صحة بيان ابن سعود بأن الشريعة طبقت دائماً في الخرمة لصالح أهاليها على أيدي موظفين دينيين من المذهب الوهابي، ومنهم القاضي الذي يشغل منصبه في الوقت الحاضر والذي خلف أباه هو أيضاً نال منصبه من فيصل بن سعود منذ مدة لا تقل عن ٥٠ عاماً.

المصدر والأصل للموضوع ـ وهذا على أساس بعض الرسائل التي كتبها

الشريف عبد الله نفسه لرؤساء السبيع العشائريين ـ هو محاولة من جانب الشريف في صيف ١٩١٧ لفرض قاض تقليدي على أهل الخرمة بدلاً من القاضي الوهابي الذي خدمهم لمدة طويلة، أو، بكلمة أخرى، للتدخل في حرية الجماعة الدينية. وهذه المحاولة كانت موضع استياء شديد ومعارضة قوية من أهل الخرمة الذين يرأسهم الشريف خالد بن لؤي أميرهم. ولم يسمح للقاضي الجديد بتسلم منصبه، فتحرّكت قوات الشريف لإرغام الجماعة الثائرة على الانصياع لأوامره.

والشريف، وقد نسب إلى ابن سعود نشاطات غير معيَّنة وبالتأكيد خيالية هدفها تقويض سلطته في منطقة الخرمة، أعلن نيته للسلطات البريطانية في إرسال قوات لإخضاع السبيع، وبدأت الفاجعة في حوالى أول حزيران/يونيو ١٩١٨ بهجوم على معسكر السبيع، وكانت نتيجتها اندحار القوات الشريفية مع فقدان مدفعين وبندقيتينْ أوتوماتيكيتين.

أبلغ ابن لؤي انتصاره إلى ابن سعود بالطريقة البدوية الاعتيادية، وكنت أنا في الرياض في خير وضع لتقدير أثر بلاغ الانتصار المتفاخر للمذهب الصحيح على الكافر، على الأذهان الصارمة للوهابيين المتعصبين المتحجّرة بقسوة رمضان المؤذية في منتصف الصيف.

مرّ رسل الخرمة في طريقهم بالمستوطنة الوهابية المهمة «غطغط»، وقد استجاب سكانها دون تأخير إلى الدعوة بطلب المساعدة، فأرسلوا فريقاً قوياً إلى مسرح الأحداث. وضجَّت الرياض تطلب الحرب مع الشريف، وحسب ما تمكنت أن أحكم عليه، نالت ضجتها تأييداً قوياً من الإمام عبدالرحمن نفسه رئيس الوهابيين الديني الأعلى. لكن ابن سعود، مع اعترافه بخطورة الوضع في محادثاته معي، قاوم الضغط المشدّد عليه واستدعى فريق الغطغط وأرسله للعمل مع تركي ضد شمّر، وكتب، حسب طلبي، إلى خالد بن لؤي مؤكداً له أنه قائم بالاحتجاج لدى الحكومة البريطانية حول الموضوع وموعزاً له بالامتناع عن أي عمل جديد، ثقة منه بقدرته وعزمه على حماية حدوده من كل هجوم.

والشريف، في خلال المباحثة التي تبعت ذلك، برّر عمله على أساس أن خالد بن لؤي قد عينّ أميراً للخرمة من قبله ـ وهذا الادعاء، حسب المعلومات التي لديّ، مشكوك فيه إلى حدٍّ كبير، لأن خالد خلف ابن عمه غالب في صدد الوراثة الاعتيادية عند موت هذا الأخير قبل نحو من أربع سنوات. وأن الخرمة

نفسها تقع داخل حدوده. وفي الوقت نفسه لم ير الشريف ضرورة لوقف عملياته العسكرية ضدّ المتمردين وأسرع بإنجاز الاستحضارات لتجديد الحملة. وهوجمت الخرمة مرة ثانية في تموز/يوليو، ودحرت قوات الشريف مرة أخرى، وفقدت مدفعين وبندقيتين أوتوماتيكيتين. وقد أبلغ الأمر إلى ابن سعود بكتاب من خالد ألحّ فيه بطلب المساعدة، وهدّد بأن يأخذ الأمور بيده إذا وجد ابن سعود نفسه لا يستطيع دعمه، وذلك بإرسال نسائه وأطفاله لإثارة نجد وحملها على العمل. وفي الوقت نفسه لم يبق مجال للشك في أن عشائر الجنوب أخذت تتجمع للدفاع عن الخرمة، وأن السلطات التركية تراقب باهتمام تطور الوضع. والرسائل من رؤساء عسير وفخري باشا المشار إليها في قسم آخر من هذا التقرير، أعطت تأكيداً كافياً للمقترحات المتعلقة بالموضوع والتي قدمتها في تقاريري.

بذلت قصارى جهدي لإقناع ابن سعود بمباشرة المعارك الفعالة مع شمّر وذلك بغية صرف اهتمامه عن اضطرابات الخرمة وضمان القسم الأكبر من قواته المتوفرة حسب الإمكان. وقد أكد بطبيعة الحال على خطورة الوضع، واحتجّ على اعتداء الشريف بدون استفزاز، وكتب إلى ابن لؤي مؤكداً له أنه، لما كانت الحكومة البريطانية لم يتوفر لها الوقت الكافي للنظر في احتجاجاته قبل حدوث الهجوم الثاني، فإنه لا يتورع عن المضي لمساعدته في حالة توقع حصول هجوم ثالث.

لم أكن في وضع يساعدني على العمل أكثر من أن أضمن لابن سعود أن الحكومة البريطانية لن تتحمل أي اعتداء على سلامة أراضيه، لكن المراسلات التي تلت ذلك أظهرت أن مثل هذا الضمان لا معنى له. وقد أكّد ابن سعود مرة أخرى أن أهالي الخرمة لا يأخذون بسياسة هجومية، وأنذرني أنه تعهد بالمضيّ لمساعدتهم في حالة حصول هجوم آخر، وتخلّى عن كل مسؤولية عن النتائج إذا أصرّ الشريف على الطريقة التي سار عليها. وفي الوقت نفسه اقترح عرض النزاع المبحوث فيه على الحدود بدون تحفظ لتحكيم الحكومة البريطانية، متعهداً بقبول قرارها مهما يكن هذا القرار. وعند تبليغ هذه المحادثة أكدت وجوب تسوية قضية الحدود، أو في حالة عدم إمكان إجراء ذلك في ظروف الحرب، فيلزم أن تفرض على الفريقين حدود مؤقتة من مرّان إلى تربة على طول خط شعيب شابا، الذي يشكل الحدود الطبيعية بين عشائر السبيع والبقوم.

لقد عقدت أعظم الأمل على أنه لا بدّ من مضيّ بعض الوقت قبل أن يستطيع الشريف تجديد عملياته. وشعرت بالثقة بأن حكومة صاحب الجلالة سوف تصرّ

على إيقافه عند حدّه بينما يجري النظر في موضوع النزاع. لكنني كنت مخطئاً في ذلك. فالشريف عارض فكرة التحكيم في قضية لا يشك هو في حقها، وحكومة صاحب الجلالة، في رسالة تهدئة لابن سعود، دون التعهد من جانبها بأي قرار معين في موضوع النزاع، قبلت رأي الشريف القائل بأنه لا يعتزم السماح لعملياته الموجّهة ضد أمير الخرمة «المتمرّد» وحده بالتوسّع إلى معارك شرقيّ الخرمة ضد أراضي ابن سعود.

وهذه الرسالة التي أغفلت موضوع النزاع كله لم تكن لتؤاسي ابن سعود الذي اعترض كل الاعتراض على عبارة رسالة الحكومة المتعلقة بالقضية، وكرّر عدم قدرته على تحمل نتيجة أي عمل هجومي جديد من جانب الشريف. وهكذا انحدرت الأمور حتماً نحو الحرب. وكانت حكومة صاحب الجلالة قد طمأنت ابن سعود بشأن توقعاته في حالة قيامه باتخاذ إجراءات فعالة ضد ابن الرشيد. وقد أكدت أشدّ التأكيد على هذه الرسالة لحثّه على العمل، شاعراً أن ذلك سباق مع الشريف شاكر الذي عرف أنه يهيّء لهجوم آخر على الخرمة.

والحقيقة أن خبر الهجوم الثالث على الخرمة الذي اتخذه شاكر، حسب المعلومات التي تسرّبت من بعض الفارّين من قواته، بنتيجة تسلمه أوامر قاطعة من الشريف للعمل أو التنازل عن قيادته، والذي انتهى مثل سابقيه بهزيمة القوة الشريفية وخسارة مدفعين وبندقيتين أوتوماتيكيتين، ورد (الخبر) في اليوم الذي التحقت بابن سعود في القصيبة بعد غارته الناجحة على حائل.

وابن سعود، الذي كان مسروراً من نجاحه بالعرض الذي أصبحت الآن قادراً أن أقدمه له، حسب موافقتكم، بمنحه إعانة منتظمة قدرها ١٠,٠٠٠ باون شهرياً ما دام يستمر في عملياته الفعالة ضد جبل شمّر، وكان فوق كل شيء واثقاً بنتيجة الهجوم الثالث على الخرمة من مقدرة ابن لؤي على حفظ ثغوره بدون مساعدة أحد، تلقّى الخبر بهدوء دون أن يضيع الفرصة السانحة للاحتجاج مرة أخرى على عداء الشريف السافر والفعال، وأوضح أنه سيكون الآن مشغولاً بعملياته ضد حائل فلا يستطيع الاهتمام بشؤون أخرى.

كان الوضع على هذه الصورة حين انتهت الحرب مع تركية على حين غرّة، وأراحت الحكومة البريطانية من كل قلق فوري فيما يتعلق بتطور الحالة في جزيرة العرب الوسطى. وكما أشرت إليه في القسم الأخير (من هذا التقرير) لم يزل

الشريف شاكر يواصل تهديده للخرمة، لكن الفصل الأخير من هذه القضية، مهما يكن ومهما يؤدِّ إليه من نتيجة لسيادة السلام في الجزيرة العربية، يقع خارج نطاق هذا التقرير.

وقد قيل ما فيه الكفاية لتوضيح أن قضية الخرمة كانت في الحقيقة امتحاناً لحسم ادعاء الشريف للسيادة على نجد أو على قسم غير صغير منها. والحكومة البريطانية متعهدة بموجب معاهدة لتحديد حدود الإقليم الذي يعترف بابن سعود فيه حاكماً مستقلاً. وهذه المشكلة يجب أن تحظى باهتمام حكومة صاحب الجلالة في عهد ما بعد الحرب لإعادة البناء، وهذا العهد قريب الحلول. ولن يكون خارج الصدد النظر بإيجاز في بعض النقاط المهمة للمشكلة، وعلى كل حال اقتراح الخطوط التي تعالج بها.

إذا خفضنا المشكلة إلى أدنى حدودها فهي أن ابن سعود، بينما هو يطالب بالاستقلال التام وسلامة الحكم في كل أنحاء نجد، فإن الشريف قدَّم ادعاءات بالسيادة على جميع عشائر عتيبة وحرب والقسم الغربي من السبيع.

على المرء أن يتفهم أن العتيبة يعيشون في تلال نجد والسهل الغربي من خط الدلقان والسرّ والنفود إلى داخل خط الحجاز، وأن عشيرة حرب تمتد مساكنها في حدود البطين إلى المدينة على كل صحراء القصيم الأعلى، وأن القسم الغربي من مستنقعات السبيع والبقوم على خط شعيب شابا في الغرب، ومع عتيبة على طول خط وادي نعيم إلى الشرق. وإذا تحققنا من ذلك فإن الشريف في الحقيقة يدّعي السيادة على جزيرة العرب الوسطى إلى غربيّ خط يمتد من ثمامة، في النهاية الغربية للبطين، على طول وادي ريمة ومن هناك إلى الجنوب تقريباً على الحدود الشرقية لمناطق المذنب والصرّ إلى سرّة النفود، جنوبي تلال نجد، وهكذا غرباً إلى مقربة من وادي رانية. وهكذا يدعي الشريف بكل مناطق القصيم والسرّ وتصل حدوده الشرقية تقريباً إلى حدود إقليم الكويت.

ولا حاجة للقول بأن مثل هذا الادّعاء ينازعه ابن سعود بقوة، وهو يدّعي السيادة على كل أنحاء نجد وعلى أقسام العشائر الآنفة الذكر التي تقيم فيها. وهو يرفض إمكان إجراء تسوية على أساس العشائر، ويؤيده التاريخ في هذا الجدال. فالتاريخ حسب علمي لم يسجل تضامن عشائر عتيبة وحرب في ولائها لحاكم واحد.

وعلى كل حال، إن من الجليّ أن كل ادعاء من جانب الشريف يتضمن الحصول على القصيم والسّرّ سخيف في طبيعته، وهذه الحقيقة وحدها تجعل حل المشكلة على أساس عشائري غير ممكن. والحل البديل الوحيد هو في حدود الأراضي والاعتراف بسلطة كل حاكم على جميع العشائر والأشخاص المقيمين في جهته من هذه الحدود.

وليس من السهل إيجاد مثل هذه الحدود، لكن ذلك ليس صعباً كما يظهر، لأن الجزيرة العربية الوسطى تمتاز بظواهر طبيعية واضحة تمتد من الشمال إلى الجنوب بين خط نفود السرّ شرقاً وغرباً، وهذا الخط تقف دونه منطقة وادي الدواسر وحدود جبل شمّر. وخط الحدود المشار إليه قد يرفض بأنه غير عملي. فقسمه الجنوبي على طول نفوذ الدلقان الذي يستمر إلى جهة الشمال على طول الحدّ الغربي للسرّ والقصيم هو أيضاً غير عملي لأنه يضع كل مرتفعات نجد الحقيقية التي هي الآن والتي كانت دائماً تحت حكم ابن سعود الفعلي، (يضعها) تحت سيادة الشريف، والخط الممكن الآخر هو وادي نعيم الذي يجري تقريباً إلى الجنوب من سجاح. وأبعد من ذلك إلى ناحية الغرب خط شعيب السبعان، ثم أبعد منه خط وادي العقيق.

بين هذه الخطوط الثلاثة ـ ويبدو أنه ليست هنالك أية خطوط ممكنة أخرى ـ يجب أن يكون القرار في الوقت المناسب. والخط الأخير، ولو أنه يتمتّع بشيء من الدعم التاريخي، قد يرفض لأنه يمنح ابن سعود أكثر مما يطالب به، والخط الأول معرّض للاعتراضات، أو، إنه يضع القسم الغربي من عشائر السبيع وعاصمته الخرمة تحت سيادة الشريف، وبذلك ينفي مبدأ حق تقرير المصير للطوائف الضعيفة التي يحق لها، على الأقل، أن تحترم، وثانياً، أنه يترك جزيرة وهابية في منطقة تقليدية، وبذلك يفتح باب الاحتكاك الديني في جزيرة العرب. والبديل الوسط هو في رأيي الخط الأنسب لمطالب الأحوال المحلية، الخط الذي يجد أفضل قبول للشعب الذي يتعلق الأمر به بصورة حيوية، الخط الذي يأتي أقرب ما يكون لإتاحة خط حدود بين التسمية الجغرافية الغامضة قبلاً: نجد والحجاز، والوحيد الذي يتبع حدوداً عشائرية معترفاً بها لقسم كبير من طوله. ومع شرط إجراء تعديلات صغيرة في التفاصيل، يكون جريانه على طول مياه حمض ربما في حرّة خيبر إلى الحناكية (التي تشكل على ما أرى مجمعاً مناسباً لحدود الحجاز ونجد والجبل وشمّر)، ثم يمرّ رأساً خلال السهل إلى مرّان، ومن هناك إلى نقطة في

شعيب السبعان حيث تلتقي حدود عتيبة والسبيع والبقوم، ثم في مجرى الشعيب إلى نقطة صدوره من وادي سبيع، ومن هناك يتبع الخط الوادي إلى تربة. وهل يجري الخط من تربة إلى بيشة شرقاً أو غرباً من صقع رانية ـ ذلك سؤال لا أستطيع أن أدلي برأي فيه، ويجوز تركه ليقرر حسب الظروف.

والنقطة الوحيدة التي لا يمكن أخذها بنظر الاعتبار في رأيي ـ وقد سبق لكم التعبير عن الرأي نفسه ـ في تقرير المناطق التي تكون تحت سيادة الشريف وابن سعود هي في الخدمة العسكرية الكبرى التي قدمها الشريف لقضية الحلفاء خلال الحرب. ورغبات الأهالي الذين يتأثرون بالقرار واستحسان عدم ترك منفذ لحدوث احتكاك ديني في المستقبل هي اعتبارات عملية ذات أهمية قصوى، والنواحي التاريخية والجغرافية للقضية التي تكون لها لواحق مهمة لكن دونها اعتباراً.

حين يضاف إلى هذه الاعتبارات التفكير بأنه، مهما تكن المزايا المجرّدة للنزاع بين الشريف وابن سعود على حدودهما، فإن أعمال الشريف خلال السنة الماضية قد نفّرت عواطف أهالي الخرمة حتى إنهم لا يرتضون الخضوع لحكمه مهما تكن الظروف، فإن صعوبة المهمة التي تواجه حكومة صاحب الجلالة في المستقبل القريب يمكن تصورها على حقيقتها. ومن الجهة الثانية إذا تنازلت الحكومة عن مسؤولية التقرير الجسيمة وعن فرض قرارها في تسوية النزاع، فإنها تجد نفسها على القمة الأخرى من المشكلة في تقرير الموقف الذي ينبغي اتخاذه في حالة نشوب المعارك بين الشريف وابن سعود، وذلك في رأيي لا بدّ منه ونتائجه وخيمة وبعيدة الأثر.

١٦ ـ ابن سعود والأتراك

وقد قيل من وقت لآخر إن ابن سعود لم يكن بريئاً من التواطؤ مع الأتراك. وخاصة في مناسبة واحدة معينة، عند مرور إرسالية من النقود ـ بصورة مؤكدة فيما يبدو ـ من المدينة إلى القوات التركية في اليمن، وذلك في صيف سنة ١٩١٧ كما أعتقد. والشريف لا يكل من التأكيد على هذا الأمر. ومهما تكن الحقيقة حول هذه الإرسالية من النقود، أنا واثق أنها، إذا كانت قد مرّت، فذلك لم يكن بعلم ابن سعود، لأن مرورها خلال سهل عتيبة الواسع، والافتراض بأن ابن سعود أعطى صك الأمان للناقلين إلخ، فإنني لا أتردد في استبعاد الأمر لأنه سخيف ولا أساس له من الصحة. يجوز أنه لم يشعر بما فيه الكفاية بأنه، مهما

تكن تعقيدات السياسة في بلاد العرب الوسطى، فإن الأتراك هم أعداء ابن سعود الطبيعيون، ليس لأن الوهابيين يعتبرونهم كفاراً فحسب، ولكن لأنهم لا يمكنهم أن يوافقوا على ضياع الأحساء أبدياً إذا قدّر لهم البقاء بعد الحرب في وضع يمكنهم من التغلب على قرار القدر.

حين كنت في جدة أكّد الشريف بشدّة، كحقيقة مثبتة لديه بدليل لا يمكن ردّه، أن ابن سعود كان يراسل فخري باشا، قائد حامية المدينة، سراً لأمد طويل. والحقيقة أنني عندما كنت في الرياض أخبرني ابن سعود بتسلمه رسائل من فخري باشا، وليس ذلك فحسب بل سلمني ثلاث رسائل أصلية، وقد بيّنت إحداها، على كل حال، بصورة نهائية أن ابن سعود لم يجب قط على الرسالتين الأخريين. ولما عبّر الشريف عن هذه التهمة وعرض أن يأتي بالدليل ـ أعتقد أنه شاهد من الناس ـ أخبرني بطبيعة الأدلّة التي أملكها بأن قوله لا أساس له. وفي اليوم التالي حين أبرزت الرسائل نفسها وبدأت بقراءتها علناً لمعلوماته، رفض بعناد الاستماع إليها وصرّح أنه محق في رأيه عن ابن سعود ـ لكنه لم يذكر شيئاً عن إبراز دليله القاطع.

إنني أذكر القضية هنا لأنها تبين موقف الشريف تجاه ابن سعود، ولأنها دليل مرض بما فيه الكفاية على أن السلطات التركية، ولو أنها كانت تشعر شعوراً حقاً بفوائد عزل ابن سعود عن قضيتنا، فإنه هو لم يقدم لها أقل تشجيع. وكان فخري باشا على كل حال قد خاب أمله بنتيجة خبرته وانقطع عن إرسال رسائل إلى ابن سعود حتى أصبحت الأمور حرجة حقاً بين هذا الأخير والشريف بشأن مسألة الخرمة، فانتهز الفرصة في أيلول/سبتمبر ١٩١٨ للكتابة بحجة تزويد ابن سعود بالأخبار المتأخرة عن وفاة السلطان[١] وخصوصاً لتهنئته بانتصارات الإخوان في الخرمة على حملات الشريف العسكرية، وفي الوقت نفسه عرض استعداده لتزويده بأي شيء يطلبه ابن سعود من سلاح وعتاد ومال لمباشرة الحرب ضد الشريف. وهذه الرسائل أيضاً سلمها ابن سعود ليدي بالأصل. ومع أن عرض تزويد السلاح إلخ.، جاء في لحظة حرجة حين كانت علاقة ابن سعود مع الشريف متوتّرة جداً، وأعربت حكومة صاحب الجلالة عن عدم إمكانها تجهيزه بالسلاح

(١) السلطان محمد رشاد الخامس. (ن.ف.ص).

لمعركة حائل، فيذكر لمفخرة ابن سعود أنه قاوم الإغراء لإرسال الجواب إلى فخري باشا.

وقد وصلت رسالة تركية أخرى في آب/أغسطس فعاملها بازدراء مماثل ـ وهي رسالة موقعة من أربعة رؤساء كبار لعشائر عسير، ولكن يظهر من إنشائها وفحواها أنها ليست على وجه التأكيد من محيي الدين بك القائد التركي ومتصرف عسير، وقد ذكّر فيها ابن سعود بالفوائد الحاصلة لمقاطعة عسير من الحكم التركي ودعاه للانضمام إلى الموقعين في الدفاع عن الدين الحقيقي.

حسبنا هذا عن المراسلات المعروف أنها وجهت إلى ابن سعود من قبل السلطات التركية أو بالنيابة عنها. وفي شهر حزيران/يونيو ورد خبر صادر من عدن يدل، على أساس وثيق حسب الظاهر، أن ابن سعود والأتراك أتمُّوا ترتيبات ترمي إلى السماح لبعض الضباط بالمرور إلى اليمن لدراسة الشؤون المالية للقوات التي تخدم تحت إمرتهم، لكن هذا الخبر لم يظهر لي قط أن يكون سوى خيال أناس متحيزين. وعلى كل حال فإن الأمر غير ممكن أساساً، ولم أسمع شيئاً بعد ذلك عن نتائج الترتيبات المزعومة.

والمناسبة الوحيدة التي حاول فيها ضباط أتراك المرور بنجد حدثت حسب علمي في نيسان/أبريل، حين أخبرني ابن سعود عند عودتي إلى الرياض بأنه تسلم معلومات عن مرور أحد الدراويش بطريق الرياض، فأوقف الرجل واعتقله وظهر أنه المدعو قول أغاسي[1] قدسي أفندي، ضابط في جيش اليمن، وكان يحاول الذهاب من صنعاء وأبها عن طريق الرياض إلى المدينة والآستانة (إستانبول) مع مبلغ كبير (٣٤١ ليرة تركية) بأوراق نقدية تركية وعدد من الرسائل الخصوصية حوت القليل مما يكون مفيداً أو مهماً عدا المعلومات بأن ضابطاً آخر غادر أبها قبل نحو ثلاثة أسابيع قبل قدسي أفندي قاصداً المكان نفسه. أما هل استطاع هذا الضابط المرور، أو مات في رحلته، فذلك ما لا يعرف، لكنه لم يعترض من جانب ابن سعود.

فيما يتعلق بقدسي أفندي الذي بقي معتقلاً في الرياض إلى نهاية المدة التي يتناولها هذا التقرير، أعربت عن رغبتي في مشاهدته عند رجوعي من وادي

---

(١) قول آغاسي: مقدّم (رتبة عسكرية).

الدواسر، وذلك لأجل ترتيب إرساله إلى الساحل لسجنه لدى السلطات البريطانية. ولما أبلغ برغبتي في رؤيته أوضح بأنه، وإن يكن لا يستطيع رفض رؤيتي إذا أصرّ ابن سعود على ذلك، فإن اشمئزازه من الكفار وكرهه لم يجعله يستحسن أن يجنّب هذا العذاب. وفي هذه الظروف احترمت رغباته ولم أره. ولكنني، وقد سمعت من مصدر آخر أنه مسجون في ظروف عسيرة وغير مريحة جداً، التمست من ابن سعود أن يحسّن حالة سجنه. إن القول أغاسي قدسي أفندي، مع كل تعصبه غير المعقول، صار لديه ما يجعله مديناً بالشكر لأحد الكفار على التخفيف بصورة كبيرة من الأحوال السيئة التي كان يعيش فيها في زنزانات قلعة الرياض منذ نحو شهرين.

١٧ ـ الأسلحة في نجد

بالنظر إلى تردد حكومة صاحب الجلالة لأكثر من مرة في تزويد ابن سعود بالأسلحة، وإصرار المندوب السامي (في مصر) على عدم استحسان تقوية القوات الوهابية نظراً إلى احتمال تزايد التهديد الوهابي، فمن المهم الملاحظة أنه، بينما كانت سياسة الحكومة في هذا الصدد قد أثرت في استبعاد عواطف ابن سعود إلى درجة ما، فإنها أخفقت في هدفها الأساسي بالنظر إلى سخاء الشريف في توزيع الأسلحة والعتاد بين عناصر غير مسؤولة من أهالي نجد معتقداً اعتقاداً خاطئاً بأنه بذلك يضمن ولاءهم. ويمكن أن نضيف إلى ذلك التجارة غير المشروعة بالسلاح والعتاد ـ تلك التجارة التي جنى منها أرباحاً طائلة، دون أي شك، بعض موظفي الشريف المسؤولين عن مخزن الأجهزة العسكرية.

جرت المتاجرة بالسلاح والعتاد في نجد على مستوى الجملة، واسترعت بعض القضايا نظري في نقلها داخل نجد إلى ساحل الخليج الفارسي [العربي]. وقد أجبر ابن سعود على منع تصدير العتاد من أراضيه واتخاذ التدابير لشراء الكميات الزائدة الموجودة لاستعماله الخاص. وكانت النتيجة أنه، خلال الأشهر الأخيرة من المدة التي يتناولها هذا التقرير، اشترى كمية تزيد كثيراً على ٣٠٠,٠٠٠ رصاصة، بينما قدّر وجود كمية مماثلة على الأقل من المجموع الذي يملكه الأفراد. وكان ابن سعود يرتضي ترك البنادق في أيدي الأشخاص الذين يملكونها عالماً بأنهم يكونون دائماً جاهزين لخدمته، ولذلك لم يكن في المستطاع الحصول على أقل تخمين للعدد المستحصل عليه من المصادر الشريفية. لكن من المعلوم أن المتطوعين النجديين كانوا

يجهزون مجاناً بالأسلحة ويجيشون بصورة منتظمة بالمعدات التي يحصلون عليها بعد الفرار من الجيش. وفي هذه الظروف يمكن الظنّ بأن نجداً قد حصلت بطريقة ما على كميات كبيرة من السلاح يمكن تقديرها بما لا يقل عن ٥٠٠٠ بندقية إذا افترضنا نسبة تقريبية لبندقية واحدة لكل ١٠٠ رصاصة تمّ جلبها.

وكانت نتيجة سياسة الشريف، وحتى سياستنا أيضاً، هي إضعاف ابن سعود أمام رعاياه وتركه أقل قدرة في السيطرة على الحركة الوهابية من قبل، وفي الوقت نفسه زيادة قوة العشائر زيادة كبيرة.

وابن سعود، وهو شاعر بأن معنى ذلك في الأحوال الاعتيادية، إنماء لقوته، لم يكن غافلاً عن تاريخ أسرته ولا عن الاعتراضات ضد تسليح عشائره بلا تمييز. ولهذا السبب، أكثر من سواه، ألحّ بشدة على تجهيزه بالأسلحة، بالنظر إلى مستلزماته الفورية لحرب ابن الرشيد. فكل بندقية يتسلح بها تعني تجهيز أحد «الإخوان» وإضافة جندي نظامي واحد لجيشه، وأسمح لنفسي بالقول إنها كانت سياسة خاطئة إبقاؤه ضعيفاً في السلاح ما لم يكن اتخاذ تدابير كافية لمنع تسليح عشائره بالجملة.

وكما هي الحال عليه الآن، إن ابن سعود، حتى إذا حسبنا له رجال العشائر الحاملين لأسلحة الشريف، قد يكون الآن أضعف من جهة السلاح من ابن الرشيد الذي، بالإضافة إلى ما تسلمه من الأتراك في المراحل الأولى، تسلم، في أواخر المدة التي يشملها هذا التقرير، قسماً على الأقل من إرسالية أسلحة وعده بها حلفاؤه. والشريف بلا شك متفوق بدرجة لا تقاس من حيث التسليح بالنسبة لكلا منافسيه في جزيرة العرب الوسطى، لكن الاستمرار على أساليبه الحاضرة في التحقيق والسيطرة سوف يرجّح كفة الميزان لصالحهما مع الزمن.

ملحق رقم (17)

حول علاقاته ببريطانيا وقضية الخرمة

FO 371/3390 (209570)

(٢٥١)

(برقية)

من السير ريجنالد وينغيت ـ القاهرة

إلى وزارة الخارجية ـ لندن

الرقم: ١٩٠٩ التاريخ: ١٩ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

برقيتي المرقمة ١٨٩٤.

فيلبي يتفق في أنه ليس من المرغوب فيه مطلقاً أن يذهب الكرنل ويلسن إلى نجد في الظروف الحالية.

معنونة إلى وزارة الخارجية ـ مكررة إلى الهند وبغداد.

FO 371/4145

(٢٥٢)

(ترجمة كتاب)

من الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

حاكم نجد والأحساء والقطيف وجبيل وتوابعها

إلى ج. ب. سنت جون فيلبي (من سلك الخدمة المدنية الهندية)

التاريخ: ١٧ ربيع الأول ١٣٣٧

٢١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨

بسم الله الرحمن الرحيم.

سيدي،

بعد تقديم أطيب التحيات والاحترامات والسؤال عن راحتكم والدعاء لسعادتكم التامة، نخبركم براحتنا وراحة كل من هنا بمنه تعالى. نعترف بورود

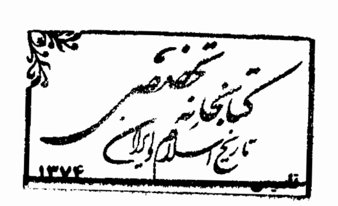
مذكرتكم المكرمة الودية التي وصلت هنا في ساعة مباركة وسببت لنا سروراً عظيماً بتأكيدها صحتكم الجيدة وراحتكم العامة. كما تعلمون كانت ثقتنا الأكيدة دائماً بأن الحكومة البريطانية تقدم بلا ريب مكافأة عظيمة لأعمالنا وإخلاصنا تجاهها. ليس هناك أقل شك في ذلك لأن الشعب البريطاني كان دائماً صديقاً حقيقياً مخلصاً في كل المناسبات، ونحن أيضاً سنكون، بفضله تعالى، صادقين دائماً في كل الظروف. سوف نبذل قصارى جهودنا في هذا السبيل لأننا نحتفظ بك دائماً مثلاً أمام أعيننا في كل الظروف وكل الأعمال ولا ننساك. أنت بالنسبة لنا كالروح من الجسم، ولنا كل الثقة فيك بعد الله. أنت وكيلنا الوحيد ولا نستطيع أن نعارضك مهما تكن الظروف، بل إننا سننضمّ دائماً إلى النتائج التي تصل إليها. كتبت إلينا بأننا لا نعرفك كما يجب. كلا! أبداً. أبعدنا الله عن الكذب والبهتان. فيما يتعلق بنا وأولئك الذين معنا فهم بفضل الله في صحة جيدة. لقد انتشرت الحمى في نجد لنحو عشرة أيام لا غير حوالي نهاية شهر صفر ودامت ٢٠ يوماً. أنا في صحة جيدة والحمد لله. لكن ولديّ تركي وفهد توفّيا. مع ذلك علينا أن نتقبّل هذه الأحداث كما يأمرنا الله. كل الرجال في صحة جيدة ولم يتألم سوى النساء والأولاد وأمثالهم. لقد سبق لنا إخبارك بأن شاكر ذاهب مرة أخرى إلى شعب الخرمة مع كل البقوم والشلاوة وشعب الحجاز. لقد تقدم قرب الخرمة حيث بقي هو والذين معه نحو سبعة أيام منشغلين في القتال. وبعد ذلك دحرهم أهل الخرمة واستولوا على كل ممتلكاتهم وخيامهم ومتاع شاكر باستثناء الأباعر. هرب شاكر إلى تربة. وقد سمعنا أن أهل تربة اتفقوا مع أهل الخرمة، ولم يحدث شيء بعد ذلك سوى مجرد محادثة بينهما.

وفيما يتعلق بأهل الخرمة كان الشريف سبب هجوم شاكر عليهم، وقد دحروه لأجل سلامة عشيرتهم. والخبر الصحيح وارد في كتاب خالد المرفق، وستجده مع هذا الكتاب إلى شخصك الكريم. كانت هنا حمّى أضعفت الناس، ونعتزم أن نبقى هنا إلى بدء شهر ربيع الآخر وسيترك هذا المكان حسب العادة. لا خبر هناك سوى ما ذكرناه آنفاً. وسبب التأخير في الكتابة إليك يعود إلى الوباء. وفيما يتعلق بسائر القضايا حول الحكومة، أنت تعلم كل شيء جيداً ولنا كامل الثقة فيك بعد الله. وفي هذه الأيام وردتنا أخبار مفادها أن ابن الصباح يحاول الضغط على العجمان ليكونوا من رعاياه، والآن قد اتحدوا هم ورعايا ابن الصباح، وذلك خلاف الاتفاق بيننا وبين الحكومة. ولأننا، بفضل الله، وكما تعلم، لن نسمح

للعجمان وابن الصباح أن يعملوا ما يشاؤون.

وفيما يتعلق بأوراق حرب وعتيبة لم تنجح الدعاية ضدنا. وفيما يتعلق بأمتعتك في القصيم لقد تأخرت بالنظر إلى الوباء، لكن يؤمل أن تتسلمها قريباً إن شاء الله. أثق أنك ستزودنا بكل الأخبار عن الحكومة وسائر الدول وأنفسنا. وأنا متأكد أن ثقتنا الكاملة فيك ستؤدي إلى النجاح الكامل.

لنا عظيم الثقة بالله وبالحكومة البريطانية وموظفيها. السلام من والدي والاحترام من إخوتي وأبنائي.



ملحق رقم (18)

يبدي فيه ضرورة عدم ترك الأمور تنحدر إلى الحرب بين دولتين عربيتين صديقتين لبريطانيا

FO 371/4144

(٥٢)

(كتاب)

من المستر فيلبي

إلى اللفتنت جونز ـ وزارة الخارجية

17 St. Petersburg Place
London W.2.

التاريخ: ٢ آذار/مارس ١٩١٩

إشارة إلى مذكرتكم المؤرخة في ٢٦ شباط/فبراير ١٩١٩ التي أرسلت إليّ هنا من كمبرلي، أعيد طياً محاضر المؤتمر المعقود في ٢٤ شباط/فبراير مع تعليلات قليلة في شؤون تفصيلية.

بالنظر إلى القرارات التي تم التوصل إليها، وهي:

(١) السماح للشريف وابن سعود بالقتال لتسوية الموضوع بشرط ضمان حماية الأماكن المقدسة.

(٢) إبلاغ الطرفين بأن حكومة صاحب الجلالة على استعداد لاتخاذ قرار في الموضوع عن طريق لجنة حدود، إذا أبدى كلا الطرفين الرغبة في مثل هذا الحل.

وبالنظر لوجود الشريف فيصل في أوربا بينما أنا نفسي، كما أعتقد، أستطيع أن أدعي بحق أن في إمكاني تمثيل ابن سعود في هذه الأمور، فإنني أتجاسر فأقترح على لورد كرزن أن ينظر في أفضلية عدم ترك الأمور تنحدر نحو الحرب بين دولتين عربيتين صديقتين لنا، والإفادة من الإمكانيات التي تكمن في مواصلة المفاوضات وأن نتيجة مفيدة قد يمكن الحصول عليها من مباحثات غير رسمية بين فيصل والكرنل لورنس وبيني، إذا أمكن ترتيب ذلك.

إنني مقتنع بأن الوهابية هي الآن، وسوف تبقى خلال حياة ابن سعود، حركة جدية لن تخفف ميولها المكافحة، بل تشتد، بعداوة الشريف، وتؤدي إلى نتائج لا يمكن توقعها ولا التنبؤ بها بسلامة. وإنني واثق في الوقت نفسه أن الحركة يمكن حصرها داخل حدود معيّنة إذا جرى التعامل على أسس معقولة. إن حلم الشريف في الاستيلاء على جزيرة العرب الوسطى والقضاء على الوهابية بالقوة وهو، كما أعتقد، خيالي، والبديل مواصلة القتال التافه في جزيرة العرب، وهو غير مستحسن إلى حد كبير. ولكن في حالة التوصل إلى تفاهم في ضوء الحقائق الفعلية، فإنني لا أرى سبباً لعدم إمكان إنشاء عصبة أمم عربية مع مجلس تنفيذي للنظر في المصاعب بين الدول تحت رئاسة بريطانية العظمى وإرشادها. إن هذا الحل من شأنه أن يوفر لنا الرقابة الدائمة على الشؤون العربية كما أن استعمال الإعانات في ضوء قرارات المجلس التنفيذي في نقاط الخلاف يمكننا من إرغام الدول على اتباع مصلحة السلام.

ولا محل في مذكرة كهذه لبيان تفاصيل مثل هذا المشروع، لكنني أقول إنني بحثت مراراً مثل هذه الإمكانية مع ابن سعود، وتأييده مؤكد سلفاً.

أنا الآن مقيم بصورة دائمة في العنوان الوارد أعلاه، وأكون ممتناً جداً لوضع خدماتي تحت تصرف السلطات بصدد الشؤون العربية خلال مدة إجازتي (نحو سنة واحدة). وعلى كل حال فأكون مسروراً إذا أمكن إبقائي على اتصال بتطورات الوضع العربي الذي لا أعرف عنه شيئاً بتاتاً في الوقت الحاضر.

(التوقيع) هـ. س. ج. ب. فيلبي

ملحق رقم (19)

FO/686/17

(برقية)

من المندوب السامي البريطاني - القاهرة

إلى الكرنل ويلسن- المعتمد البريطاني في جدة (جوابا على برقيته المرقمة 615) يعلمه فيها بان الحكومة البريطانية اختارت المستر فيلبي لتسوية الخلافات النجدية- الحجازية ويكتب إليه تأمين سلامة مروره للذهاب لمقابلة ابن سعود

الرقم: 827 التاريخ: 19 حزيران/يونيو 1919

برقيتكم المرقمة ٦١٥.

قررت حكومة صاحب الجلالة أن تحاول تسوية النزاع بواسطة المفاوضات. وترى حكومة صاحب الجلالة أن وقف الأعمال العدائية يجب أن يكون خطوة مبدئية أساسية في التحكيم بل في مناقشة من أي نوع. وإذا أمكن تحقيق هذا الهدف فإن الخطوة الأولى لن تكون دعوة الطرفين إلى اجتماع، بل إرسال رسول إلى ابن سعود لإقناعه بوقف تقدمه بانتظار التحكيم. وهذا الوكيل يجب أن يعطي ابن سعود ضماناً قطعياً بأنه إذا سحب قواته، من تربة على أي حال، فإن الحكومة البريطانية ستتولى التحكيم بينهما بأسرع تاريخ ممكن. وقد اختارت حكومة صاحب الجلالة فيلبي الموجود حالياً في انكلترة، مندوباً لها لدى ابن سعود. وقد وضع فيلبي بإمرتي خلال فترة قيامه بهذه المهمة. إنه قادم بالطائرة إلى القاهرة بأقل تأخير ممكن. عليك أن تتصل بالملك حسين فوراً لاستحصال موافقته بأسرع ما يمكن على هذه الترتيبات، واتخاذ ما يلزم لسلامة مروره إلى الطائف لغرض فتح الاتصالات مع ابن سعود. وعليك أيضاً أن ترسل الرسالة التالية إلى ابن سعود، تبدأ:

«بعد ملاحظة ردكم على تحرير اللفتننت كولونيل باسيت المحتوي على بلاغ

حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى لجنابكم، فقد قررت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن تبحث الأمور معكم. سيصل المستر فيلبي قريباً ومنها سيتوجه إليكم بأسرع واسطة يمكن تدبيرها ليبحث معكم الوضع الحالي ويبلغكم برغبات حكومة صاحب جلالة ملك بريطانيا العظمى».

(انتهى).

ملحق رقم (20)

(برقية) FO/686/17

من المكتب العربي – القاهرة

إلى الكرنل ويلسن – جدة

حول قرار الحكومة البريطانية تسوية النزاع بين الحجاز ونجد بالمفاوضات وإرسال المستر فيلبي لهذا الغرض

الرقم: 827 التاريخ: 19 حزيران/يونيو 1919

ما يلي من المندوب السامي إلى الكرنل ويلسن، جدة.

"برقيتكم دبليو/٦١٦. قررت حكومة صاحب الجلالة أن تحاول تسوية النزاع بالمفاوضات. ترى حكومة صاحب الجلالة أن وقف المعارك يجب أن يكون بداية ضرورية للتحكيم أو حتى لمباحثات من أي نوع كان. إذا أمكن تحقيق هذا الهدف فإن الخطوة الأولى هي فيما يبدو ليست دعوة الطرفين للاجتماع، بل إرسال مندوب إلى ابن سعود لحمله على وقف تقدمه في انتظار التحكيم. وهذا المندوب يجب أن يعطي ابن سعود ضماناً نهائياً بأنه إذا سحب قواته، من تربة على أي حال، فإن الحكومة البريطانية ستتولى التحكيم بينه وبين الملك حسين بأسرع وقت يجده ممكناً. إن حكومة صاحب الجلالة قد اختارت كمندوب إلى ابن سعود فيلبي الذي هو الآن في انكلترة. وضع فيلبي تحت أوامري خلال مدة بعثته. وهو قادم بالطائرة إلى القاهرة بأقل تأخير ممكن. لذلك عليك أن تتصل فوراً بالملك حسين لتضمن بأسرع ما يمكن موافقته على هذه الترتيبات وتحصل منه على صك الأمان لفيلبي لكي يذهب إلى الطائف، لأجل فتح الاتصال مع ابن سعود. عليك أيضاً أن ترسل الرسالة التالية إلى ابن سعود (تبدأ):

"بعد النظر في جوابكم عن كتاب الكرنل ويلسن الذي يتضمن ما أرسلته

حكومة صاحب الجلالة، قررت حكومة صاحب الجلالة أن توفد المستر فيلبي لبحث الأمور معكم. يصل المستر فيلبي إلى القاهرة قريباً يتوجه منها إليكم بأسرع وقت يمكن ترتيبه لمباحثتكم في الوضع الحاضر وإعلامكم برغبات حكومة صاحب الجلالة الملك. (النهاية).

ملحق رقم (21)

(برقية) FO/686/17

من المكتب العربي - القاهرة

إلى الكرنل ويلسن - جدة

حول قرار الحكومة البريطانية لتسوية النزاع بين الحجاز ونجد بالمفاوضات وإرسال المستر فيلبي لهذا الغرض

الرقم: 827 التاريخ: 19 حزيران/يونيو 1919

ما يلي من المندوب السامي إلى الكرنل ويلسن، جدة.

«برقيتكم دبليو/٦١٦. قررت حكومة صاحب الجلالة أن تحاول تسوية النزاع بالمفاوضات. ترى حكومة صاحب الجلالة أن وقف المعارك يجب أن يكون بداية ضرورية للتحكيم أو حتى لمباحثات من أي نوع كان. إذا أمكن تحقيق هذا الهدف فإن الخطوة الأولى هي فيما يبدو ليست دعوة الطرفين للاجتماع، بل إرسال مندوب إلى ابن سعود لحمله على وقف تقدمه في انتظار التحكيم. وهذا المندوب يجب أن يعطي ابن سعود ضماناً نهائياً بأنه إذا سحب قواته، من تربة على أي حال، فإن الحكومة البريطانية ستتولى التحكيم بينه وبين الملك حسين بأسرع وقت يجده ممكناً. إن حكومة صاحب الجلالة قد اختارت كمندوب إلى ابن سعود فيلبي الذي هو الآن في انكلترة. وضع فيلبي تحت أوامري خلال مدة بعثته. وهو قادم بالطائرة إلى القاهرة بأقل تأخير ممكن. لذلك عليك أن تتصل فوراً بالملك حسين لتضمن بأسرع ما يمكن موافقته على هذه الترتيبات وتحصل منه على صك الأمان لفيلبي لكي يذهب إلى الطائف، لأجل فتح الاتصال مع ابن سعود. عليك أيضاً أن ترسل الرسالة التالية إلى ابن سعود (تبدأ):

«بعد النظر في جوابكم عن كتاب الكرنل ويلسن الذي يتضمن ما أرسلته حكومة صاحب الجلالة، قررت حكومة صاحب الجلالة أن توفد المستر فيلبي لبحث الأمور معكم. يصل المستر فيلبي إلى القاهرة قريباً يتوجه منها إليكم بأسرع وقت يمكن ترتيبه لمباحثتكم في الوضع الحاضر وإعلامكم برغبات حكومة صاحب الجلالة الملك. (النهاية).

ملحق رقم (22)

(كتاب) FO686/17

من الكرنل ويلسن - المعتمد البريطاني في جدة

إلى أمير نجد عبد العزيز آل سعود

يبلغه فيه برسالة من الحكومة البريطانية
حول إيفاد فيلبي لمباحثته في المشاكل الراهنة

التاريخ: 21 رمضان 1337 — 20 حزيران/يونيو 1919

إلى جناب الأمير الخطير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود أمير نجد

بعد التحيات

قد كلفت أن أرسل لجنابكم الرسالة الآتية من حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى. تبدأ:

«بعد ملاحظة ردكم على تحرير اللفتننت كولونيل باست المحتوي على بلاغ حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى لجنابكم فقد قررت حكومة جلالة بريطانيا أن ترسل جناب المستر فيلبي للبحث معكم في المسائل وسيصل قريباً جناب المستر فيلبي إلى مصر القاهرة حيث يسافر لكم بكل سرعة يمكن ترتيبها للبحث في الوضعية الحاضرة وليبلغكم رغائب حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى» (انتهى).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكولونيل س. اي. ويلسن
معتمد حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بجدّة

ملحق رقم (23)

(برقية رمزية) FO686/17

من الكرنل ويلسن – المعتمد البريطاني في جدة
إلى المكتب العربي – القاهرة

مستعجل

التاريخ: 20 حزيران/يونيو 1919

الرقم: و/657

AB ٨٢٧ ما يلي إلى المندوب السامي (يبدأ) الاحظ أن فيلبي سوف يعطي ضماناً نهائياً بأن حكومة صاحب الجلالة سوف تتولى التحكيم بشرط أن ابن سعود يسحب قواته على كل حال من تربة (انتهى).

أوصي بشدة على سحب قواته من الخرمة حسب الأمر الوارد في رسالة حكومة صاحب الجلالة إلى ابن سعود مؤخراً. وهو يصرّ أيضاً على أن ذلك تمهيد ضروري للتحكيم. أي تغيير في الأوامر لحكومة صاحب الجلالة المشددة إلى ابن سعود سوف يراه هذا حتماً ضعفاً ويراه الملك (حسين) إخلالاً بالثقة. أقترح إرسال باسيت إلى الطائف مع فيلبي لأن حضوره هناك يساعد فيلبي في معاملاته مع عبد الله. (انتهى).

ويلسن

١/٧/١١

ملحق رقم (24)

(كتاب) FO686/17

من الكرنل ويلسن - المعتمد البريطاني في جدة
إلى الملك حسين
يبلغه فيه بقرار الحكومة البريطانية إيفاد فيلبي
ويرجو إعداد الحرس اللازم لمرافقته من جدة إلى الطايف

التاريخ: 21 رمضان 1337 20 حزيران/يونيو 1919

صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

صاحب الجلالة:

بعد بيان ما يجب بيانه من التوقير أتشرف بإحاطة علم جلالتكم أنه وردني الآن تلغراف من فخامة نايب جلالة الملك فيه يكلفني أن أبلغ جلالتكم أن حكومة جلالة الملك قررت أن تبذل السعي بنفسها للوصول إلى حل مرض لفض النزاع الحالي بالمخابرة، وأن حكومة جلالة الملك ترى أن إيقاف العداء هو أمر جوهري لازم قبل حدوث أيّ تحكيم عرفيّ أو أي بحث من اي نوع، وترى أيضاً أن الخطوة الأولى للوصول إلى هذا الغرض والحصول عليه أن ترسل حكومة جلالة الملك معتمداً إلى الأمير ابن السعود، وقد انتخبت حكومة جلالة الملك جناب المستر فيلبي معتمداً لها في هذا الأمر المبدئي، وهو مُرسَل من لندن إلى مصر في طيارة بكل سرعة ممكنة، وأن حكومة جلالة الملك لا تشك في أن جلالتكم ستقبلون تحكيم حكومة جلالة الملك (الذي نحوه مهمة جناب المستر فيلبي إلى ابن سعود هي الخطوة المبدئية) وأن تنفذوا رغائبها في هذا الأمر بأنه أعظم وسيلة للوصول إلى موافقة مرضية نهائية بدون سفك دماء آخر. ومن الضروري أن يسافر المستر فيلبي إلى الطايف، وقد كلفت أن أطلب من جلالتكم أن تتفضلوا بإعداد الحرس المرافق ليرافقه من جدة إلى الطايف، وأظن أنه يمكنني أن أبلغ حكومة جلالة الملك بأن جلالتكم ستجرون هذا الترتيب، وأرى أنني أرسل جناب الكولونيل باست إلى الطايف مع المستر فيلبي إن لم يكن لدى جلالتكم مانع. وطيّ هذا تحرير إلى الأمير ابن السعود يحتوي على رسالة من حكومة جلالة الملك فحواها أن حكومة جلا' الملك مرسِلة إليه المستر فيلبي حالاً بعد ترتيب سياحته ليبلغه رغبات حكو' جلالة

الملك، وأكون ممنوناً للغاية إذا تفضلتم جلالتكم بإرسال التحرير وفي الختام ألتمس قبول فايق التوقيرات وخالص التحيات الطيبة.

مخلصكم

ولسن باشا

ملحق رقم (25)

(برقية) FO686/17

من الكرنل ويلسن - المعتمد البريطاني في جدة
إلى المندوب السامي البريطاني - القاهرة

حول قرار حكومة صاحب الجلالة بإرسال فيلبي
لإجراء التحكيم بين الطرفين ووقف القتال

التاريخ:21 حزيران/يونيو 1919

الرقم: دبليو/660

(يبدأ) إشارة إلى قرار حكومة صاحب الجلالة بإرسال فيلبي، ما زلت أرى أن الاجتماع المؤلف حسب اقتراحي في برقيتي المرقمة ٦١ بتأريخ ١١ حزيران/ يونيو ربما يكون أسرع طريقة للتوصل إلى تسوية مبكرة.

٢ ـ لما كان ابن سعود قد تعهد بسحب قواته من الخرمة وتربة بشرط أن نضمن حمايته من الهجوم أو أي تقدم من جانب القوات الحجازية، فإنني أوصي أن يؤذن لي بمحاولة الحصول على الضمان من الملك بأن تقف قواته في خط الطائف ـ العشيرة انتظاراً للتحكيم بشرط قيام ابن سعود بإخلاء الخرمة وتربة. إذا وافق الملك يكون في وسعي عند ذلك إبلاغ ضمان حكومة صاحب الجلالة إلى ابن سعود وإخباره أن حكومة صاحب الجلالة تتوقع الآن منه أن يسحب كل قواته من المحلين المذكورين إلى الفيصلية (يرجى مراجعة الفقرة ٥ من برقيتي المرقمة و/ ٦١٥ بتاريخ ١٢ حزيران/ يونيو) وفقاً لتعهده التحريري، وهو نفسه ينتظر وصول فيلبي.

٣ ـ إذا أمكن تحقيق ذلك فإن التأثير على عشائر حدود الحجاز يكون حسناً. يجب عدم إضاعة أي وقت لأن كل يوم تبقى فيه قوات ابن سعود في مدن حجازية يزداد موقف الملك صعوبة.

ليس هناك في الوقت الحاضر وإزاء الوضع الحالي، ما يستوجب انسحاب ابن سعود إلى أن يصل فيلبي. هذا الأخير قد يتأخر ويظهر في أحسن الأحوال أنه

يطلب الانسحاب من تربة فقط. إذا استطعنا في خلال ذاك تحقيق الانسحاب من الخرمة أيضاً فإن ذلك يكون كسباً عظيماً. وفي حالة رفض الملك إعطاء الضمان المطلوب لا ترسل رسالة في الموضوع إلى ابن سعود ولا نكون في وضع أسوأ مما نحن عليه الآن.

٤ ـ يكون من المفيد إذا استطعتُ أن أخبر الملك الآن أن حكومة صاحب الجلالة قد اعتزمت أن يُعقد الاجتماع المذكور في برقية سعادتكم المرقمة ٩٧١، بأسرع ما يمكن بعد انتهاء مفاوضات فيلبي الأولية، لإقرار التسوية النهائية.

٥ ـ الكتب الموجهة إلى الملك وابن سعود، وفقاً لبرقية سعادتكم المرقمة ٨٢٧ بتاريخ ١٩ حزيران/يونيو، أرسلت في الليلة الماضية. (انتهى).

(معنونة إلى القاهرة ومكررة إلى بغداد).

ويلسن

ملحق رقم (26)

FO/686/17 (برقية)

من المكتب العربي – القاهرة

إلى الكرنل ويلسن – جدة

حول الغرض من بعثة فيلبي لتأمين عدم قيام ابن سعود بتقدم جديد

الرقم: 834 التاريخ: 23 حزيران/يونيو 1919

إن الغرض من بعثة المستر فيلبي تأمين عدم قيام ابن سعود بتقدم جديد. إن رسالة حكومة صاحب الجلالة إلى ابن سعود المبلغة ببرقية وزارة الخارجية المرقمة ٦٦٦ يجب أن تكون الأساس الرسمي لكل تحكيم بين الملك وابن سعود، لكن الإصرار على انسحاب الاخوان الفوري من الخرمة كشرط ابتدائي لكل مباحثة يظهر أنه لا فائدة منه لأن ابن سعود قد لا يستطيع الامتثال وحكومة صاحب الجلالة ليست في وضع يسمح لها بإجباره على هذا الطلب. إن المستر فيلبي عند وصوله هنا سوف يأخذ تعليمات مني عن الخطة التي سيلتزم بها تجاه ابن سعود. لا اعتراض لي على ذهاب اللفتننت كرنل باسيت مع فيلبي إلى الطائف.

ملحق رقم (27)

(كتاب) FO/686/17

من الكرنل ويلسن - المعتمد البريطاني في جدة
إلى الأمير عبد العزيز بن سعود

جوابا عن كتابه المؤرخ في 19 رمضان 1337 - يبلغه بموعد وصول فيلبي ويطلب إليه البقاء في خرمة إن لم يكن قد غادرها، وإذا كان قد غادرها فيرتب مكانا آخر للاجتماع في الخليج العربي

الرقم: **التاريخ: 24 حزيران/يونيو 1919**

جناب الأمير ابن سعود

بعد التحيات ـ قد تلقينا تحريركم المؤرخ في ١٩ رمضان سنة ١٣٣٧ وقد أبلغت حكومة جلالة الملك برقياً أنكم عائدون إلى نجد وفي خطابي إليكم المؤرخ في ٢١ رمضان سنة ١٣٣٧ الموافق ٢٠ يونيو ١٩١٩ قد عرفتكم أن حكومة جلالة الملك مرسلة جناب المستر فيلبي ليعرب لكم عن رغائب حكومة جلالة الملك ونسيت أن أذكر لكم أن المستر فيلبي سيكون حضوره عن طريق جدة إلى الطائف بالاستئذان من جلالة الملك حسين لعمل ترتيب مقابلتكم من هناك. وإنني أرسل هذه البرقية إلى الطائف حيث ترسل لكم. فإذا وصلتكم قبل مبارحتكم الخرمة إلى جهة الشرق فحكومة جلالة الملك تود بقاءكم بها إلى أن تواجهوا المستر فيلبي. وعلى كل حال إذا كنتم قد خرجتم من الخرمة قاصدين الشرق قبل وصول هذه البرقية إليكم فحكومة جلالة الملك لا ترغب في رجوعكم (إلى الخرمة) بأي حال من الأحوال بل تستمرون في سفركم وبعدها يعمل ترتيب لمواجهة المستر فيلبي لكم على خليج فارس والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الكولونيل ولسن
معتمد حكومة جلالة ملك بريطانية
في جدة
جدة في ٢٤ يونيو سنة ١٩١٩

ملحق رقم (28)

(برقية) FO/371/4146(98043)

من الضابط السياسي للقوات البريطانية في مصر
إلى وزارة الخارجية - لندن

حول إرسال فيلبي إلى الرياض وطلب حصول ضمان من الملك حسين بمروره بصورة آمنة وتزويده بحرس كاف لمرافقته إلى الطائف وإصداره تعليمات إلى فيلبي ليحصل على موافقة ابن سعود بوقف القتال

الرقم: 683 التاريخ: 28 حزيران/يونيو 1919

أرسل اليوم المندوب السامي، الذي سينتقل إلى الاسكندرية، البرقية التالية إلى ويلسن في جدة:

«فيلبي الآن في القاهرة. لقد قررت إرساله إلى الرياض عن طريق جدة والطائف حالاً. يجب أن تحصلوا على ضمان من الملك بمرور فيلبي بصورة آمنة، وترتبوا مع الملك تزويده بحرس كاف لمرافقته إلى الطائف حيث سيقوم من هناك بالاتصال برجال ابن سعود في «تربة» أو «الخرمة». وهذا عاجل. لقد أصدرت التعليمات التالية لفيلبي:

«احصلوا على موافقة ابن سعود الفورية على وقف القتال وإقناعه بالعدول عن أداء الحج. إذا وافق ابن سعود فسيرسل شخص مفوض لتسوية القضية المتنازع عليها».

ملحق رقم (29)

(برقية) FO/686/18

من المندوب السامي – القاهرة
إلى الملك حسين

يحتوي على نص رسالة وردت إليه من الحكومة البريطانية حول إيفاد فيلبي ورفض الملك حسين للتحكيم

الرقم: 909 التاريخ: 15تموز/يوليو 1919

جلالة الملك المعظم بمكة

أتشرف بإحاطة علم جلالتكم أنه وردني الآن تعليمات بتلغراف من فخامة نائب جلالة الملك بأن أرسل لجلالتكم الرسالة الآتية المرسلة لجلالتكم بأمر من حكومة الملك الرسالة تبتدي: إن حكومة جلالة الملك كان في نظرها غرضين عندما قررت إرسال المستر فيلبي. أولاً. لجعل ابن سعود يوقف تقدمه لحين التحكيم العرفي. ويظهر أن هذا قد حصل فقد وقف تقدم ابن سعود وليس يظهر احتمال تجدده طالما جلالتكم مكفّون عن التعدي. والغرض الثاني من بعث المستر فيلبي كان لتأمين انسحاب قوات ابن سعود كخطوة افتتاحية للتحكيم العرفي الذي كانت حكومة جلالة الملك مستعدة للقيام به، فإن إباء جلالتكم لقبول مساعدتنا لا يبقى لحكومة جلالة الملك محل اختيار إلا سحب ذلك العرض. وبناء على أوامر من حكومة جلالة الملك إني مسترجع الطيارات من جدة حيث لا لزوم لها بعد. انتهت الرسالة.

ملحق رقم (30)

FO/371/5061[E3989] IOR L/P&S/10/391

(ترجمة مذكرة)

قدمها ابن سعود شخصيا إلى الميجر ديكسن في الاحساء حول قضايا العلاقات مع الشريف حسين والنزاع على (الخرمة) و(تربة) ومواقف المستر (فيلبي)

في جمادى الأولى 1338 (شباط/فبراير 1920)

أتشرّف أن أبدي أنك شرفتني بزيارتك، وقد بحثنا معاً الظروف التي أنظر إليها بتخوف والتي تهم الجانبين. وأذكر أيضاً، كما سمعت، أن ولدي فيصل عاد من سفرته في هذا التاريخ وأعرب عن الشكر العميق لصاحب الجلالة الملك الأمبراطور وحكومة جلالته للاحترام واللطف الكبيرين اللذين قدما له، وأنا أشكر على ذلك جلالة الملك الأمبراطور وحكومة جلالته. قد تكلمت معهم (مع الوفد النجدي) بخصوص المباحثات التي أجروها مع وزير الخارجية الرايت اونورابل لورد كرزن، وأخبرني ابن عمي وممثلي أحمد الثنيان آل سعود عن المفاوضات التي جرت بينه وبين الموما إليه، وقد تسلمت صورة منها. بعد محادثة بيني وبين المذكور أعلاه، نظراً إلى بعض الكلمات التي وردت في المحادثة التي تمت بينه وبين وزير الخارجية، كنت في الحقيقة آسفاً بعض الشيء، ومنعني فكري من عمل أي شيء حتى أبحث وأتبادل الرأي مع الكرنل ولسن المحترم المفوض المدني في العراق عن الموضوع. إن الأمور التي جعلت المباحثات صعبة لدي هي: أولاً: قضية «تربة» و «الخرمة»، لأن موظفي الحكومة يدعون أن لديهم دليلاً على امتلاك الشريف لهذين المكانين. ثانياً، إن المترجم الذي قام بالترجمة خلال الاجتماع المعقود بين وزير الخارجية والبعثة كان رجلاً يميل إلى جانب الشريف، حتى أنهم (أعضاء البعثة) لاحظوا في المباحثات كلمات مفرطة في شدتها. ثالثاً، حول الإعانة المالية (قيل) «لن نساعدكم حتى تصلوا إلى حل وسط مع الشريف». فيما يتعلق بما شاهدوه عياناً في الصحف المنشورة تحت توقيع موظفي الحكومة المصرية، كانت كل الأخبار عن الشريف وتصريحاته وأعماله، والتي كان أقلها صادقاً وأكثرها كاذباً، مثل منشوراته نفسها. لم يجدوا أي ذكر لأعمالي التي عملتها لصديقتي الحكومة

البريطانية المعظمة. وأعمالي، كما شرحت لسعادتكم، منذ توليت العمل قبل نحو ١٨ سنة، كنت أبلغها إلى موظفي الحكومة البريطانية المعظمة في الخليج الفارسي (العربي). وحقد عليّ الأتراك، ثم حاولوا بذل جهودهم مع ابن رشيد، وأرسلوا قوات معه، وساعدوه مالياً في تلك الأيام إلى أن طردهم وقضى على حكمهم في الجزيرة العربية. وساعدوا ابن رشيد بالقوات العسكرية والمال والمدافع والعتاد. وساعدوا أيضاً الشريف ودفعوه ضد أراضيّ النجدية وما جاورها، وهذا ليس خافياً على الحكومة المعظمة. ونظراً لارتباطي بالصداقة مع الحكومة البريطانية المعظمة، فقد تشرفت بمقابلة سعادة رئيس الضباط السياسيين آنذاك السر برسي كوكس، وعقدت معاهدة معه. ثم طلب إليّ أن أحارب ابن رشيد حتى لا يستطيع مساعدة الأتراك، وكذلك حين وقعت منازعات بيني وبين الشريف، كما هو معلوم جيداً لرئيس الضباط السياسيين المحترم السر برسي كوكس، أمرني بالامتناع عن هذه المنازعات في سبيل الحكومة البريطانية المعظمة، ولذلك سيطرت على كل فكرة أو عمل خطر في ذهني وأخذت بمساعدته في حربه ضد الأتراك، وبذلت جهدي لأجعل ابن رشيد لا يهجم على الشريف في المدينة. يضاف إلى ذلك، وفقاً لطلب من سعادته، ذهبت إلى البصرة لتأكيد صداقتي وتقويتها مع الحكومة البريطانية المعظمة، وكان معلوماً لدى الجميع أنني اشتركت في هذه الحرب العظمى وامتثلت لكل إشارة واقتراح من الضابط المذكور أعلاه. وحين عدت إلى أراضيّ أمرت كل النجديين بمساعدة الشريف حين لم يكن للشريف سوى عدد قليل من الرجال لمساعدته. إن أفضل عشائر نجد هي عتيبة وحرب والمطير مع أهل القصيم، وقد ساعدوا الشريف، وكل الجيوش في ميادين القتال تحت قيادته وقيادة ولده كانت مؤلفة من رعاياي، ومنعت ابن رشيد من القيام بالهجوم على الشريف حتى جلبت إلى جانبي كل قبيلة شمر التي تركت ابن رشيد وحده في الحجر مع ٢٠٠ رجل فقط. ثم جرى ترتيب بين شمر وبيني مآله أنه إذا رجع ابن رشيد من الحجر فإن شمر تقاتل معي وتتبع أوامر الحكومة البريطانية المعظمة. ولذلك فقد امتنعت عن مهاجمة حائل لهذا السبب، وفقاً للاتفاق الذي عقد بيني وبين شمر لأجل جلب كل الجماعة إلى جانبنا سياسياً.

حين جاء المستر فيلبي إليّ بعد عودته من السفر في بلادي أخبرني أن الحكومة تأمرني بإعلان الحرب ضد ابن رشيد لأجل أن أدخل ضمن الحلفاء

وتظهر أيضاً مساعدتي للشريف. وقد رحبت بهذا الاقتراح وبناء عليه أعلنت الحرب وأرسلت القوات لمهاجمة حائل. وحين اشتد الضغط على ابن رشيد وكانت حائل على وشك السقوط، أخبرني المستر فيلبي أن الحكومة تمنعني من محاربة ابن رشيد، وقد أثار ذلك استغرابي إذ كيف أستطيع صرف النظر عن خطتي وأتبع أوامر الحكومة التي تمنعني من مواصلة الحرب. ثم عدت أنا والمستر فيلبي على أمل أن نتسلم جواباً على رسالتنا، فلم نجد نتيجة. يضاف إلى ذلك أن الشريف، حين قام باعتداء بعد سقوط المدينة، أخبرت الكرنل ويلسن مرات متعددة بأن الشريف ينوي التجاوز على حدود أراضيّ، وتسلمت جواباً منه يقول إن ذلك غير ممكن ولن يحدث، لكن الشريف قام آنذاك بعمل عدائي، وأخبرته بالأمر عدة مرات ولم آخذ جواباً. ولما تقدم الشريف على «تربة» وكان بعض الضعف في القتال لأن الأهالي لم تكن لديهم القوة الكافية إذ إن رجالهم كانوا متفرقين، ولذلك تمكن الشريف من احتلال البلدة. ثم قام بعد ذلك باضطهاد الأهلين مثلما كان الأتراك يضطهدون الأرمن، مما أثار حقدهم وجعلهم يحرضون أهالي الوادي الذين كانوا في جوارهم، وقد ساعدهم الله ضده وجعله يهرب، واسترجعوا تربة. وذهبت إليها. وتسلمت كتاباً من ممثل صاحب الجلالة في جدة لم يكن من اللائق أن يوجّه إليّ من الحكومة المعظمة. ثم عدت وأخبرت كل الأهالي في نجد أن حكومة صاحب الجلالة طلبت مني الانسحاب كما التمس الشريف منها، ولم أكن أتوقع من الحكومة سوى شيئين: أولاً، أنها توبّخ الشريف على أعماله العدوانية ضد أراضيّ، وثانياً، أنها تساعدني وفقاً للمعاهدة المعقودة بينها وبيني. ولكنني لم أجد شيئاً من ذلك. وعلى العكس أوقفت الإعانة مما بلغ إلى علم الجميع. يضاف إلى ذلك أننا في السنة الماضية عزمنا على الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج، وهو من أهم واجبات المسلم، لكن الحكومة المعظمة طلبت مني صرف النظر عن العزم، فعملت ذلك لأجلها فقط، وأجّلت الحج إلى السنة القادمة، ثم صرفت النظر عنه تماماً نظراً إلى أن الحكومة كانت منشغلة جداً بأمور الحرب والسلم. وعند عودة ولدي فيصل العبد العزيز، وأحمد الثنيّان من سفرتهما قدّما لي صورة من المحادثة، وأخبراني أنهما لم يلاحظا أي ذكر لي في تلك الأوساط. وهذا لم يقنعني حقاً، ولم أكن راغباً في مثل ذلك خوفاً على سمعتي أو لأي طمع دنيوي. إن شرفي وسمعتي معلومان لدى الجميع كباراً وصغاراً، وأما عن أسباب معيشتي فالله تعالى وحده مسؤول عنها. لكنني وجدت عدم الإكتراث والبرود

يتزايدان في كل القضايا، ومساعدتي وأعمالي خلال الحرب العظمى لم تذكر في أي مكان، كما ذكرت أيضاً، بينما ذكرت أعمال الآخرين في كل مؤتمر ومجتمع لحكومة صاحب الجلالة.

إذ أنا أخشى أن يحدث بالإهمال أي أذى أو تقع حركة سيئة كما شرحت لسعادتكم الآن. وإنني، والحمد الله، لا أخشى العدو، لكنكم تعلمون أن للعرب شروطاً وقوانين فيما يتعلق بدينهم وشؤونهم المدنية، وهم يصبحون متبرمين بسبب إهمالها إذا غض النظر عن أي منها. ولكن بفضل الله كل أهالي أراضيّ ورعاياي في الأرض الواسعة هم «فدائيون» لي في أشخاصهم وأموالهم قلباً وقالباً في سبيل دينهم وبيوتهم وشرفهم. وأنا أخشى أنه إذا لم تتم تسوية الأمور الموقوفة بيني وبين الشريف بسرعة بالغة، فإن «الجهاد» المأمور به في ديننا قد يقع. لم يطمع أحد في بلادي التي هي ملكي منذ الأيام السالفة، والآن إذا حدث شيء غير محمود فالمسؤولية قد توضع على عاتقي أو أنني أعتبر غير مخلص لأصدقائي، أي الحكومة المعظمة. غير أن لي الثقة الكاملة بأن سعادتكم تضعون أمام الكرنل ويلسن البيانات الواردة أعلاه.

ملحق رقم (31)

(برقية) FO/371/5062

من وزير الهند – لندن
إلى المفوض المدني – بغداد

حول إرسال فيلبي ليقتنع ابن سعود في حالة حصول صعوبات بأمور تريدها بريطانيا منه، مثل قبول دعوة لحضور اجتماع مع الملك حسين لحل الخلافات بينهما

الرقم: **التاريخ: 13 أيار/مايو 1920**

برقيتي في ٥ أيار/ماد. .بن سعود: يبدو لنا، في حالة خلق ابن سعود صعوبات حول قبوا .دعوة، أنه يذعن لإيضاحات شخصية... إلخ من قبل ضابط بريطاذ ينق به. ويظهر أن الضابط الأفضل أهلية هو فيلبي الذي سنحت له فره فريدة من نوعها للاختلاء بابن سعود والذي من المفترض أن يختاره الأخير كمستشار لاجتماع عدن. إن فيلبي موجود هنا. ويقترح توجهه إلى البحرين على الفور ليكون جاهزاً للذهاب إلى الرياض عند الضرورة لغرض إيضاح الأمور لابن سعود، وبالتالي مرافقته إلى عدن. وستفهمون أن ما يعجل بهذا الإقتراح هو حرص حكومة صاحب الجلالة الشديد على تشجيع لقاء مبكر مع الملك حسين. الرجاء إبراق وجهات نظركم. إنني أفترض أنه قد تم إرسال الكتاب الذي خولتم بإرساله في برقيتي المؤرخة في ٥ أيار/مايو إلى ابن سعود. وقد يكون من المرغوب فيه على أية حال، انتظار رد ابن سعود قبل المبادرة إلى الاقتراح بإرسال فيلبي.

(مكررة إلى نائب الملك في الهند)

ملحق رقم (32)

(برقية) FO/371/8948

من المندوب السامي في العراق بالوكالة إلى وزير المستعمرات حول الأسباب التي دعت عبد الله بن الحسين بموافقة من فيلبي إلى أن يطلب من فيصل تمثيل شرقي الأردن في مسألة محاولة حل الخلافات الحدودية بين شرقي الأردن ونجد

الرقم: 484 التاريخ: 3 أيلول/سبتمبر 1923

فهم أن الأسباب التي دعت عبدالله بموافقة من فيلبي إلى أن يطلب من فيصل تمثيل شرق الأردن هي: -

(١) إن الأحوال السياسية والجغرافية تجعل الاجتماع بين فيصل وابن سعود سهلاً، خصوصاً أن اجتماعاً من هذا القبيل كان قيد الدرس منذ مدة طويلة.

(٢) مناقشات فيصل الأخيرة وعلاقته الوثيقة مع عبدالله.

(٣) بفضل المعرفة الشخصية التي يمتلكها فيصل بمنطقة الجوف كلها وقبائلها، والتي اكتسبها خلال عملياته ضد الأتراك، إنه من الطبيعي في رأيي أن يشعرا كلاهما أن قضية شرق الأردن سيعرضها فيصل بقوة أكبر مما يمكن أن يفعله أي شخص تقلّ معرفته الشخصية بالعوامل المعنية عن معرفة فيصل. وفيما يتعلق بالحجاز فهمت أن فيصل على اتصال مع حسين بر أ بشأن إجراء الأول مفاوضات محتملة مع ابن سعود، ولكن الرد النهائي من حسين لم يصل بعد. إنني أقدر تماماً إمكانية أن يرفض ابن سعود الاجتماع مع فيصل كممثل الحجاز وشرق الأردن، ولن يحدث مثل هذا الرفض أي ضرر. غير أنني أخشى من أن دوافع من شتى الأنواع سيستنتجها فيصل في رفضنا، إذا رفضنا من دون أسباب مقنعة السماح بعرض اقتراح الاجتماع على ابن سعود. لقد علق فيصل أمله على أنه سيسمح له بأن يحاول، وسيصبح متشككاً وغير ودي ومريراً بسبب خيبة الأمل في اللحظة التي يعد فيها التعاون التام بينه وبيني هنا أمراً أساسياً بالنسبة إلى أغراض تمرير الاتفاقات الفرعية للمعاهدة. وبناء على ذلك فإنني أحث حكومة صاحب الجلالة من وجهة النظر المحلية على السماح بعرض اقتراح الاجتماع على ابن سعود من دون إظهار أي رغبة بضرورة قبوله. أبلغتني الآنسة بيل التي وصلت للتو عن طريق عمّان أن لدى فيلبي وعبدالله انطباعاً أكيداً

بأن الاجتماع سيعقد على أي حال، وأنه سيكون فرصة مناسبة لمناقشة قضايا شرق الأردن.

هذه تشير إلى برقيتكم رقم ٣٨٩ المؤرخة في ٢٩ آب (أغسطس).

(مكررة إلى القدس وبوشهر برقم ٣٠٤).

ملحق رقم (33)

(برقية) [FO/371/10017[E9001/8869/91]

من وزارة الخارجية (لندن) إلى المستر بولارد - جدة

(حرر المسودة السر جون شكبره)

حول سفر فيلبي إلى جدة تطلب إليه اخبار فيلبي تحريريا انها لا تسمح له بالذهاب إلى داخل الجزيرة العربية واخبار الملك علي وابن سعود بذلك

الرقم: 39 التاريخ: 18 تشرين الأول (أكتوبر) 1924

سري

برقيتكم ٨٢ (بتأريخ ١٣ تشرين الأول/أكتوبر). أخبرني الدكتور ناجي (الأصيل) بصورة خصوصية وغير رسمية أن فيلبي يسافر إلى جدة بدعوة من علي «ليحاول ترتيب تسوية سلمية بين الحجاز ونجد». فهمت أن فيلبي غادر إنكلترة في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر). سوف ترون من برقية وزارة المستعمرات إلى بغداد والمكررة إليكم ما هي معلوماتنا عن نواياه النهائية. فيلبي ليس الآن في خدمة وزارة المستعمرات، لكنه لا يزال في خدمة حكومة الهند بالإجازة استعداداً للاعتزال في نيسان (أبريل) ١٩٢٥. يجب عليكم أن تخبروه تحريرياً، بدون الإشارة للمعلومات السرية المذكورة في برقية وزارة المستعمرات، بالنظر إلى الحالة غير المستقرة الآن في جزيرة العرب الوسطى، فإن حكومة صاحب الجلالة لا تسمح له بالذهاب إلى الداخل. عليكم أن تحصلوا منه على اعتراف خطّيّ بتسلمه هذه الرسالة.

عليكم أيضاً أن توضحوا لعليّ أن زيارة فيلبي غير مأذون بها من حكومة جلالته بأي وجه من الوجوه، وأنه ليس مخوّلاً قطعاً للمفاوضة بالنيابة عنها. وعليكم أن تضيفوا بأن ابن سعود يجري إخباره بموجبه، وعليكم إخبار فيلبي بالعمل المتخذ من قبلكم.

(مكررة إلى بغداد برقم ٣ وبوشهر برقم ٣ وحكومة الهند).

(موقعة بالحروف الأولى)

و.ت

ملحق رقم (34)

(كتاب) FO/371/10017[E9001/8869/91]

من القنصل بولارد إلى المستر مكدونالد

يوضح أن مهمة فيلبي لدى ملك الحجاز لم تكن ذات طابع رسمي

الرقم: 105 جدة في 30 تشرين الأول (أكتوبر) 1924

سري

أتشرف بأن أقدم طياً تقريراً عن الوضع للمدة من ٢١ إلى ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر).

٢ - ترسل صور من هذه الرسالة ومرفقها إلى الهند ومصر والخرطوم (عن طريق بور سودان) والقدس وبغداد وبيروت (لأجل دمشق) وعدن وسنغافورة وبوشهر والكويت والبحرين.

أتشرف ...إلخ.

ر.و. بولارد

مرفق رقم (١)

تقرير جدة للمدة ٢١ ـ ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٤

(سري)

بلغت الاتصالات بين أهالي جدة والوهابيين أوجها في إرسال وفد إلى مكة. واستناداً إلى الخبر الذي جاء به الوفد عند عودته، أن القائد الوهابي خالد

قدم أجمل الشروط. والشرط الوحيد الذي وضعه هو إما أن يحجز الأمير علي أو يرغم على مغادرة البلاد. إذا قبل هذا الشرط فإن جدة لا خوف عليها. كل الموظفين يبقون في وظائفهم، وعد أنه لم يلحق أذى بالأهالي، فإن خالد لن يرسل حتى قوات وهابية إلى جدة، بل يترك البلدة لتحكم نفسها. ولكن إذا لم يقبضوا على عليّ أو يرغموه على المغادرة فإن الوهابيين يستولون على جدة عنوة ويعاملون البلدة كما عاملوا الطائف. وهذه الرسالة كانت هي المتوقعة. إن خالد يرغب بطبيعة الحال في الاستيلاء على جدة كما استولى على مكة بدون قتال. والتهديد بالتخويف لم يكن حسب المحتمل سوى خديعة، لكنه أخذ على علاته في جدة حيث سقط الأهالي في حالة رعب شديد. وزاد هذا الشعور قوة حين أعلن علي نهائياً أنه قرر الحرب. والزعماء، وقد تأثروا برسالة خالد وبرقية من سكرتير ابن سعود في البحرين، مآلها أن ابن سعود لن يعقد صلحاً ما دام حسين أو أبناؤه يحكمون في الحجاز، بيّنوا لعلي أن وجوده فقط يحول دون السلام، فوعد بالتنازل ومغادرة البلاد إذا قدموا هذا الطلب تحريرياً. ولكن حين قدم الطلب موقعاً من كل شخص ذي أهمية تراجع عن وعده. وقد شجعه في قراره بالمقاومة، كما ذكر في التقرير السابق، الضباط البغداديون والسوريون ووصول تعزيزات من شرقي الأردن وجبل الدروز. والعوامل الأخرى التي ساعدت على اتخاذ القرار هي التشجيع الذي يناله من الملك السابق حسين والأمير عبدالله، والأمل بأن شيئاً ما سوف ينتج من زيارة المستر فيلبي، ووصول كمية من العتاد من أوروبا، والعثور على ضابط تركي يعتقد أنه يمتلك سرّ حفر الخنادق.

٢ ـ عملاً بتعليمات حكومة صاحب الجلالة، أخبرت الحكومة الحجازية أن الحكومة لم تسمح بزيارة المستر فيلبي وأنه ليس مخوّلاً للمفاوضة باسمها. فأجابت أنها فهمت ذلك تماماً. سأل المستر فيلبي هل يستطيع أن يأتي كصديق ولم يسعها الرفض. وهذا لا يمنع منَ إظهارهم لزيارة، بصورة خصوصية، وكأنها مسموح بها من حكومة صاحب الجلالة وأنها تقدم بالنتيجة آمالاً واسعة في نهاية ناجحة. لا أحد في جدة، ربما عدا الأمير علي وحاشيته، يعتقد أن المستر فيلبي قد جاء كشخص عادي، ولا يمكن لأحد أن يلومهم على شكوكهم. وصل المستر فيلبي في ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر). لقد فاتته باخرة البريد في السويس، ولأجل أن يتلافى تأخير عشرة أيام، جاء على سفينة حمل، وأرسلت حكومة الحجاز زورقاً إلى بضعة أميال في عرض البحر لجلبه. وهذه الطريقة غير

الاعتيادية للسفر والنزول قد زادت من الشك حول زيارته.

٣ ـ في ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) أنزلت باخرة البريد الخديوية ١٥٦ صندوقاً من العتاد جلبتها من بور سودان. والتعليمات الواردة إلى الوكلاء كانت بوجوب تسليم الوثائق إلى السادة لازاريني بصفتهم، فيما يبدو، ممثلي بنكو دي روما. وكانت الصناديق لأجل الحكومة الحجازية. ويظهر أنها مرت عن طريق أيدي السادة توماس كوك وولده في بورسعيد حيث أنزلت من الباخرة «آركيتكت»، وهي من سفن هاريسن. ولا يعلم مصدر الإرسالية.

يؤكد الأمير علي لمؤيديه أن سيارات مسلحة وطائرات وعتاداً سوف تصل إلى جدة على باخرة (هولندية) في حوالى ٥ تشرين الثاني (نوفمبر).

تحت إشراف الضابط التركي المشار إليه أعلاه، شيّد نظام خنادق حوالى جدة كلها على مسافة تختلف من ميل واحد إلى بضع مئات من الياردات.

وصل نحو ٣٠٠ متطوّع من العقبة على متن باخرة هاشمية في ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر).

٤ ـ بالنسبة لأهل الحجاز تعتبر مكة الآن أكثر سلامة من جدّة، وأكثر الناس الموسرين الذين هربوا إلى جدة عادوا إلى مكة. والباقون، وعدد كبير من سكان جدة، كانوا أيضاً يعتزمون الذهاب، لكن خلال الأيام القليلة الأخيرة أصبح الطريق غير آمن. لقد نهبت عدة قوافل واضطر الرجال الذين فيها إلى العودة. ويظهر أن هذه السرقات قد حرّض عليها، أو على الأقل سمح بها، الشريف محسن الذي يعمل وسيطاً بين الحكومة الحجازية والعشائر. وأحد الأهداف، كما يظهر، هو الحصول على الرسائل التي عبّر بها أهالي مكة عن خفايا نفوسهم الخائنة إلى الوهابيين. وهدف آخر هو مكافأة العشائر التي وعدت بمساعدة علي ضد الوهابيين.

ولما كان طريق مكة قد أغلق فإن الأهالي يبحثون عن طرق أخرى للفرار. ومصر وأرتيريا ترفضان قبول لاجئين، لكن الكثيرين مضوا إلى سواكن. وأرسل بضع مئات من النساء والأولاد والخدم إلى جزر جدة للحجر الصحي، واحتفظ رجال هؤلاء الناس بكل السفن الشراعية الملحية لنقلهم إلى الجزر بإشعار فوري إذا هوجمت جدة.

٥ ـ إن سفر كل الحجاج الهنود، وأيضاً إغلاق الطريق، مما يزيل

الاحتمال (الذي خفض كثيراً بموقف الوهابيين المسالم) لإغراقنا بالهنود من مكة، يسهّل مشكلة التخلية إلى حد بعيد. وقد ألغيت الإجراءات الخاصة التي اتّخذت في قمران من قبل المقيمين في عدن لاتخاذ الترتيبات لاحتمال وصول ٢٥٠٠ لاجىء بريطاني، إذ إن محطة الحجر الصحي يمكن أن تؤمن، دون توسيع، إقامة نحو ٥٠٠ شخص. وهذا العدد يقارب ما نضطر إلى إرساله هناك.

٦ ـ لم يعتد الوهابيون على الأرواح والأموال في مكة، لكنهم منعوا إلقاء المحاضرات الدينية باعتبارها لا لزوم لها واستعمال كل الكتب الدينية عدا القرآن والحديث. وكان لهذه السياسة أثرها في ذهاب عدد كبير من الطلبة الدينيين (ملايو وجاوة) إلى جدة، حيث ينتظرون قدوم البواخر لأخذهم إلى بلادهم. والأدلة التي تم الحصول عليها من هؤلاء الطلبة ومن المصادر الأخرى تبين أن الوهابيين قد انتهكوا أيضاً حرمة قبور مختلفة في مكة ينظر إليها السنّة بالتقديس.

٧ ـ صرّح الأمير علي لأشخاص مختلفين أنه، حين يصل ابن سعود إلى مكة، فسوف يذهب إليها ـ وحده إذا لزم الأمر ـ لمحاولة الوصول إلى اتفاق معه، لكنه لن يحاول مرة أخرى المفاوضة مع خالد. لا يحتمل أن يجري هجوم على جدة قبل قدوم ابن سعود. لم يجد الوهابيون معارضة جدية من قبل، ولا يحتمل أن يهجموا على موقع محصّن إذا كان في وسعهم حسم المشكلة بطريقة أخرى. إن جدة خير ميناء ملائم لمكة، لكنها ليست الميناء الوحيد. ويمكن تحويل التجارة، إن لم يكن نقل الحجاج، مثلاً إلى رابغ في الشمال أو ليث في الجنوب. استسلمت رابغ للوهابيين، وهناك علامات تدل على أن محاولة سوف تجري للحصول على تجهيزات لمكة عن طريق لك الميناء، والبضائع في مكة أصبحت قليلة والأسعار عالية، ويجب الإسراع في إيجاد حل. ولا يعلم ماذا سيكون موقف العشائر. يحتمل أنها لن تتخذ قرارها حتى يتغير الميزان نهائياً إلى إحدى الجهتين. وعلي يعطي العشائر نقوداً وحبوباً، والوهابيون يعرضون عليها ضريبة على كل الحبوب التي تستورد عن طريق رابغ. ويعتقد أن موارد علي ضئيلة، وهو يجبي القليل من الإيرادات، إذ إن المصدر الرئيسي ـ رسوم الجمارك ـ كاد ينضب، ولذلك قد يستطيع الوهابيون المزايدة عليه، ولهم بالإضافة إلى ذلك سمعة ابن سعود إلى جانبهم.

ر.و. بولارد

الوكيل والقنصل

ملحق رقم (35)

رسالة من خالد بن لؤي إلى فيلبي
ردا على رسالته إلى ابن سعود وخالد بن لؤي
حول حصار مكة المكرمة عام 1924

من خالد بن لؤي بن منصور إلى السيد المحترم فيلبي. لقد تلقينا رسالتك، وفهمنا محتواها. اما الرسالة الثانية فسنبعث بها بالسرعة الممكنة إلى السلطان عبد العزيز حفظه الله، وستتلقى مع رسالتي هذه رسائل سلموها إلى القناصل. انها تطلب ازاحة علي بن الحسين من جدة أو عزل رعاياهم عنه، نظرا لمحاولاته مقاومتنا، ومقاومة رعايانا، ووقف المؤن الينا، واثارة قبيلة حرب علينا.

انني في انتظار ردّك وردّهم، والصلاة والسلام على النبي محمد وآله واصحابه.

(عام 1343 هجري).

ملحق رقم (36)

نتائج رحلة المستر فيلبي في الربع الخالي عام 1932

(اطلعت بعد طبع البحث الخاص بالربع الخالى على الكتاب الذى وضعه المستر فلبي عن رحلته فى الربع الخالى وعلى التقارير الفنية التى وضعها اخصائيو المتحف البريطانى للتاريخ الطبيعى عن النتائج العملية للرحلة ، فوجدت فيها معلومات جديدة ومهمة آثرت أن أضعها الى كتابى هذا . وقد نشرت لى مقتطف ابريل رسالة لخصت فيها الحقائق الجديدة وطلبت من المستر فلبي نفسه أن يتفضل بكتابة فصل مختصر عن نتائج رحلته فتفضل بكتابة ما يأتى :)

أما وقد انتهى درس النتائج الجغرافية والعلمية لرحلتى الاخيرة فى الربع الخالى فمن دواعى سرورى أن أضع هذا الملحق عن هذا الموضوع الهام ليضاف الى مؤلف صديقى فؤاد حمزة عن المملكة العربية السعودية . ولن أضيع هذه الفرصة دون أن أرفع الى صاحب الجلالة عبد العزيز خالص شكرى وامتنانى لما أولانى من الشرف العظيم والميزة الكبرى بجعلى عضواً فيما يصح أن يقال انها أول بعثة علمية نظمت تحت اشراف الحكومة الوهابية .

الربع الخالى هو بقعة صحراوية مترامية الاطراف تقع بين نجد وحضرموت من جهة وبين اليمن وعمان من جهة أخرى يحدها من الشمال خط ، يمتد من بلدة سلوى على خليج البحرين ماراً بواحة جبرين والافلاج ووادى الدواسر الى واحة نجران الكبرى الواقعة على الزاوية الشمالية الشرقية من حدود اليمن ، ومن نجران يمتد خط حد الربع الخالى جنوبا على حدود اليمن الشرقية مارا فى الجوف الى

مأرب ، ومن ثم الى الشرق محاذياً المناطق الجبلية في وادي حضرموت الى مهرة وقارا فرملة مغشن وهذه واحة فيها نخل وعيون ، ثم ينثني الى الشمال تاركا جبال عُمان الى الشرق الى أن يبلغ سفح رأس (المسندم) في الخليج الفارسي .

ولما كانت معرفة البدو بأرجاء الربع الخالي ضئيلة فلم نكن لنعلم إلا اليسير عن هذه القفار الواسعة البالغة نحواً من ربع مليون ميلا مربعاً من المساحة حتى كشف الستار عن هذه المجاهل ، كما أشار فؤاد حمزة في محله بعد رحلة المستر توماس ثم رحلتي المتواليتين .

ويمكننا الجزم الآن أن هاتين الرحلتين قد أظهرتا الشئ الكثير عن طبيعة القسم الأوسط من الربع الخالي الواقع بين خط الطول ٤٧° والخط ٥٢° شرقاً ، إنما لايزال هنالك قطعتان على جانب من السعة لم يجر اكتشافهما وهما : (١) بلاد المناصير بين خط الطول ٥٢° شرقاً وحدود عُمان (٢) البقعة الجنوبية الغربية الواقعة ضمن الزاوية المؤلفة من وادي الدواسر واليمن وحضرموت انما يمكن الاستخلاص أن هذه البقاع المجهولة كثيرة الشبه بتلك التي اكتشفت ولذلك حق لنا أن ننقل للعالم لأول مرة في التاريخ صورة جلية عن بقعة من الارض كانت الى الامس مكتنفة بالغموض والاسرار .

يقسم الربع الخالي على وجه التقريب الى قسمين رئيسيين : الاول الى شرق خط الطول ٥٠ والآخر الى غربيه والقسم الشرقي معظمه سلاسل متوازية طويلة من الرمال الكثيفة مع كميات وافرة من المياه الضاربة الى الملوحة على أعماق ضئيلة مختلفة وهذه الاراضي وفيرة المرعى الذي أدى الى الاعتقاد بأنها الموطن الاصلي لاحسن أجناس الابل العربية . أما القسم الغربي الممتد الي وادي الدواسر ونجران فهو مفاوز مقفرة جافة قلما يصيبها المطر ، ينبت في بعض أقسامها النبات الصحراوي القاسي (كالزهر والاباال والعلقة والحمض والبركان) ، ويعترض رماله في بعض

الاماكن مساحات واسعة موحشة من الحصباء المسطحة كأبو بحر وسحمة ورملا والجليدة وجدة الفرشة ، وفى الجهات الشمالية الشرقية من هذه القفار بعض الآبار المائلة العمق ولذلك فهى تسمى الطوال كالمغينمة التى يبلغ عمقها ١٧١ قدماً ، وبئر فاضل ١٢٥ قدما ونخيلة وطويرقة وهاتان طمرتا بالرمال حديثاً وكثير غيرها على شاكلتها كبئر مقرن وبئر المكسر الخ ، أما البدو فقد نسوا أسماء هذه الآبار من عهد بعيد وقد قمنا بالحفر عن فوهاتها وتسميتها من جديد .

ومما ظهر لنا فى رحلتنا هذه أن على الحد بين القسم الشرقى والقسم الغربى من الربع الخالى مساحات كبيرة وجدنا بعض أصداف الماء العذبة فى كثير من مواقعها وكان معها أيضاً كثير من الاسلحة الصوانية التى ترجع الى العهد الحجرى الحديث (١٠٠٠٠ عام — ٥٠٠٠ قبل المسيح) ثم بعض قطع من بيض النعام المتحجر وغيره من الآثار .

وتدل هذه الاكتشافات وتثبت أنه فى وقت من الازمنة البعيدة كانت البقاع الغربية من الربع الخالى بلاداً خصبة تجرى اليها الأنهار من جبال اليمن ومرتفعات الحجاز وتصب فى البحر الذى كان فى العهد الميوسيفى ساتراً ماهو اليوم القسم الشرقى من الربع الخالى الى خط يمتد من رملة مغشن الى شنة فبئر زكرت ونيفا وعين سالا .

والذى أظنه أنه يمكن الآن تمييز أربعة مجار لأنهار قديمة ويكون مشروع البحث فى (١) مجموعة أودية الافلاج (٢) المجرى الخالى لوادى مقرن (٣) وادى الدواسر ثم (٤) وادى نجران وان صح هذا فان الفيافى الجافة المقفرة الآن كانت حوالى سنة ٥٠٠٠ ق . م . مراعى خصبة ترتادها مواشى الانسان الاول الذى لاشك أنه كان يعيش على صيد الغزلان والايائل والنعام وقام بوضع أساس صناعة تربية الجمال وانتاجها .

كانت هذه الأنهار على مايظهر تجرى على خط الطول °٥٠ أو °٥١ لكن عند ما أخذ البحر ينحسر ترك وراءه بحيرات ومستنقعات جفت بالتغيرات الجوية فى أوقات البليستوسين التى نشرت أرديتها الرملية على هذه الاراضى فاضطر الانسان والحيوان الى النزوح الى الاقسام الشرقية ذات الرمال الرقيقة والآبار القليلة العمق وتطلق العرب الآن على هذه البقاع اسم الرمال (أو الرملة) والخيران بينما تراهم يحتفظون بكلمة الربع الخالى للقسم الغربى الجاف .

يقطن الآن بعض جهات القسم الشرقى أو الرمال قبيلة (المناصير) وواحتها الرئيسية المركزية فى منطقة (الجوا) نحو الحدود العمانية ويوجد أيضا بعض قبائل مرة كالغفران والجرابعة والجابر بينما يقطن الجهات الجنوبية كزيج من آل كثير والصمر والضروع والعوامر . أما القسم الغربى فى ملكية الدمنان من آل مرة وهم نفر من الرعاة المشاغبين قسم منهم يتعلق بنجران وقسم بالاحساء . وواحة جبرين الكبرى تخص (جبرين) وهم أيضاً من آل مرة بينما أن قسم البحيح منهم يقطنون صحراء الجافورة وهى قسم من الربع الخالى يبرز الى الشمال بين خليج جيبان وخليج الحسا .

وعلى جوانب هذين الخليجين يرى الانسان شواهق الصخور التى كانت تضم سواعد البحر الميوسينى القديم وقد وجدت على هذه الصخور كثيراً من متحجرات العصر الميوسينى .

وقد قمنا ببحث دقيق عن الاماكن التى وردت فى أساطير البدو وزعموا أنها فى الربع الخالى كما توهمنا سابقا وقد وجدنا بعض الاسلحة الصوانية التى تثبت وجود الانسان فى وقت من الاوقات لكن لاشك أن هذا الانسان سكن أراضى الربع الخالى قبل أن عرف فن البناء والحياة الاجتماعية فى الاصقاع الاخرى لكن ماوجدناه وهو ليس ببعيد العهد فى التاريخ طريق قوافل واضحة الآثار ما بين مغينمة والافلاج وأخرى مابين مغينمة وبئر فاضل وهذه الطرق على مايظهر نشأت

فى أيام الجاهلية كطرق تجارة عمان مع مكة ويثرب ومدائن صالح والبطراء ولا شك أن القوافل كانت تمر من هنا حاملة البهارات والعطور من جنوبى الجزيرة الى شمالها ولا بد أنها بعد ذلك أصبحت طريق الحج من عمان الى مكة المكرمة لكنها على كل حال لم تكن تجتاز الربع الخالى بل كانت تحاذى حده الشمالى مارة بواحة الجوا الى الافلاج .

وقد تكلم البدو عن بعض الآثار وذكروا أن هنالك منازل وأعمدة وقطعاً كبيرة من الحديد وغيره فى موضع يدعى الحديدة وقد قرنوا هذه المشاهد بوبار مدينة عاد التى يقال ان الله أنزل عليها النيران ودمرها إذ أعرض ملكها وأهلوها عن النبى هود .

زرنا المكان وهو يقع بين بئر طويرفه وفراجة وأم الحديد وابراهيمه وتبين لنا أن المدينة المهدومة لم تكن سوى فوهات بركانية . ذلك ماحسبته لأول وهلة وقد أخذت قطعة من الحديد تزن ١١ كيلوغراماً مع بعض الرمال المحروقة السوداء وبعد فحصها الفنى ظهر أن الحديد من معدن النيازك وان ماظهر كالحريق ليس الا (سلكا) احترقت بالحرارة التى تولدت من وقوع النيزك الى الارض ببضع ثوان

وأمثال هذه الفوهات نادرة ولم يعرف البدو غير أربعة أو خمسة قبل اكتشافنا (وبار) وعلى كل فان تلك الآثار لم تكن إلا فوهات نيازك وفى الحقيقة انه لايمكن أن يوجد آثار أى مدينة فى كل الربع الخالى لسبب بسيط وهو أن هذه الاصقاع جفت وصارت كما هى الآن قبل أن عرف الانسان بناء القرى فكيف بالمدن والتمدن . والربع الخالى كان خالياً قارغا من الحياة والمياه لما بدت طلائع التمدن الحيرى والسبأى فى الوديان والسهول حول حدوده الجبلية

ملحق رقم (37)

بشأن : محاضرة المستر فلبي عن فلسطين ، وتقريره أن العرب قابلون لهذا التقسيم ، واعتراض المؤلف عليه

صورة كتاب مرسل إلى جلالة الملك عبد العزيز
١٩ جماد أول سنة ٥٦
٢٧ يوليو سنة ٣٧

بالأمس ألقى مستر فلبي محاضرة عن فلسطين والمشاكل العربية ، تكلم فيها عن شخص جلالتكم كلاما حسنا ، لاسيما ما يتعلق برحلته ، وأما عن فلسطين فقد دافع عن مشروع اللجنة ، كأنه عضو من أعضائها ، ولكنه اقترح أن المنطقة العربية التي ألحقت بالدولة اليهودية ، تلحق إما بالمنطقة العربية ، أو بسورية . وعن العقبة تلحق بالحجاز ، لأنها قطعة منه . وقال في آخر المحاضرة : إنه يعتقد تمام الاعتقاد ، أن العرب قابلون لهذا التقسيم ، مع هذا التعديل. فسأله أحد الحضور وهو عضو في البرلمان من أين عرف مستر فلبي بقبول العرب؟ وهل يقصد العرب المجاورين لفلسطين ، أم عرب فلسطين أنفسهم ؟ لأنهم يعرفون حتى الآن أن عرب فلسطين يرفضون المشروع ، وأن العراق وسورية قد احتجتا على المشروع ؟.

فأجاب مستر فلبي بأنه لا يتكلم عن رأي خاص له ، وإنما يتكلم عن خبرة طويلة ، ومعرفة دقيقة لبلاد العرب .

ولما كان مركزي لايمكنني من الدخول في مناقشة علنية في هذه البلاد ،

فقد فضلت السكوت مؤقتاً، ولكن بعد انتهاء الجلسة أخبرت البارزين من الحاضرين بأن مستر فلبي مخطئ في نظريته. وأن رأيه شخصي فقط. وإني آسف أن تجاربه في البلاد العربية إذا كانت على هذا الحال هي تجارب خاطئة، فوجدت الجميع متفقين معي عَلَى هذا الرأي، وأن فلبي قد تطرف في رأيه الذي لا يتفق مع ما يفهمه الجميع، من موقف العرب جميعاً إزاء مشروع التقسيم.

ومن الغريب أن يقول مستر فلبي هذا الكلام، مع أني أخبرته قبل يومين. وفي نفس اليوم كنا معاً في الغداء، للمحادثة في مسألة السيارات. وأخبرته بأن جلالة الملك غير راض عن المشروع، وأنه يَعُدُّه نكبة على الإسلام والعرب. فسألني لماذا لم يعلن جلالة الملك رأيه؟ فقلت له: جلالة الملك سيعلن رأيه في الوقت المناسب، وأنه ليس من اللياقة ما دام الموضوع موضوع بحث من حكومتين، أن تعلن إحدى الحكومتين عن رأيها في الصحف. فقال: إن رفض المشروع خطأ كبير، وإن هذه الفرصة لا تتاح للعرب بعد ذلك، وإن العرب إذا رفضوا المشروع، فلن يدافع عن قضية العرب بعد ذلك. فقلت له: إن من يدافع عن العرب لا يلزمهم أن يتفقوا معه في كل آرائه، فلكلٍّ رأيه، وصاحب الدار أعلم.

ملحق من جلالة الملك إلى المؤلف ، ينفي فيه ما قاله « فابى »
عن رضا جلالته بمشروع تقسيم أراضي فلسطين ، وينكر
على مقاله أمورا أخرى

الرقم ٢٥ / ١ / ١٢ التاريخ ٨ / ٥ / ١٣٥٦

ملحق خير إن شاء الله ، للشيخ حافظ

يجب أن تذكر لفابي من قِبَل المقالة التي كتبها عن فلسطين ، أنه هو حر بنفسه ، ولا لنا عليه اعتراض ، ولكن هذه المقالة صار عليها ثلاثة أمور :

(أولا) الناس قالوا ما كتبها فلبي إلا برضا ابن سعود . وأن هذا هو رأى ابن سعود ، وأنت تعرف رأينا ، ونحن نبرأ إلى الله من هذا الرأى الذى ذكره .

(ثانيا) المسيحيون الذين يعترضون عليه ، ويتحرشون به ، قالوا : هذه بادرة من فابي ، ويستجدون منه غير ذلك . كأن يطالب بإنصاف العرب ، ويتكلم عن الإنكليز وقد بدا له الآن تغيير الخطة ، وبالحقيقة أن مقالته فيها تغيير للخطة .

(ثالثا) أن العرب الذين ينتقدوننا ، سيقولون من أجل هذه المقالة ، الأقوال التى أخبرتم بها . فأفهمه أن الرجل نثق به كما نثق بأنفسنا ، وأن حميته على العرب مشهورة ، ولا يمكن أن نقبل منه هذا الرأى . ولما نشرت هذه المقالة أثارت الناس ، ولأهل الأغراض مقاصد وأهواء ، فإن كان عمل هذه المقالة عمدا ، وأن خطته تغيرت ،

فهو حر فى نفسه ، ولا لنا اعتراض على شخص حرّ . أما إن كان على خطته السابقة ، ولمحبته مع العرب ، فيقتضى أن يعلم أن المقالة مخالفة كل المخالفة لنا ، ومضرة بمصلحة العرب .

ونحن بموجب الصداقة التى بيننا وبينه ، وبموجب محسوبيته علينا ، أحببنا أن نبين له ذلك ، فإن كان على خطته التى نعرف ، فنحن نعرف مسلكه إيش هو ؟ وأما إن كان اختار طريقا ثانيا غير التى نعرفها ، فهو حر بنفسه ، لأن الحقيقة أن مقالته خبيثة ، وأحببنا أن نبين له حتى نشوف ماعنده .

احرصوا على ذلك يكون معلوما . والسلام .

ملحق رقم (39)

من المؤلف إلى جلالة الملك ، يتضمن أن بعض زعماء الصهيونية (بن جوريون) طلب مقابلة جلالة الملك ، وأن المؤلف أجاب بأن جلالته لا يرى داعيا لهذه المقابلة

٩/٥٤ ٢٩ شوال سنة ١٣٥٧
٩/ ١ ٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٨

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد طلب منا أحد زعماء الصهيونية ، واسمه (بن جوريون) أن نسعى له فى مقابلة جلالتكم ، فأجبته أن جلالتكم لا ترون داعيا لمقابلة أحد من زعماء الحركة الصهيونية ، وأخبرته أيضا أن مثل هذه الرغبة أبديت فى العام الماضى ، لمقابلة سمو ولى العهد ، بواسطة فلبى، وأن جلالتكم رفضتم السماح بذلك . و إذا كان جلالة الملك لا يسمح بمثل هذه المقابلة مع ولى عهده ، فهو بالأولى لا يرى داعيا لمقابلة زعماء الصهيونية بنفسه ، فاحتج بأنه صديق فلبى ، فأكدت له أن ذلك لا يغير من الموضوع لا قليلا ولا كثيرا ، ولم أحب أن أراجعكم برقيا فى هذا . لعدم أهمية الموضوع ولمعرفتى برأى جلالتكم فيه .

وتفضلوا بقبول أسمى التحية والاحترام .

من جلالة الملك إلى المؤلف بالمفوضية السعودية في لندن، يثني عليه فيما صنع في أمر عبد الله فلبي، وتهمة تقسيم فلسطين، كما يثني على سائر تصرفاته وأعماله

الرقم ٢٨ / ٦ / ١ / ٤٨٩ التاريخ ١٣ / ٤ / ١٣٥٩

ملحق للمفوضية بلندن

تلقينا كتبكم وأبحاثكم فيما يتعلق بمسألة عبد الله، وفيما يتعلق بمسألة فلسطين، (رقم ١١ / ١١ تاريخ ٢٣ / ٣ / ١٣٥٩) وكل أقوالكم وكل أبحاثكم طيبة. بارك الله فيكم. وكذلك تلقينا تقريركم بتاريخ (١٢ / ٣ / ١٣٥٩ بدون رقم) ولا يوجد فيه شيء يحتاج إلى إرسال أي تعليمات فيه. أو بيان أي رأي. إنما كان ذلك وصفا لمساعيكم وأعمالكم، التي قمتم بها في العراق ومصر ولندن، بحسب التعليمات التي كنا قد أمرناكم بها. ونحن مسرورون من أخباركم ومن عملكم. ونعتقد أنه غير خاف عليكم حرج الموقف، فأنتم انتهزوا الفرص في المسائل المذكورة، بدون ضغط على الجماعة أو تشديد، إلا عن طريق النصيحة، بحسب سعيكم الحاضر، يكون معلوما. والسلام.

رسالة من المستر فيلبي إلى مدون المذكرات أمين المميز

عجلتون، كسرون، لبنان

16 تموز 1956

عزيزي أمين بك

اني خجل جدا لتأخري الطويل عن الاجابة على رسائلك. غير انه، كما لا بد سمعت، مررت بأوقات حرجة جدا و لم اكن راغبا بالقيام بأي عمل من شأنه التأثير على نتيجة المحاولات التي يقوم بها اصدقائي هنا وفي المملكة العربية السعودية للتوصل إلى مصالحة بيني وبين السلطات السعودية، وفي الأخير توصلنا إلى ترتيب كان من نتيجته عودتي إلى الرياض في نهاية شهر مايس الماضي حيث مكثت هناك اكثر من شهر ضيفا على جلالة الملك قبل عودتي إلى لبنان للبقاء فيه حتى نهاية الصيف ثم العودة إلى الرياض ثانية لاستئناف حياتي السابقة هناك.

وفي خلال المدة التي قضيتها في الرياض، حيث لقيت حقا كل عطف ورعاية من كل واحد هناك، شعرت ان بعض الجهود تجري الآن بصورة جدية لاصلاح الإدارة وتطوير سياسة البلاد الخارجية. ومن الطبيعي ان تمر عدة سنوات قبل ان يتسنى القضاء قضاء تاما على الفساد والتفسخ اللذين استشريا في الماضي، ولذلك فاني اعتقد انه من مصلحة المملكة العربية السعودية التي خدمتها معظم حياتي عدم القيام بأي عمل من شأنه جعل الاصلاح المطلوب عسيرا أو مستحيلا.

واني لواثق انه لا يوجد شخص يمكن ان يفرح اكثر منك عندما يرى تحسنا حقيقيا في إدارة الدولة السعودية وسياستها، لانك مثلت بلادك في ظروف صعبة جدا وقد دأبت على بذل الجهود المضنية لتحقيق تفاهم أفضل بين العراق والمملكة العربية السعودية. وبينها وبين سائر البلاد العربية، واني لواثق ايضا بان كتاباتك المرتقبة عن مهمتك في تلك البلاد ستكون مساهمة قيمة جدا في سبيل الوصول إلى هذه الغاية. وكنت انتظر بفارغ الصبر والسرور والشرف لتأدية قسطي من الثناء على مجهوداتك تلك والمساهمة بحصتي من الخدمة في سبيل تفاهم افضل بين العراق والمملكة العربية السعودية. غير اني اعتقد بانك توافقني الرأي بانه نظرا للتطورات

التي حصلت في قضيتي وبالنظر للحفاوة الودية البالغة الـتي لقيتـها في الريـاض فسيكون من غير المعقول ولا من دواعي المودة ان استمر على الانتقـادات الـتي ابديتها خلال السنوات العديدة الماضية، واعتقد ان افضل خطة يمكن انتهاجها هي فسح المجال امام الحكومة وتيسير جو تتنفس فيه ليمكنها من تنظيم شؤون بيتـها، واؤكد لك بانها ان فعلت ذلك فلا يمكن ان يفرح بذلك شخص اكثر مني. اما إذا لم تتحقق آمالي فسوف استأنف انتقاداتي.

وبالنظر لهذه التطورات قررت ايقاف نشر مذكراتي الشخصية في الوقت الحاضـر على الرغم من اني سلمتها فعلا للناشر كما قررت عدم نشر ايـة انتقـادات أخـرى للحكومة إلى أن يتسع لها الوقت لادخال الاصلاحات الضرورية، وبناء على ذلك فاني اناشدك ان تعفيني من وعدي الذي قطعته لك لكتابة مقدمة كتابك المرتقب واني واثـق بانك تقدر الوضع الجديد حق قدره. فمن بعض النواحي اني آسف لنشوء ذلك الوضع ولكن اهتمامي الاصلي هو اني لا اود ان ارى العمل الجبار الذي قام به الملك الراحـل ينهار بين ايدي خلفائه، وان ارى المملكة العربية السعودية تستعيد ذلك المقـام الرفيـع الذي تمتعت به قبل عدة سنوات في انظار العالم.

اني لا اعلم من سيخلفك في جدة غير اني آمل بكل اخلاص بان خلفك سـيلاقي ظروفا اسهل من الظروف التي مرت عليك اثناء وجودك هناك.

تمنياتي الطيبة بمنصبك الجديد وتهنأتي لك بمناسبة عيد الاضحى وتحيـاتي الخالصـة للسيدة زوجتك التي اتذكرها دائما وبكل سرور ضيافتها الكريمة في جـدة، وآمـل ان تسنح لي الظروف يوما ما لزيارة بغداد واستئناف صداقاتي القديمة فيها.

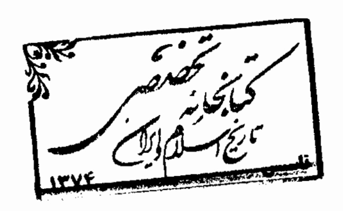
وكل عام وانتم بخير

المخلص

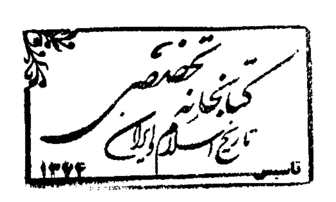
سانت جون فيلبـي

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والجماعات



فهرس الأماكن والبلدان


کتابخانه تخصصی
تاریخ اسلام و ایران
تاسیس ۱۳۷۴